


• شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

• تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب

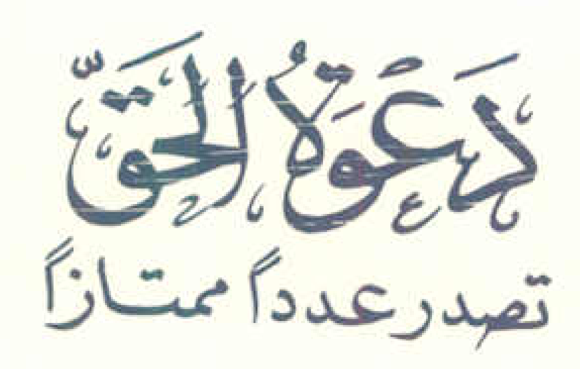


العدد
228



جمادى الثانية / رجب 1403 - أبريل 1983

الثمن 5 دراهم



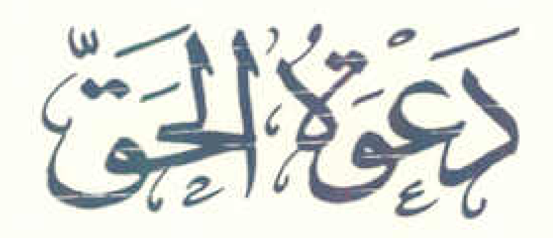
تصدر عدداً ممتازاً

عن

ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي

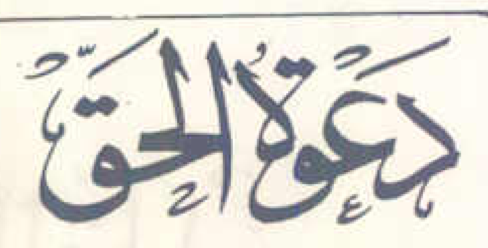
التي عقدت بالرباط في الفترة من 5 إلى 7 رجب 1403

ترقبوا العدد 230 من



أبحاث ودراسات من المغرب والمشرق عن

مؤسسة الأوقاف ودورها في الحضارة الإسلامية




شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط . المملكة المغربية



أسسها
جلالة المغفور له
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957 م

التحرير :
الهاتف : 601.85

الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

*

الاشتراكات :
في المملكة المغربية : 55 درهما
في البلاد العربية : 67 درهما
في العالم : 77 درهما

الحساب البريدي : رقم 55-485 . الرباط

Daouat El Hak compte chéque postal 485 - 55
à Rabat




## هذا العدد

** يبرز كل عدد من ( دعوة الحق ) الخط البياني للتطور الفكري في هذه البلاد . فالمجلة ، باعتبارها محور استقطاب ، ترصد وتسجل وتختزل مراحل الرقي والاشواط التي يقطعها المفكرون والكتاب والعلماء وكل ذي راي علمي سليم ورؤية فكرية هادئة . وبقدر ما تعبر المجلة عن روح العصر ، في زوايا الفكر والثقافة والراي ، بقدر ما تكشف عن خاصية الابداع والتنوع التي تتميز بها بلادنا في هذه الميادين جميعا .

* وفي كل عدد ، نبذل الجهد الشاق ، من اجل ان نقدم للقارىء زادا ثقافيا وفكريا يجمع بين الاصالة المؤمنة الواعية المتفتحة ، وبين المعاصرة المشربة بروح حضارتنا وثقافتنا وتاريخنا . وهي معركة خفية تخوضها هذه المجلة لتحافظ على السمعة الطيبة والصيت الذائع والقدوة السامية في ساحة الاعلام الاسلامي والصحافة الفكرية الادبية الثقافية .

** وفي هذا العدد ، صور من هذا الجهد يلمسها القارىء بوضوح كامل ، وتقوم شاهدة على التزام هذه المجلة برسالة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في التنوير والاشعاع ، وفي التوعية والتثقيف ، وفي اتاحة الفرص المتعددة المتنوعة أمام جمهور المفكرين والعلماء والادباء والشعراء ليعطوا العطاء الجيد الممتاز ، وليسهموا الاسهام الذي ينتظر منهم في بناء حاضرنا ومستقبلنا على أساس رؤيتنا المتميزة وذاتيتنا المتفردة .

* ولم تحد هذه المجلة قط عن هذا الخط ، فهي مجلة الصفوة المفكرة ، وهي منبر الفكر الاسلامي والثقافة العربية والابداع الادبي الهادي الى الحق والخير والجمال وكل قيمة انسانية .

** ولن نحيد أبدا — بمشيئة الله — عن هذا الخط . لانه الخط المستقيم الذي لا عوج فيه ولا امت الذي ارتضاه المغرب ، ويمضي فيه اليوم وغدا باذن الله تعالى بقيادته المؤمنة الرشيدة .

* ونترك القارىء ليقرا ترجمة وافية بالقصد لهذه المعاني ، في هذا العدد .

رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم




●● من شروط العمل الاسلامي الناجح أن تستقيم الرؤية ويتضح الهدف . وما لم يقم الجهد الذي يصرفه الانسان لخدمة الاسلام على اساس من المنهج القرآني الصرف سيظل عرضة للضياع . ذلك ان الوسيلة والغاية في هذا الميدان وحدة لا تتجزا ، فلا غاية تبرر الوسيلة ، ولا وسيلة كيفما اتفق تؤدي الى الغاية ، طالما ان القصد هو العمل الاسلامي الخالص لله وللامة وللانسانية جمعاء .

● ولذلك فان الله طيب لا يقبل الا طيبا . والاسلام دين الله وخاتم الرسالات السماوية الى الانسانية في هذه الارض . وكل سعي من اجل رفعة شان اهله وعزة المؤمنين به ينبغي ان يسلك سبيل الله الذي هو سبيل الاسلام الحق . والاسلام دين رحمة وحكمة وحلم ورافة وسماحة ويسر ولين ، وهو دين العقل والوعي واليقظة والفهم والادراك ، ولا مكان للعته والحمق والطيش والخفة والسفه والغي في هذا الدين ، ولا مجال في رحابه لذوي العاهات الفكرية والخلقية والسلوكية ، واصحاب الاهواء والاغراض ، وارباب الامزجة المعتلة ، والنفوس المريضة، والاطباع المختلة . ولذلك فان العمل الاسلامي يحتاج الى الفكر النير

## إفتتاحية

والفهم السليم والطبع السوي والراي الواضح ، فلا شطط ولا غلـو ولا مغالاة ، ولا تنطع ولا تقعر ولا تعسف في التعامل مع حقائق هذا الديـن ، ومع الافكار والآراء والاحداث والاشياء والحياة والاحياء ، ولا تزمـت ولا تعصب ولا تحجر ، ولا ارهاب ولا قمع ولا احتكار للدعوة الى الله ، وانما هو الاعتدال والقسط والانصاف والعلم والحلم وسعة الصدر ورحابـة الفكر وشمولية الرؤية وتبصر وحضور ذهن واستحضار المعنى الروحي للحب في الله في المعاملة والتعامل والعمل . وبذلك تصفو حياة العاملين للاسلام من الاكدار والاوضار والاضرار ، وتنبسط امامهم سبل السعـي الحثيث المستقيم على الطريق اللاحب لما فيه مرضاة الله .

●● والعمل الاسلامي على شتى الاصعدة ، السياسي والدولي ، المتصل بالدفاع عن شؤون العالم الاسلامي وقضايا الامة الاسلامية ، او الفكري والثقافي المرتبط بتصحيح المفاهيم ورد الهجمات والتصـدي لحملات الغزو ، او التوجيهي والتربوي المتعلـق بتكويـن الافـراد والجماعات وهداية الناس الى مكارم الاخلاق وعبادة الله حق عبادته ، او الاجتماعي الذي يقصد الى الاصلاح والبناء على قواعد المنهج الاسلامـي في التعليم والاعلام ، وفي الاقتصاد وتسيير أمور الدولة على تعدد مرافقها وتنوع مجالاتها في كل هذه الحقول ، يلزمنا الاسلام ان ناخذ بالاسلوب القرآني ونسلك سبيل السنة المطهرة الصحيحة ، فلا يصح اطلاقا ان ندعـو الى الله ، ونبشر بدينه ، ونحث الناس على الصلاح ، ونحبب لهم الايمـان ، ونحضهم على التقوى بأسلوب غير اسلوب القرءان ، وبمنهج غير منهـج رسول الله صلى الله عليه وسلم . فما كان نبي هذه الامة لعانا ولا سبابا ولا غليظ القلب ، وانما كان الرحمة المهداة ، وكان لنا القدوة الحسنة ، والمثل الاعلى ، والنموذج الشامخ الرفيع . وفي صحائف السيرة النبوية العطرة مواقف ووقائع وحالات وصور من السلوك والتصـرف والقـول والفعل حري بنا ان نعيها ونستوعبها ونتمثلها في سكناتنا وحركاتنا ، وفي كل شان من شؤوننا ، وفي كل امر من امور الدعوة والاعلام والتبليغ ، وفي الخطابة والكتابة والتاليف ، وفي النقد والتحليل والمعالجة ، وفي كـل جهد ننفقه من اجل الانسان المسلم والمجتمع المسلم والعالم الاسلامي .

●● وفي هذا الجو المضمخ بعطر النبوة ، نصلح ونقوم ونبني ، وندعو ونهدي ونبشر . وكلما احسسنا انحرافا عن الجادة ، وانسياقا مع الهوى ، رجعنا الى قرآننا وسنتنا ناخذ ونستمد ونجدد الايمان والعـزم ونسدد خطانا على طريق الحـق .

● ولقد فشا الغلو في الدين على امتداد رقعة العالم الاسلامي ، وسرى الخلاف في الاوساط العلمية المشتغلة بشؤون الديـــن . وبلـــغ الامر مبلغ التخاصم والتطاحن والتشاحن ، وانتهت الحال الى فوضى في الراي والفكر والنظر والاجتهاد والحكم على الآراء والاشخاص والانظمـــة والحكام ، كل ذلك لسلوك القوم سبيلا مختلفا عن سبيل القرءان والسنة في الحوار والتفاهم ومواجهة الحجة بالحجة . والكل يزعم لنفسه الاخلاص في الدعوة الى الله عن بينة وبصيرة ، في حين ان الاسلام يكره لنا هـــذا اللجاج والجدال والخصام في الراي الذي يفسد العلاقـــات ويخلـــق العداوات ويشحن النفوس حقدا وبغضا وكراهية .

●● ويجري كل هذا في الوقت الذي تتواطؤ قوى الشر فيمـــا بينها للزحف على ديار الاسلام للاجهاز على شعوبه واطفاء جـــذوة هـــذه الصحوة الاسلامية المباركـــة .

اننا مدعوون للعمل بقاعدة الاسلام في كل جهد نبذله عن اقتنـــاع وبصدق لصالح الاسلام والمسلمين ، على اي صعيد كان ، وبذلك نضمـــن لانفسنا الفوز ونقي بلادنا ومجتمعاتنا اخطاء الارتباك والاندفاع والحماس غيـــر العاقـــل .



# بطل الاستقلال

# محمد الخامس

للأستاذ عبد الله كنون

تعترض الامم والشعوب في طريقها الى التقدم والغد الافضل ، عقبات واخطار ترجع بها الى الوراء ، وربما تحكمت في مصيرها بما لا تحمد عقباه ، ولكن العناية الالهية تقيض لها من ابنائها منقذا يمد لها يده، حين تكون قاب قوسين او ادنى من الانهيار .

ومن عجائب الاقدار ان يقترن وجود هذا المنقذ بالظرف الذي تحدث فيه الواقعة ، او يسبقه بقليل ، لينفذ القضاء ثم ياتي اللطف الذي يصحبه .

وهذا ما وقع بالفعل للمغرب حين فرض الحماية الاجنبية عليه ، ففيما كانت المؤامرة الدنيئة تدبر ضده ، وبالضبط قبل اعلان الحماية بسنة ، كان قد استهل بالقصر الملكي بفاس ، المولود السعيد الذي سيطيح بنظام الحماية بعد انتصابه وترسيخ جذوره ، ويعيد الى البلاد حريتها واستقلالها ، وكان هذا المولود هو محمد الخامس الذي قدر الاستعمار انه سيكون لعبة في يده ، ولذلك اخر ولي العهد الامير ادريس وقدمه لصغر سنه ، ولكنه كان غير ما ظن الاستعمار الذي كان تدميره في تدبيره .

واعاد التاريخ قصة ءال فرعون في تبني موسى عليه السلام وتربيته ليكون لهم عدوا وحزنا .

وجلس محمد الخامس على العرش سنة 1927 والبلاد ترزح تحت عبء ثقيل من وطاة الاستعمار ، وكان جلالته ما يزال في فجر شبابه ، وقد شعر بما القي عليه من مسؤولية عظمى وما يلزمه من كفاح طويل لانقاذ بلاده من هذا الغول الذي يعمل لالتهامها ، فكان يبدو كئيبا حزينا من كثرة التفكير في المستقبل والاهتمام بمصير شعبه كما تعكس ذلك صوره في هذا العهد .

واجتهد في اتمام ثقافته وتكوين نفسه بما يلزم ان يكون عليه ملك لامة عظيمة ينتظرها مستقبل عظيم .

وكانت عادة الملوك قبله ان لا يتصلوا بالناس الا لماما واذا اتصلوا بهم في احدى المناسبات الرسمية لا يتكلمون بل ينوب عنهم في الكلام الحاجب السلطاني او الوزير الصدر . ولا يكون ذلك الاتصال الا في غياهب القصور وبحضور العدد العديد من الحاشية والاعوان . وزاد الاستعمار في تكثيف هذا الحجاب « وتنظيمه » وفرض نفسه واقحامها في جميع الاتصالات التي تقع بين جلالته والزوار الاجانب ، ولو كانوا من اعاظم الرجال ، بحيث لم يرغم على التخلي عن هذه الوقاحة الا في اللقاء الذي تم بين جلالته والرئيس روزفلت اثناء الحرب العالمية الثانية .

ولكن جلالته عمل على تحطيم هذه القيود شيئا فشيئا ، فصار يتصل بالناس في مناسبة الاعياد

وتقديم التهاني اليه من وفود الاقاليم وغيرهم فيخاطبهم بالسؤال عن احوالهم وسيرة الولاة فيهم . ويستقبل رجال الوطنية في قصره في أوقات مختلفة من ليل ونهار ، ويجاذبهم اطراف الحديث في الاحوال العامة وسياسة البلاد ، فتخفف كثيرا من تقاليد الاستقبالات الرسمية ، ومخاطبة الزائرين كلا بما يناسبه .

وتطور الخطاب الى خطب ، والى تصريحات صحفية ، ثم صارت الخطب خططا للعمل وبرامج لبناء مستقبل الامة . وفتح الباب على مصراعيه ، واندمج الملك في شعبه وتعلق الشعب بملكه ، فلم يبق هناك مجال للتدخل ولا للرقابة ، الا من وراء وراء ! . .

واكثر ما كان ذلك يتمثل في عيد العرش الذي يخلد جلوس العاهل على اريكة الملك ، والذي انشيء في الحقيقة للاعلان عن الذاتية المغربية والكيان السياسي للبلاد والتعبير عن الولاء للجالس على العرش رمز السيادة القومية والوحدة الترابية للوطن . ولذلك قاومه المستعمرون ولم يعترفوا به الا مرغمين ، تحت ضغط الشعب والارادة الوطنية التي تحمست له وصارت تحتفل به في المدن والقرى احتفالا باهرا يستمر عدة ايام .

ويقيم جلالة العاهل حفلا شيقا في القصر العامر يدعو اليه وفود الناس والشخصيات الوطنية من جميع انحاء المغرب ، اضافة الى رجال السلك الديبلوماسي المعتمد في الرباط ، ويحضره اعضاء الحكومة والمقيم العام الفرنسي ومساعدوه من عسكريين ومدنيين . ويلقي جلالته خطابه الذي صار يعرف بخطاب العرش فيصفق له الشعب من الاعماق، لما يتضمنه من استعراض لمراحل العمل الوطنية التي تم وقع تجاوزها ، وما يستقبل من مراحل اخرى تتطلب من الجميع ان يتجند لها ، ولا سيما في ميدان التعليم والشؤون الاجتماعية ، مع الاهابة بادارة الحماية لانجاز مواعدها وادراك مطامح الشعب الذي كبر عن ان يتلهى بما يتلهى به الاطفال ، في كلام من هذا المعنى يذكي العزائم ويقوي النفوس ، ويكون بمثابة عهد بين الرعية والراعي على مواصلة السعي طول السنة المقبلة لما فيه خير البلاد وصالحها العام .

وكانت رحلاته الى الاقاليم وسيلة اخرى الى الاتصال بجماهير الشعب وتمتين روابطه بالمؤسسات الوطنية والعاملين في حقولها المتنوعة من تعليم واقتصاد وسياسة وغيرها ، وكانت اعظم هذه الرحلات هي رحلته التاريخية الى طنجة سنة 1947 التي تعتبر ثورة على الاوضاع الاستعمارية التي كانت قائمة في مختلف مناطق البلاد ، فحطم الحدود المصطنعة بين المنطقة السلطانية والمنطقة الخليفية ومنطقة طنجة ، واتصل برعاياه في هذه المناطق اتصالا مباشرا ، والقى خطابه العظيم المعروف بخطاب طنجة الذي اعلن فيه عن تمسكه بحق بلاده في حريتها والانطلاق من اسر التبعية الاجنبية وانتمائها الى العالم العربي الذي كان المستعمرون يستثنون المغرب منه ويدخلونه في بلاد فرنسا ما وراء البحار .

ومن فقرات هذا الخطاب المشهوره قوله قدس الله روحه : « اذا كان ضياع الحق في سكوت اهله عنه ، فما ضاع حق من ورائه طالب ، وان حق الامة المغربية لا يضيع ، فنحن بعون الله على حفظ كيان البلاد ساهرون ، ولضمان مستقبلها الزاهر عاملون ».

وقد كان لهذه الرحلة رد فعل قوي في الاوساط الاستعمارية بفرنسا والمغرب ، وغير المقيم العام المدني بمقيم عسكري واشتد التوتر بين القصر والاقامة ، مما ادى الى رحلة جلالته لفرنسا بقصد استطلاع الراي الرسمي لحكومتها في مستقبل المغرب .

ولا حاجة بنا الى استعراض الحرب الباردة بين الطرفين والتحدي الذي كان العاهل الكريم يقابل به مشاريع تثبيت الوجود الفرنسي في المغرب والتضريب بين القصر وكبار القواد ورجال الاقطاع المغاربة وتحريضهم على العصيان والتمرد والخروج عن طاعة الملك ، وتولى زعامة هذه المؤامرة باشا مراكش الحاج التهامي الكلاوي ، واقتنعت فرنسا بفكرة خلع الملك التي روج لها هؤلاء المخدوعون لسلطات الاستعمار ، ونفذتها الاقامة العامة وكانت غلطة فادحة لم يفكر الوجود الفرنسي بالمغرب انها ستكون الضربة القاضية عليه .

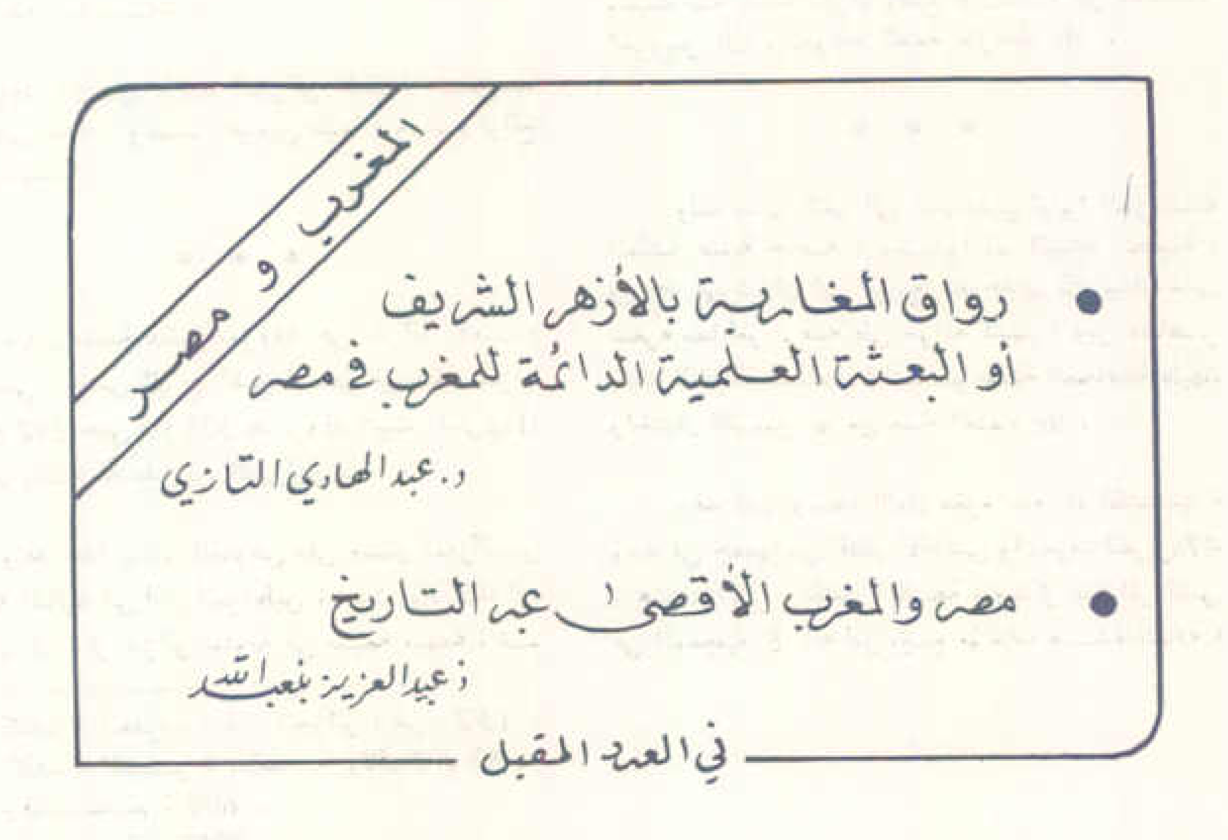
وكذلك كان ، فقد اعلن عندها النفير العام في البلاد ، وقام المواطنون على قدم وساق لخوض معركة التحرير مع المستعمر الغاشم ، ولم تمر الا ايام معدودة حتى كان الفدائي الباسل علال بن عبد الله يداهم الدمية التي وضعت فوق العرش ، بسيارته

المنداعية فيسقطه ارضا من ظهر الجواد الـذي كان يمتطيه في موكب صلاة الجمعة ويتفـرق الموكـب مذعورا ، ويطلق احد الضباط الفرنسيين المراقبون الموكب الرصاص على الفدائي فيستشهد دفاعا عـن وطنه ومقاومة للاحتلال الاجنبي .

وتتوالى اعمال المقاومـة ، ويشن الفدائيـون الابطال الغارات الشعواء على اساطيـر الاستعمـار واعوانهم من الخونة ، وتصير الجنة التي طالما حلم بها المعمرون الاجانب جحيما يتأجج بنار المفرقعـات وطلقات المسدسات واحراق الممتلكات ، فلا يبقى لهم امل في الاقامة بالمغرب ولا في نهب ثروته واستعباد اهله ، والمحظوظ منهم من وجد مقعدا في طائرة او مكانا في باخرة الفرار سالما بجلده الى فرنسا .

وهنا لم تجد الحكومة الفرنسية ملجا الا محمد الخامس تستنجد به للخروج من الازمة المستحكمـة وانقاذ الموقف بأي ثمن كان ، وتفتـح المفاوضـات لرجوع الملك المنفي بجزيرة مدغشقر ويملـي محمد الخامس شرطه الوحيد وهو الاعتـراف باستقـلال المغرب ، ويخضع الخصم ويعود العاهل المفدى الى بلاده معززا مكرما حاملا بشارة الاستقلال الى شعبه الوفي ، مستهلا اول خطاب له عند نزوله بأرض الوطن، بقوله تعالى : « الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ، ان ربنا لغفور شكور » .

**طنجة : عبد الله كنـون**



لمحة عن

# تاريخ الخزائن الملكية بالمغرب الأقصى

للأستاذ محمد المنوني

تتوفر معلوماتنا – الى حد – بالنسبة لخزائن الموحدين والشرفاء ، بينما تقل المصادر التي تهتم ببقية هذه المؤسسات .

وقد كان من تقاليد الخزائن الملكية تخصيصها بدار على حدة ، ونصب القيمين عليها ، ووضع لوائح لمحتوياتها .

* * *

واول مكتبة ملكية معروفة هي خزانة الامام الادريسي : يحيى الرابع الذي استمر في حكم المغرب من عام 292 حتى عام 305 هـ ، وقد اثبت البكري (1) انه كان ينسخ له عدة من الوراقين .

وبعد هذا يخيم الغموض على مسار الخزائن الملكية التالية الى ايام المرابطين ، حيث يرد عند ابن خلدون (2) ذكر خزائن لمتونة في صيغة مبهمة ، ثم يأتي التنصيص على خزانة علي بن يوسف المرابطي في خواتم اجزاء من مخطوط كتب برسم نفس السلطان ، وبقيت منه بضعة اجزاء وقطع موزعة بين مكتبة القرويين (3) والخزانة العامة بالرباط (4) .

* * *

ولما صار الامر الى الموحدين اولوا الخزانة الملكية عناية خاصة ، وشيدوا لها البناية الحفيلة ، ويوجد في ديوان ابي الربيع الموحدي (5) بيتان من شعره مما امر برقمه على خزانة كتبهم ، ومن مظاهر مكانة الخزانة عندهم ، اهتمامهم بخطة المحافظة عليها ، واختيار القيمين بها من علية العلماء (6) .

وقد كان يوسف الاول مغرما باقتناء الكتب ، وجد في جمعها من اقطار الاندلس والمغرب العربي (7) ، واهتم – اكثر – بكتب الفلسفة ، ويذكر عنه المراكشي في المعجب (8) انه امر بجمع مؤلفات هذه المادة ،

---

(1) كتاب « المغرب » ط. الجزائر ، ص. 132 .
(2) كتاب « العبر » مطبعة بولاق 7 / 83 .
(3) رقم : 605 .
(4) رقم : ك 2947 .
(5) محمد المنوني : « العلوم والآداب والفنون على عصر الموحدين » : ص. 280 .
(6) « المصدر » ص. 277 .
(7) « المعجب » : مطبعة السعادة بمصر ص. 156 .
(8) ص. 155 .

فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم الاموي بقرطبة، ومن المعروف ان كتب الفلسفة كانت تكون قسما مهما من المكتبة الاموية، وكانت هذه تشتمل — فيما يقال — على اربعمائة الف مجلد (9)، وبهذا يعرف ما كانت عليه الخزانة الموحدية من العمارة والكثرة، كما يتبين ان يوسف الموحدي هو المؤسس لاول مكتبة ملكية عظيمة بالمغرب.

وعن مصير هذه المؤسسة بعد وفاة منشئها، فان الخلفاء الموحدين التالين حافظوا عليها واضافوا لها مقتنيات جديدة (10)، ثم تعرضت لنكسة مؤسفة عند فتنة خلع عبد الواحد الموحدي الاول، فانتهب اكثر كتبها، واختل نظام ما تبقى منها، حتى اذا استقر الامر لعبد الله العادل — الذي خلف السلطان المخلوع — عمل تنظيم الباقي من كتبها، وتمييز الكامل منها (11)، ثم كان ابو حفص عمر المرتضى آخر من اهتم بالخزانة الموحدية (12) التي صارت — من بعد — الى بني مرين.

* * *

وهنا تبرز — مرة اخرى — مشكلة قلة المصادر عن سيرة الخزانة المرينية والوطاسية، حيث تعرضت اخبارها للاهمال من طرف المؤرخين المعنيين بالامر، ولا يستثنى من هذا سوى اشارات عابرة ورد اغلبها بمناسبة اهداء مؤلفات او انتساخها برسم الخزانة المرينية، ولهذا سنستعرض هذه الخزائن من خلال تلك الاشارات العابرة، وسنقدم منها تسعة :

الاولى : خزانة يوسف بن يعقوب المريني : جاء ذكرها في طالعة كتاب « الامتاع والانتفاع، في معرفة احكام السماع » تاليف محمد بن احمد بن محمد السبتي المعروف بالدراج : بمناسبة تقديم الكتاب للخزانة اليوسفية (13).

الثانية : خزانة ابي سعيد المريني الاول، وقد بقي لدينا بعض منتسخات برسمها تتمثل في شذرات من ربعة قرآنية (14)، ثم نسخة من الشمائل الترمذية (15).

الثالثة : خزانة ابي الحسن المريني : عند ابن خلدون (16) بمناسبة الحديث عن المصحف العثماني.

الرابعة : خزانة ابي عنان، وقد كان له خزانة قارة بالقصر الملكي بفاس الجديد (17)، واخرى متنقلة يحملها معه في اسفاره، وقص خبر هذه الاخيرة موظف كان يعمل في حزم كتبها، ويسمى يوسف الحزام (18).

الخامسة : خزانة ابي سالم، وبرسمها كان انتساخ كتاب : « عمل من طب لمن حب »، الذي كتبه مؤلفه ابن الخطيب باسم ابي سالم المستعين بالله (19).

---

(9) « العلوم والآداب والفنون ... » ص. 282.

(10) هذا يوخذ من مواضع من « الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشي.

(11) « الذيل والتكملة » : مجلد الغرباء مصور خ. ع. د. 1705 لوحة 17 — 18.

(12) لا يزال بقيد الوجود مصنفان انتسخا برسم خزانة عمر المرتضى : « نظم الدرر بناي احمد اجل البشر »، مع كتاب « الروضات البهية ... » : الاثنان من تاليف ابي محمد الحسن ابن القطان، وهما — معا — بخزانة القرويين رقم : 291 — 296.

(13) مخطوطته الاصلية في المكتبة الوطنية بمدريد، وبالخزانة العامة مصورة منه على الورق د 3663، ثم قام بتحقيقه ونشره الاستاذ الدكتور محمد ابن شقرون.

(14) خ. ع. ك. 2949.

(15) من ذخائر دار الكتب الوطنية بتونس.

(16) « العبر » 7 / 83.

(17) جاءت الاشارة لها عند الجزنائي وهو يتحدث عن انشاء ابي عنان للخزانة المرينية بالقرويين، حسب « زهرة الآس » ط. الجزائر، ص. 69.

(18) « الديباج المذهب ... » لابن فرحون : مطبعة المعاهد بالقاهرة. ص. 283.

(19) منه مخطوطة يخمن انها نفس النسخة المقدمة لابي سالم، وهي في مجلد ضخم بخزانة القرويين 607.

السادسة : خزانة ابي فارس عبد العزيز الاول ، وقد تعددت المؤلفات المرفوعة لها ، حيث يقع التنصيص في اولها على ذكر هذه الخزانة ، ومن ذلك ما ورد عند افتتاحية مصنفين هما : السلسل العذب للخضرمي (20) ، والدوحة المشتبكة للمديوني (21) .

السابعة : خزانة ابي فارس موسى المريني ، واليها قدم الخزاعي كتابه : « تخريج الدلالات السمعية ... » (22) .

الثامنة : خزانة ابي سعيد الثاني (23) .

التاسعة : خزانة ابي العباس الوطاسي ، جاء ذكرها بمناسبة هدية علمية وردت عليها من بعض علماء مصر (24) .

* * *

فهذه تسع خزائن ملكية : مرينية ووطاسية ، ويلحق بها خزانة العزفيين امراء سبتة في صدر العهد المريني ، وقد المع في « اختصار الاخبار (25)» الى خزانة القاضي بسبتة : ابي العباس احمد بن القاضي محمد بن احمد اللخمي ثم العزفي ، وبعدها يأتي ذكر خزانة امير سبتة : ابي القاسم العزفي ابن ابي العباس المذكور قبله ، وقد جاء التصريح بها في خاتمة مخطوطة قديمة من كتاب « الدر المنظم ، في مولد النبي المعظم (26) » .

* * *

ويعتبر قيام السعديين بداية لعصر الشرفاء ، فيشمل ــ الى جانب هذه الدولة ــ عصر العلويين ، ومن ميزات هذه الفترة انبعاث الكتابة في التاريخ المغربي ، واستمرار كثير من مؤلفاته على قيد الوجود ، يعززها ــ في هذا الصدد ــ مصادر اخرى مكتبية ، وبهذا صار في المستطاع ان يعرف ــ الى حد ــ نشاط الخزائن الملكية في عصر الشرفاء .

وقد ظهرت ــ في عصر السعديين ــ مجموعة جديدة من خزائن الملوك والامراء : بينها خزانة اميرة سعدية ، ثم لمعت في اعقاب هذا العصر خزانة امارة ايليغ بسوس ، وبهذا بلغ مجموع هذه الخزائن تسعة :

الاولى : خزانة الاميرة مريم بنت السلطان محمد الشيخ الاول ، وبرسمها كانت كتابة مصحف شريف ، جاء في خاتمته التصريح بانتساخه لخزانتها : بتاريخ فاتح شعبان عام 967 هـ (27) .

الثانية : خزانة الامير محمد بن عبد القادر بن السلطان محمد الشيخ الاول ، وهي التي ورد ذكرها عند نهاية المصحف الكريم المكتوب باسمها : بتاريخ اوائل رمضان عام 968 هـ (28) .

كما كتب لنفس الخزانة « ديوان نزهة القلوب»: على يد سعيد بن محمد التونسي : عام 965 هـ (29).

الثالثة : خزانة السلطان عبد الله الغالب بن السلطان محمد الشيخ الاول ، وقد انتسخ لها

---

(20) منشور بمبادرة الاستاذ الكبير محمد الفاسي الفهري في « مجلة معهد المخطوطات العربية » : بالجزء الاول من المجلد العاشر ، ص. 37 ــ 98 .

(21) محمد المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين » ص. 100 .

(22) منه مخطوطة جيدة خ. م. 1397 .

(23) يذكر الزياني عن ابي سعيد الثاني انه كان مولعا بجمع الكتب ، حسب « بغية الناظر والسامع ...» خ. م. 678 .

(24) « دوحة الناشر » لابن عسكر ، مطبعة دار المغرب ، ص. 4 .

(25) المطبعة الملكية ، ص. 32 .

(26) انظر « ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ص. 267 .

(27) خ. ع. ج. 656 .

(28) خ. ع. ج. 606 .

(29) خزانة القرويين 65 .

ـ بدورها ـ مصحف شريف يحمل تاريخ اوائل رمضان عام 975 هـ (30).

وبعده « كتاب الوصول لحفظ الصحة في الفصول » للسان الدين ابن الخطيب : بتاريخ اواخر شعبان عام 978 هـ (31).

الرابعة : خزانة السلطان ابي العباس احمد المنصور الذهبي ، وهي كبرى خزائن عصر الشرفاء ، فيقول اليفرني (32) عن مؤسسها : « وكانت له عناية تامة باقتناء الكتب والتنافس في جمعها من كل جهة : فجمع من غرائب الدفاتر ما لم يكن لمن قبله ، ولا يتهيأ لمن بعده مثله ».

ولاجل ان نتأكد من جدية شهادة « نزهة الحادي » : نسجل ان كتابا معاصرا (33) يقدر محتويات هذه الخزانة باثنين وثلاثين الف كتاب.

وقد لاحظ الفشتالي (34) وفرة المؤلفات المعاصرة بهذه المؤسسة ، وهو يقول في هذا : « وقد اشتملت الخزانة الكريمة العلية الامامية الشريفة اليوم : على عدد جم من تصانيف اهل العصر في كل فن ، حتى في الطب والهندسة ».

واذا كان هذا المصدر لا يحدد ارقام هذه المصنفات المعاصرة ، فان المقري (35) يقدرها بما ينوف على مائة تاليف في خصوص الموضوعات المدونة برسم الخزانة المنصورية.

وقد استفادت هذه الخزانة من العلاقات الودية التي كانت تربط الدولة بالشرق والغرب ، فترادفت عليها هدايا الكتب من المشرق الاسلامي (36) ، كما ان بعض اكابر المسيحيين الغربيين قدم للمنصور مصنفا طبيا مكتوبا بلغة اجنبية (37) يترجح انها اللاتينية.

وسوى هذا فقد كان السلطان السعدي يوفد البعثات للقاهرة والاستانة بقصد شراء الكتب واستنساخها ، ويبذل فيها التعويضات السخية (38)، وفي ترجمة محمد امين الدفتري التركي (39) : انه كان يجمع نفائس الكتب ويبعث بها الى المنصور.

ومن الجدير بالتنويه ان هذه الخزانة كانت مفتوحة في وجه بعض الباحثين : فيذكر احمد بابا التنبكتي : انه استفاد منها ـ كثيرا ـ في تاليفه « نيل الابتهاج بتطريز الديباج (40) ».

---

(30) محفوظ في مكتبة المتحف البريطاني ، حيث جاء وصفه في « ملحق فهرس هذه المكتبة » ص. 43 ، رقم : 68.

(31) خ. م. 590 ، والى خزانة عبد الله الغالب اهدي مفتي الحرمين الشريفين قطب الدين محمد بن علاء الدين احمد الحنفي : كتاب « التمثيل والمحاضرة بالابيات المفردة النادرة » ، مخطوط دار الكتب المصرية ، حسب وصفه بفهرسها 3 / 68.

(32) « نزهة الحادي ... » ، ط. فرنسا ، ص. 136.

(33) مجلة « دعوة الحق » : العدد الثالث من السنة الثانية ، ص. 22.

(34) « مناهل الصفا ... » ، نشر مطبعة ومكتبة عصرية بالرباط ، ص. 304.

(35) « روضة الآس ... » ، المطبعة الملكية ، ص. 69 ـ 70.

(36) من ذلك « البحر الزخار والعيلم التيار » من تاليف الجنابي : مصطفى بن حسين بن سنان الحسيني التركي، حسب اشارة واردة في مجموعة رسائل سعدية ، تحقيق : الاستاذ الكبير عبد الله كنون ، نشر معهد مولاي الحسن بتطوان ، ص. 241.
ومن ذلك « شرح ترضيح ابن هشام » ، حيث قدمه مؤلفه ابو بكر الشنواني للخزانة المنصورية ، حسب الخفاجي في « ريحانة الالبا ... » المطبعة العثمانية بالقاهرة ، ص. 143 ـ 144.

(37) « روضة الآس ... » ص. 217.

(38) « رسائل سعدية » ص. 80 ـ 81.

(39) « خلاصة الاثر » للمحبي ، المطبعة الوهبية بمصر 4 / 293.

(40) انظر افتتاحية ثلاث مخطوطات من « نيل الابتهاج » : خ. م. 1896 . 2358 . 4206.

كما ان احمد الحجري يعترف — هو الآخر — بان المنصور كان يفيده بكتب خزانته (41) .

هذا الى ان ابا جمعة الماغوسي اعاره نفس الماهل 500 كتاب اخرجها من خزانته ، حتى يفيد منه العالم المراكشي في تاليف شرح « درر السقط في مناقب السبط » لابن الابار (42) .

وقد كان لثلاثة من ابناء المنصور خزائن اسسوها من عهد والدهم ، وسيتبع تقديمها التسلسل العددي للارقام السابقة .

ولهذا ستكون المكتبة الخامسة هي خزانة ابي فارس عبد الله الواثق ، ومن بقاياها نسخة جيدة من « التشوف » للتادلي ، وهي مصدرة بتملكه للكتاب بخطه ، مع تحلية اسافل الصفحة الاولى والاخيرة بطابع صغير بيضوي الشكل ، ومرسوم بداخله اسم ابي فارس بخط شرقي مشتبك (43) .

السادسة : خزانة محمد الشيخ المامون ، وقد كتب برسمها ابو القسم الوزير الغساني مؤلفه : « الروض المكنون في شرح رجز ابن عزرون » ، وفرغ من انتساخه في 18 جمادى الثانية عام 999 هـ بمدينة فاس (44) .

السابعة : خزانة ابي المعالي زيدان ، وتتكون من مكتبة والده « المنصور » ، ثم مما صار اليه من مكتبتي اخويه ابي فارس والمامون المتوفيين قبله ، ولا شك انه اضاف لهذه الخزائن كتبه الخاصة ، وهي التي تحمل اوائلها توقيعاته بخطه الشرقي هكذا : « من كتب زيدان امير المؤمنين بن احمد المنصور امير المؤمنين الحسني » ، او ما يشابه هذا التعبير (45) .

وقد كان من محتويات هذه الخزانة مؤلفات باللاتينية ، وكانت تنقل في البلاط الزيداني الى اللغة القشتالية لتترجم منها — بعد — الى العربية (46) .

وهكذا يتبين ان هذه المكتبة ربما تضخمت اكثر من خزانة المنصور .

وعن مصيرها : نشير الى انها تعرضت لنكبة بعد ثورة ابن ابي محلى ضد زيدان عام 1020 هـ — 1612 م ، فان هذا الاخير اضطر الى مغادرة مراكش لآسفي ، حتى يسافر منها — على طريق البحر — الى اكادير ، وفي مرسى آسفي استاجر مركبا فرنسيا حمله ذخائره وكمية من عيون خزانته تقدر بنحو اربعة آلاف مخطوط : في مختلف العلوم والفنون ، ثم آل امر هذا المركب الى ان اسره القرصان الاسبان ، وذهبوا به الى اسبانية غنيمة باردة ، فامر الملك فيليب الثالث ان توضع الكتب في دير الاسكوريال ، وفي اثناء سنة 1671 م : شب في الدير حريق عظيم التهم قسما مهما من هذه الكتب ، ولم يسلم منها الا نحو الفي مجلد (47) .

وهي الباقية — اليوم — من المكتبة الزيدانية في قصر الاسكوريال ، حيث وضع لها — على التوالي — ثلاث فهارس : الاول : قام به ميشيل كازيري Michel Casiri السوري الماروني ، في مجلدين بعنوان : « المكتبة العربية الاسبانية في الاسكوريال » وظهر المجلد الاول سنة 1760 م ، والثاني سنة 1770 م .

ثم قام المستشرق الفرنسي هارتفج ديرانبورغ Hartwig. Derenbourg بوضع فهرس جديد لها ، وطبع المجلد الاول منه سنة 1884 م تحت عنوان : « مخطوطات الاسكوريال العربية » ، وفي

---

(41) مجلة « دعوة الحق » : العدد الثالث من السنة الثانية ، ص. 22 .

(42) « اليواقيت الثمينة ... » لمحمد البشير ظافر الازدي ، مطبعة الملاجيء العباسية بمصر 162/1.

(43) خ. م. ج. 859 .

(44) خ. ع. د. 1386 .

(45) من نماذج ذلك مخطوطان بالاسكوريال رقم 1634 ، 1639 من فهرس بروفنسال .

(46) « مراكش » لمؤلفه — بالفرنسية — المستشرق ديفردون . ص. 434 .

(47) مقدمة فهرس بروفنسال . ص. 8 — 9 .

سنة 1903 م صدر الكراس الاول من المجلد الثاني (48) .

وبعد وفاة ديرانبورغ اصدر ليفي بروفنسال Levi Provençal مجلدا جديدا يتمم عمل سابقه ، ونشر سنة 1928 م بعنوان : « قائمة المخطوطات العربية في الاسكوريال » .

هكذا ضاع قسم مهم من الخزانة السعدية ، وذهب بعضه ضحية الحريق الذي شب في دير الاسكوريال ، بينما استقر ما تبقى منه في خارج المغرب باسبانية ، اما الباقي من هذه المكتبة في القصر الزيداني بمراكش ، فقد اخذ طرفا منه ابو زكرياء الحاحي عند خروجه من هذه المدينة الى رباطه بسوس ، بعد ما كان دخلها لنجدة زيدان ضد ابن ابي محلي (49) .

واخيرا تشتتت البقية الباقية من الخزانة السعدية من جراء الفتن التي عاشها المغرب في اعقاب هذا العصر ، حيث تناثرت ذخائرها بين كبريات الخزائن المغربية .

وبعد هذا فان المغرب لم يتنازل ــ ابدا ــ عن المجموعة الزيدانية بالاسكوريال ، ومن الثابت ان كلا من زيدان وابنه الوليد الحا ــ دون جدوى ــ على استعادة مخطوطات الاسكوريال الى مقرها بالمغرب (50) ، ثم استمرت هذه المطالبة حتى عهد السلطان العلوي محمد الثالث ، وكان هذا من اشغال سفارة محمد بن عبد الوهاب ابن عثمان المكناسي ، وهي التي الف عنها « الاكسير في فكاك الاسير » .

وقد ذكر ابن عثمان جامع هذه الرحلة : ان كارلوس الثالث قدم له مخطوطات عربية برسم سلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الله ، واشفعها بالاعتذار عن كتب الاسكوريال التي لا يمكن اخراج شيء منها ، حيث انها محبسة والى نظر الباب مباشرة، وقد سجل نفس المؤلف شعوره حين عاين خزانة الاسكوريال ، وعبر عن هذا في الرحلة قائلا :

« فخرجت من الخزانة بعد ان اوقدت نار الاحزان بفؤادي نارها ، ونادت يا للثارات فلم ياخذ احد ثارها ، يا ليتني لم ارها (51) » .

وهكذا يرسم ابن عثمان احساسه الفردي ازاء هذه المجموعة المغربية ، بعد ما تحدث عن المساعي الرسمية في هذا الصدد .

والى عهد السلطان العلوي المولى سليمان ، لم يستطع المغرب ان ينسى ماساة الكتب الزيدانية ، ولا شك ان هذا كان الحافز لاحد اعيان المغاربة في العصر السليماني لان يقترح ترجمة فهرس الاسكوريال للكازيري : من اللاتينية الى العربية ، والمعني بالامر هو وزير السلطان ابي الربيع : محمد بن عبد السلام السلاوي اللقب ، المكناسي الدار ، حيث كلف مترجما ــ لا يزال مجهول الاسم ــ بنقل هذا الفهرس الى العربية ، حيث وقع الفراغ من انتساخه عشية الخميس متم ربيع الثاني عام 1226 هـ ، الموافق 23 ماي سنة 1811 م ولا تزال بقيد الوجود المخطوطة الاصلية لهذه الترجمة (52) .

والآن بعد مكتبة زيدان : نشير الى الخزانة الثامنة ، وهي لابنه الوليد ، وقد اهديت له منظومة طبية ، ومصنف في التوحيد (53) .

---

(48) ولنفس المؤلف نقد المخطوطات العربية في مكتبة الاسكوريال ، نشر ضمن مجموعة تكريم كوديرا سنة 1904 .

(49) « درة السلوك . . . » للامير العلوي عبد السلام بن السلطان محمد الثالث ، مخطوط خ. م. 237 ، ص. 215 .

(50) انظر عن مطالبة زيدان : مجلة « تطوان » ع. 9 ، ص. 127 ــ 128 ، وعن الوليد : ديغردون في كتابه « مراكش » ، ص. 435 .

(51) « الاكسير في فكاك الاسير » : نشر المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط ، ص. 127 ، 144 ، 145.

(52) للتعريف بهذه المبادرة المغربية : انظر محمد المنوني : « ترجمة مغربية لفهرس الاسكوريال » : مجلة « البحث العلمي » : العدد السادس ، ص. 16 ــ 23 .

(53) « نزهة الحادي » ، ص. 245 .

واخيرا : تكون خاتمة المطاف خزانة امير ايليغ قرب تزروالت بسوس ، ومن الثابت أن ابا حسون علي بن محمد بودميعة السملالي : كان يستنسخ الكتب من الزاوية الدلائية (54) .

* * *

بعد النكبات التي حاقت بالكتب ايام السعديين ، عملت الدولة العلوية — بعد استقرارها — على بعث هذا الاهتمام من جديد ، وتأسست الخزانة السلطانية العلوية ، فتجمع بها بقايا المكتبات السعدية وخزائن الامارات المنقرضة ، وتم هذا ايام السلطان الرشيد ابن الشريف ، الذي جعل مقر الكتب في القصر الملكي بفاس الجديد ، ولتوسيع الخزانة الجديدة وضع نفس السلطان النواة الاولى لديوان الوراقة العلوية ، برسم انتساخ الكتب للخزانة الملكية (55) ، وستنمو معطيات ديوان الوراقة من بعد ، وتمد مكتبات الملوك والامراء الآتين : بمجموعات كبرى من المخطوطات والنفائس ، بعدما اضيفت لها مقتنيات اخرى بالشراء والهدايا ، وبهذا كله تكاملت شخصية خزائن العلويين ، بعد ان ساهم في تأسيسها الملوك والامراء على السواء .

وحتى عهد السلطان ابي الربيع : كانت الخزانة العلوية تتركز في مدينة واحدة : بفاس : ايام الرشيد وأبي الربيع ، وفي مكناس : ايام المولى اسماعيل وابنائه الملوك من بعده ، ثم في مراكش : على عهد السلطان محمد الثالث .

وابتداء من عصر المولى عبد الرحمن تتعدد الخزائن الملكية ، وتتوزع بين ثلاث مدن كبرى : هي فاس ومكناس ومراكش ، تجاوبا مع التنقلات بين ربوع المملكة التي صارت تطغى على اعمال السلاطين العلويين ، خلال القرن التاسع عشر .

ومع مر الزمن الى بدايات القرن العشرين : يبلغ عدد هذه المؤسسات زهاء عشرين مكتبة سلطانية وأميرية .

واولاها : هي خزانة الرشيد بن الشريف بالقصر الملكي من فاس الجديد ، وهي التي المع لها مدخل هذا العهد كاول مكتبة ملكية في هذا العصر .

اما السلطان المولى اسماعيل فقد اسس دار الكتب بمكناس ، وجعل مقرها قبلة جامع الانوار الذي كان يوجد عند مدخل القصبة الاسماعيلية ، وكانت هذه الخزانة عبارة عن دار تعرف بدويرية الكتب ، وتشتمل على قاعتين فسيحتين ، تفصل بينهما ساحة متسعة يغطيها سقف تتوسطه حلقة محمولة على اربع اسطوانات رخامية (56) .

وعن محتويات هذه المكتبة يقول اليفرني (57) في صدد حديثه عن مؤسسها : « واما آلات العلم وجمع الكتب ونفائس الذخائر : فله — نصره الله — في ذلك الهمة البالغة ، والرغبة السابقة .. وقد جمع من الدفاتر ما يحير العاقل » .

وقال — عن نفس المكتبة — مؤلف « زهر البستان (58) » : « وبها من الكتب العلمية ألوف عديدة ، فيها من كل فن ما تحصل به رغبة القاصدين من العلماء الاعلام : من جميع هذه الايالة الشريفة » .

وقد افاد « زهر البستان » — ايضا — ان هذه المكتبة كانت مفتوحة في وجه الاعلام من سائر المغرب ، وهذا ما يؤكده — مرة اخرى — مؤلف درة السلوك (59) .

وبعد وفاة مؤسس المكتبة الاسماعيلية استمرت في مقرها بمكناس ، خلال ايام الملوك من ابناء المولى اسماعيل .

---

(54) محمد المختار السوسي في « خلال جزولة » 2 / 62 .
(55) فى خاتمة « نشر المثاني » المخطوط خ. ع. ك 2253 : اشار مؤلفه الى اسم المؤذن السجلماسي وراق السلطان العلوي الرشيد بن الشريف .
(56) « زهر البستان ... » لمحمد العياشي ، مخطوط ضمن مجموع خ. ع. د 2152 .
(57) « روضة التعريف » : المطبعة الملكية ، ص. 68 — 69 .
(58) المخطوط الآنف الذكر .
(59) المخطوط السابق الذكر ، ص. 221 .

ومن الثابت ان السلطان مولاي عبد الله حبس كتبا منها على بعض الخزائن الوقفية العامة بالمغرب (60)، كما اهدى منها مصاحف شريفة للمسجد النبوي بالمدينة المنورة (61).

وفي دولة ابنه محمد الثالث: كانت محتويات المكتبة العلوية تقدر بما يزيد على اثني عشر الف مجلد، وقد قرر لها مصيرا مشرفا، واوقفها على مساجد المغرب (62).

وسوى المكتبة الاسماعيلية: فان ابناء المولى اسماعيل الذين بسجلماسة اهتموا – من جهتهم – بالكتب، فكن لكل واحد منهم خزانة كبيرة (63).

ودرعة هي – الاخرى – كان يتولى عمالتها احد ابناء ابي الفداء، وهو الامير العالم المولى الشريف حيث كان يقيم بقصبة اغلان، وكان – حسب الدرر المرصعة (64) – مغرما باقتناء الكتب، لا سيما التاريخ والادب، فانه جمع منها شيئا كثيرا: بالابتياع والاستنساخ، وتوفي عام 1139 هـ.

وسيأتي بعد ابناء ابي الفداء: دور السلطان محمد الثالث، وقد اعاد تأسيس الخزانة العلوية من جديد، وجعل مقرها بمدينة مراكش، حيث جمع فيها كتبا نفيسة وكثيرة رتبها احسن ترتيب (65)، واستجلب من الشرق مصنفات حديثية مهمة (66).

وفي عصره كان ابنه الامير علي يمتلك مجموعة من كتب العربية والادب، وتوفي – في حياة والده – عام 1198 هـ (67).

وحسب الزياني (68) فان مكتبة السلطان المولى سليمان بفاس: كانت تطغى عليها المادة التاريخية، وهو يقول عنه في هذا الصدد: « واجتمع عنده – في خزانته – من كتب التاريخ ما لم يجتمع لاحد، لولوعه به ».

وبعد المولى سليمان: يصل هذا العرض الى السلطان ابي زيد بن هشام، ويعتبر عهده بداية لتعدد مقر الخزانة الملكية، فصار بكل من مدن فاس ومكناس ومراكش: خزائن سلطانية عامرة، ثم سار الحال على هذا من بعد (69).

---

(60) يشير لهذا ما تبقى من الكتب التي اوقفها هذا السلطان على بعض الخزائن الوقفية.

(61) « البستان الظريف ... » للزياني، مخطوط خ. م. 242، مع « الاستقصا » للناصري، دار الكتاب بالبيضاء 7 / 159.

(62) المصدران الاخيران.

(63) محمد المنوني: « دور الكتب في ماضي المغرب » مخطوط خاص.

(64) مخطوطة خ. ع. ك 265، ص. 167 – 169.

(65) « دائرة المعارف » الوجدية: 8 / 706 – 707.

(66) « البستان الظريف » للزياني، مع « الاستصقا » 8 / 66.

(67) المصدران الاخيران.

(68) « الروضة السليمانية ... » للزياني، مخطوطة خ. ع. د 1275.

(69) تحتفظ الخزانة الحسنية ببعض اللوائح لهذه الخزائن بالمدن الثلاث كالآتي:

**فعن عصر السلطان المولى عبد الرحمن:**

– قائمة خزانة مراكش: رقم 4263.
– قائمة خزانة مكناس: رقم 6586.

**وعن عصر السلطان محمد الرابع:**

– قائمة خزانة فاس: رقم 4429.
– قائمة خزانة مكناس رقم 4259.

**وعن عصر السلطان الحسن الاول:**

– قائمة خزانة مكناس: رقم 4433.
– قائمة خزانة فاس: رقم 8256.
– قائمة خزانة فاس ايام السلطان العزيز: رقم 4883.
– قائمة خزانة فاس ايام السلطان الحفيظ: رقم 4428.

ومن الجدير بالملاحظة ان اهتمامات الذين جاءوا بعد السلطان ابي زيد : انعكست على محتويات المكتبات الملكية الثلاث ، ففي ايام السلطان محمد الرابع : كان من بين ما اضيف لهذه الخزائن مجموعات من كتب الرياضيات والفلك والمترجمات المغربية من الفرنسية الى العربية ، تجاوبا مع اتجاه السلطان محمد بن عبد الرحمن ، وقد كان يهتم بهذه المواد في الدرجة الاولى (70) .

ثم كان من بين ما اضيف لنفس الخزائن ايام السلطان الحسن الاول : مصنفات في الطب والكيميا والتنجيم والاوقاف، حيث كان نفس العاهل كلفا بهذه العلوم ، وبعث في انتساخها بعض الوراقين المغاربة الى اسبانية والاستانة ، كما استنسخ بعضها من القاهرة (71) .

وبعد السلطان الحسن الاول : فان ابنيه ابا فارس وعبد الحفيظ ، انتخب كل منهما مكتبة شخصية انتقل مقرها ــ من بعد ــ الى مدينة طنجة .

وقد كان المولى عبد الحفيظ مغرما بجمع الكتب الى حد بعيد ، وجمع منها في المكتبة الملكية بفاس ذخائر عظيمة وكثيرة ، استحضرها من سائر جهات المغرب وبالخصوص من المكتبتين الملكيتين بمكناس ومراكش .

وهكذا عاشت الخزائن الملكية الثلاث خلال القرن التاسع عشر واوائل الذي بعده ، الى ان صار ما تبقى منها للخزانة الحسنية الحالية ، حيث سنتحدث عنها وشيكا .

وقد عاصر المكتبات السلطانية الثلاث ــ في نفس الفترة ــ خمس خزائن اميرية اربعة منها لاربعة من ابناء السلطان المولى عبد الرحمن .

ففي مكناس : مكتبة المولى العباس (72) .

وفي مراكش : مكتبة المولى علي (73) .

وفي سجلماسة : مكتبتان للاميرين المولى سليمان والمولى الحسين (74) .

كما كان في المدينة الاخيرة مكتبة الامير الرشيد بن السلطان محمد الرابع (75) .

* * *

حتى اذا جاء عصر المغفور لهما جلالة السلطان محمد الخامس ، ومن قبله عهد والده السلطان المولى يوسف : تأسست « الخزانة الملكية » بالرباط ، فأخذت تنمو بما يدخل لها من المخطوطات والمطبوعات والوثائق .

غير ان عصرها الذهبي هو عهد العاهل العالم : جلالة الملك الحسن الثاني ، ولاول عصره اضيفت لها مجموعة ضخمة من مخطوطات الخزانة الملكية بفاس، وبعد ذلك دخل لها ــ تباعا ــ اعداد مهمة من المخطوطات ، بينها مشتريات بعض الخزائن المغربية بكاملها ، وبين هذه وتلك نوادر وذخائر تتفرد بها هذه المؤسسة على نظيراتها بالمشرق والمغرب والغرب .

---

(70) انظر توضيح هذا الاتجاه عند محمد المنوني : « مظاهر يقظة المغرب الحديث » : 1 / 97 .
(71) محمد عبد الحي الكتاني : قطعة من رسالة عن المكتبات الاسلامية مبيضة المؤلف خ. ع. ك 3002 ، مع اضافة اشارات واردة في مخطوطات خ. م. ارقام : 128 ، 129 ، 136 ، 141 ، 201 .
(72) « اتحاف اعلام الناس ... » لابن زيدان 5 / 412 ــ 413 .
(73) « المصدر » 5 / 240 .
(74) « دور الكتب في ماضي المغرب » .
(75) نفس المصدر .

### اشارات

ــ خ. ع. د. : قسم حرف الدال من الخزانة العامة بالرباط .
ــ خ. ع. ك. : قسم حرف الكاف من الخزانة العامة بالرباط .
ــ خ. ع. ج. : قسم حرف الجيم من الخزانة العامة بالرباط .
ــ خ. م. الخزانة الحسنية .

ومن عام 1382 هـ – 1962 م : بدا العمل في تنظيمها بمساهمة جماعة من الاختصاصيين ، على راسهم الاساتذة : محمد الفاسي ، وعبد الوهاب ابن منصور ، والمرحوم عبد الله الرجراجي ، وفي الجماعة المنظمة الى جانب كاتب هذه الافتتاحية : الاساتذة : المرحوم محمد العابد الفاسي ، ومحمد ابراهيم الكتاني ، والصديق بن العربي ، الى ثلة من المساعدين من موظفي الخزانة العامة ، بينما كان الاستاذ الحسن اليونعماني على راس ادارة الخزانة الملكية .

وكانت المرحلة الاولى من العمل : تمييز المخطوطات من المطبوعات ، وتنسيق اجزاء المخطوطات فيما بينها ، وتنظيم وضعها بالرفوف .

وبعد هذا وقع الشروع في تسجيل المخطوطات على الجذاذات المنوعة ، وفي الدفتر العام ، غير ان كثرة الايدي المشتغلة – آنذاك – سبب نوعا من الارتباك في التسجيل ، بالاضافة الى ان وفرة المخطوطات بالخزانة الملكية يتطلب خطة سريعة ومركزة ، لاستيعاب تسجيل جميع المخطوطات .

ولهذه الغاية عقد اجتماع بالخزانة العامة برئاسة مديرها الاستاذ المرحوم عبد الله الرجراجي ، فتقرر فيه الاكتفاء بثلاثة موظفين يستمرون في هذا العمل ، كان احدهم كاتب السطور ليضطلع – فى فترة الصباح – بتسجيل المخطوطات في الدفتر العام بدءا من رقم : 3321 .

وما في الدفتر يدونه الشريف السيد قاسم الادريسي في ثلاث جذاذات : للفنون . وعلى اسم المؤلف . وفي عنوان المخطوط ، ثم يرتب ذلك في الصناديق المعدة للفهارس .

بينما يقوم السيد التهامي يحيى بتسجيل الارقام على الكتب ، وتنسيق وضعها بالرفوف .

وقد سرت في التسجيل بالدفتر العام : على ذكر عنوان الكتاب كاملا ، واسم مؤلفه كاملا ، والبحث عن ذلك ان كان غير موجود بالمخطوط ، مع بيان عدد الاجزاء ونوع الفن ، وما يتبع ذلك من الملاحظات .

وهكذا تابعت العمل بالخزانة الملكية في الفترة الصباحية ، وفي فترة المساء اتابع عملي في قسم المخطوطات بالخزانة العامة .

ثم انقطعت – مؤقتا – عن الاشغال بالخزانتين – معا – الا قليلا : بعد استدعائي – عام 1388 هـ – 1969 م – الى وزارة الثقافة والتعليم الاصلي ، للاشراف على مصلحة المخطوطات وجائزة الحسن الثاني ، الى ان عدت للخزانة الملكية عام 1395 هـ – 1975 م ، فتابعت تسجيل المخطوطات حتى رقم 11088 .

* * *

وهنا بدات مرحلة وضع الفهارس المتكاملة لمخطوطات الخزانة الملكية ، وسار العمل في اتجاهين :

اتجاه فهرسة مادة معينة : وذلك ما كلف به الاستاذ محمد عبد الله عنان ، فوضع فهرس كتب التاريخ والرحلات ، وهو منشور .

كما ان مدير الخزانة الملكية الاستاذ محمد العربي الخطابي : أعد فهرسا يستوعب كتب الطب والصيدلة ، وهو منشور .

وفي نطاق الاتجاه الثاني : كلفت باختيار مجموعة من المخطوطات مرتبة على الفنون ، ونشر ذلك في جزء تتصدره مقدمة من عمل الاستاذ عبد الرحمن الفاسي مدير الخزانة الملكية آنذاك .

وانتدبت – مرة ثانية – لوضع فهرس يتابع ارقام المخطوطات انطلاقا من اول رقم ، ويسير على ترتيب الفنون ، وهو الذي يقدم الجزء الاول منه بهذه الافتتاحية .

وبالاضافة الى ترتيب هذا الفهرس على الفنون ، سرت في عرض مخطوطات كل علم حسب الترتيب الهجائي المغربي .

واخذت بعين الاعتبار ان الهدف من فهرسة المخطوطات هو التعريف بها في وصف كاشف يستوعب المعلومات اللازمة ، اما دراستها بطريقة موسوعية فامر له مجال آخر .

فلهذا لم اتوسع في دراسة الموضوعات والابواب والفصول لكل مخطوط الا عندما تدعو الحاجة لذلك ، والله – سبحانه – وراء القصد .

**الرباط : محمد المنوني**

من رجالات سبتة المغمورين :

# أبو حمادة

-2-

للأستاذ سعيد أعراب

تحدثت في مقال سابق (1) عن جوانب من حياة ابي عبد الله محمد البرنسي السبتي ، وهو من الشخصيات المغمورة في تاريخ المغرب ، وقد اطلعت اخيرا على نصوص (2) تلقي اضواء كاشفة عن بعض جوانب اخرى فاتني الحديث عنها فيما كنت كتبته سابقا ، وهي تعني طائفة من شيوخه ، وبعض آثاره .

ا ) فمن هؤلاء الشيوخ الذين اخذ عنهم ابن حمادة — وكنا من ذي قبل لا نعرف منهم سوى عياض — :

1 — ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي السبتي ( ت 505 هـ ) .

أورد له مختصره ترجمة موسعة وقال في حقه : انه قدم للشورى ، وولي القضاء ، وحاز الرئاسة ، وكان حسن السيرة ، وافر العقل ، وكان يسمى الفقيه العاقل ؛ درس الفقه ، وعليه تفقه جميع (3) فقهاء سبتة ، وكان امام المغرب في وقته ، ولم يكن في قطر من الاقطار — بعد يحيى بن يحيى — من حمل عنه الناس اكثر منه ، ولا اكثر صحابة من صحابته ، وكان له حظ وافر من اعمال البر ، كثير الخشية ، رقيق القلب ، سريع العبرة ، بنى جامع سبتة ، وزاد فيه زيادة مقدار تلثيه ، يقصر المال عن عمله ، ولكن الله يسر على يديه بحسن نيته ، وتردد بين قضاء سبتة وفاس مدة ، واستعفى فلم يجب الى ذلك ، فدعا الله ان يقبضه غير مفتون ، وان يريحه من الامر، فتوفى في قضائه بسبتة ، وكانت له جنازة حافلة (4).

2 — ابو محمد عبد الله بن منصور ( ت 513 هـ ) .

ذكر في ترجمته انه قدم لاجتماع الجماعة عليه، واختيار قوله ، وانه كان ذا فهم وذكاء ، وولي قضاء سبتة فاسن السيرة ، ثم نقل الى قضاء الجماعة

(1) انظر مجلة « دعوة الحق » — س : 23 ، ع 3 — ص 28 — 30 .
(2) استخرجتها من مختصر المدارك للمترجم — مخطوط الخزانة الملكية رقم ( 672 ) .
(3) لم يفصح عن تلمذته له — ههنا ، واكتفى بعموم العبارة في قوله : ( وعليه تفقه جميع فقهاء سبتة) — لكنه صرح بذلك في ترجمة ابن المرابط ، وأبي محمد المسيلي ، انظر المختصر — اللوحة : 118 ( ب ) ، واللوحة 133 — ( أ ) .
(4) انظر المختصر — اللوحة : 130 — ( ب ) ، 131 — ( أ ) .

بالحضرة ، ( مراكش ) ثم استعفى فعوفي ، ثم ولي قضاء سبتة ـ ثانية ، فبقي فيها الى ان توفي قاضيا ، قال : **وحضرت مجلسه فما رايت افهم** منه (5) !

3 ـ ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن العجوز ( ت 515 هـ ) .

قال في حقه : كان عالما نبيلا ، حسن الخط ، بصيرا بالاحكام والوثائق ، **حضرت مجلسه في تدريس المدونة** وغيرها ، فما رايت احسن منه احتجاجا ، ولا ابين منه توجيها (6) .

4 ـ ابو عبد الله محمد بن عبد الله الاموي ( ت 520 هـ ) .

قال فيه : كان حافظا للمسائل، استظهر المختصر، **وشاهدته في اا مناظرة يلقي** الكتاب تحت كتبه ، ويلقي من صدره ، وكان كثير التحري للحق ، مستعملا آثار السلف الصالح ، كثير الاقتداء (7) .

5 ـ ابو محمد عبد الله بن الفقيه ابن عيسى .

ذكر في ترجمته انه كان فهما نبيلا ، صادعا بالحق ، حسن الطريقة ، قليل المداهنة ظاهره وباطنه سواء ، **حضرت مجلسه فما رايت مثله** في تتبع الفاظ المدونة ، واستخراج الخلاف من آثارها ، وفهم معانيها ، وايقاع الخلاف موقعه ، حسن الالقاء ، كثير الهيبة ، لا يتكلم احد في مجلسه ، وكان مقدما في الشوري ، له رحلة الى الجهاد ، وسمع عليه الحديث (8) .

6 ـ ابو بكر بن حجاج بن صالح .

قال فيه : انه من اصحاب ابى عبد الله بن عيسى وحفاظهم ، رحل الى قرطبة ، وسمع من مشايخها ، ووصفه اهل قرطبة بالحفظ ، وكان يكاد يستظهر المختصر ، وكان صليبا في الحق ، صادعا به ، متبعا آثار السلف الصالح في مطعمه وملبسه ومركبه ، قليع التصنع والمواهنة ، كريم النفس والطبع ، كثير المواساة لاخوانه ـ على قلة يده ، وكان مغلظا على اهل الباطل ، نزه النفس ، قليل التلبس بالدنيا ، حضرت مجلسه في تدريس المدونة ـ عرضا ، فما رايت اقوم منه عليه ، ولا اكثر استخراجا منه للخلاف في المدونة (9) .

7 ـ ابو عبد الله محمد بن سليمان .

ذكره ـ عرضا ـ في ترجمة ابي المطرف الشعبي ، قال : روى عنه شيخنا القاضي ابو عبد الله ابن سليمان (10) ، ونقله عنه احمد بابا في نيل الابتهاج (11) ، ولعله يعني به محمد بن سليمان بن خليفة المالقي ، اورد له ترجمة عقب ترجمة ابى المطرف الشعبي ، وقال فيه : ولي قضاء بلده ( مالقه ) ، وكان من اهل العلم والنظر . الف كتابا في شرح الموطا سماه كتاب « المحلى » عرض على الفقيه ابى المطرف الشعبي ، فامر ان يجعل على الحاء نقطة من فوق « المخلى » ، ولم يتفق هذا الكتاب عند الناس ، ولا وقع منهم باستحسان (12) .

(ب) ومن آثاره التي فاتني ذكرها ـ وقد تحدثت سابقا ـ عن كتابه :

1 ـ « المقتبس في تاريخ المغرب وفاس والاندلس » .

(5) اللوحة : ( 131 ـ ب ) ـ ( 132 ـ أ ) .
(6) اللوحة : ( 133 ـ ب ) .
(7) اللوحة : 130 ـ ( أ ـ ب ) .
(8) اللوحة : 134 ـ ( أ ـ ب ) .
(9) اللوحة : 134 ـ ( ب ) .
(10) اللوحة : 136 ـ ( أ ) .
(11) انظر ص : 162 .
(12) اللوحة : 129 ـ ( ب ) ، وانظر ترجمته في الصلة 2 / 535 .

2 ـ « مختصر المدارك » ـ قلت : ومن آثاره التي لم اتحدث عنها ـ سابقـــا :

3 ـ كتاب « تاريخ اهل سبتة » ـ اشار اليه في المختصر عند حديثه عن ابي محمد عبد الله بـن غالب ، قال : ( ... وله اشعار كثيرة ، ذكرناها في كتابنا في تاريخ اهل سبتة ) (13) .

وهو كتاب أرخ فيه لفقهاء سبتـــة وعلمائهـــا وقضاتها ، وقادتها ، وزهادها ، وفضلائها ...

( جـ ) وهناك اشارة اخرى على جانب مـــن الاهمية ، وهو تصريحه بتاريخ تأليف كتابه « مختصر المدارك » ، فقد جاء في الطبقة الحاديـــة عشرة ـ وهو يتحدث عن اسرة مروان بن عبد الملك الطنجي : « ... وعبد الرحمان وكن فقيها حافظا ، وترك ابنه علي بن عبد الرحمان ـ هـــو الآن ـ عـــام ثلاثيـــن وخمسمائة ـ على تلمسان .. » (14) .

واذا اضفنا الى ذلك ، احالتـــه في مختصـــر المدارك على تاريخ أهل سبتة ، ندرك ان اكثر فقهاء سبتة الذين تحدث عنهم في المختصر ، هم خلاصة ما استوفى الحديث عنه في تاريخ اهل سبتة ، وحتى يعرف القارىء اسلوبه ومنهجه في هذا الكتاب ، نورد طائفة منهم ـ مع مقتطفات من سيرهم :

1 ـ ابو محمد عبد الله بن غالب الهمدانـــي السبتـــي ( ت 434 هـ ) .

من بيت علم وجلالة ، اصلهم من تكور سكنـــوا سبتة ، وابو غالب من اهل العلم ، صاحب وثائـــق وتفقه ، وحساب وفرائض ، وله في ذلك تأليف .

وكان ابو محمد هذا واحد عصره ـ علما ، وتقى ، وجلالة ، ودنيا ، له رحلات الى المشرق والمغرب ، وكان متفننا في علوم جمة ، قائما بمذهب المالكية ، نظارا ، حافظا ، بليغا ، اديبا ، شاعرا مجيدا ، قيل ان رجلا من اهل سبتة رفع مسالة الى القيروان ، فقيل له : اليس ابن غالب حي ؟ قال : نعم ، قيل : ما ينبغي لبلد فيه مثله ، ان يرفع منه سؤال (15) .

2 ـ ابو اسحـــاق بن يربـــوع القيســـي ( ت 433 هـ ) .

ينتسبـــون الى مرة ، اصلهم اليربوع من جنـــد دمشق الشاميين ، طلب ابراهيم العلـــم صغيـــرا ، واخذ عن شيوخ بلده ( سبتة ) ، ورحل الى الاندلس ، فلزم ابا محمد الباجي ، وسمع منه اكثر كتبه ، وكان فقيها حافظا ، متفننا ، حسن الاصول ، وكان حسن الوقوف على كتاب ابن المواز وغيـــره مـــن كتـــب المذهب ، وكان راسا في فقهـــاء سبتـــة ، ذا ورع وفضل وتحرز ، ولم يدخل في شيء مما دخل فيـــه اهل وقته من الفتنة والعصيان ... (16) .

3 ـ عثمان سعيد بن ابراهيم بن جمـــاح .

سبتي ، من بيوت الجلالة ، وابوه ابو اسحق من اهل الفقه والعلم والســؤدد ، انتهت اليـــه رئاسة سبتـــة في وقتـــه .

وكان ابو عثمان ممن اخذ عن شيـــوخ بلـــده ، ودخل القيروان طالبا وتاجرا ، فلقي شيوخها ، وكان حسن المنظر ، نظيف الثوب والمركب ، وخرج بعد عزلة الى المشرق ، ثم قدم سبتة ومات بها (17) .

4 ـ اخوه عبد الله بن ابراهيـــم ( ت نحـــو 370 هـ ) .

آخر ندرات سبتة بل ندرات المغرب ـ ذكاء ، واتقانا ، وتفننا ، شرب البلاذر ، فاعقبه خفة وتهورا ، وكان من احفظ اهل وقته لمذهب مالك ، وكان ، اذا ناظر في المدونة ، القاها من صـــدره ، وكان فقهـــاء سبتة يحيون سلطانهم البرغواطي بأحسن تحيـــة ،

---

(13) اللـــوحـــــة : 124 ـ ( أ ب ) .
(14) اللـــوحـــــة : 138 ـ ( ب ) .
(15) اللـــوحـــــة : 124 ـ ( أ ـ ب ) .
(16) اللـــوحـــــة : 124 ـ ( ب ) .
(17) اللـــوحـــــة : 125 ـ ( أ ) .

ويحضرون مجلسه ، الا هو فانه كان لا يــراه ، واذا ضمه اليه طريق ، لم يزد على : سلام عليكم ، واجتمع بأبي الوليد الباجي ، وحضر مجلسه ، فتعجب مــن حفظه ، واستخلفه على القاء المدونـــة في مجلسه — عند سفرة سافرها — ابو الوليد ، فتعجب اهــل دانيـــة من حفظـــه (18) .

5 — ابو عبد الله محمد بن غالب الهمداني .

سبتي ، من بيت علم وجلالة ، طلب العلم عنــد ابيه ، وسمع من الشيوخ ، ورحل مع ابيه فحـــج ، وسمع بمكة ومصر ، وامتحن بالاخراج من سبتة — في جملة الفقهاء — الى مالقة ، ولي قضاء سبتة ، ثــم قضاء الجماعة ، وكان من اهل الفضل والنبل والجلالة، خطيبا فصيحا ، تولى الخطابة مـــدة ، وكـــان حسن السيرة في قضائه ، ومن سيرته انه أعد حاجبا على باب المسجد ، وكان لا يدخل عليه خصمان ، حتـــى يفرغ من آخرين ، واخرج في جملـــة من اهلـــه الى بادس ، ثم عاد الى سبتة ... (19) .

6 — ابو محمد حسن بن يخلف الانصـــاري — يعرف بابن علا قومه .

من مشاهير فقهاء سبتة ، وكان ابن غالب — اذا تكلم حسن بن يخلف هذا ، وحسن بن يـــوسف في مسالة — يقول : ما ترك الحسنان في هذا المسالـــة لقائل ما يقول ! (20) .

7 — حسن بن خالد بن ابراهيم الزبيـــدي .

من فقهاء سبتة ، شيخ صالح ، ولي الخطبـــة والصلاة ، وكان اخوه ابو علي شيخا صالحا ، من اهل الفقه والدراية ، ورحل فسمع بالقيروان ، وقرأ بمصر القرءان على طاهر ابن غلبون ، وغلب عليه الخيـــر ، والزهد ، وعلم القرءان ، والدراية ، واقرا بجامـــع سبتة ، وكان على سنن الصالحين (21) .

8 — ابو عبد الله محمد بن مسعود بن مسعود بن محمد بن مسعود المكي — المعروف بابن اللنكو .

سبتي ، من مشاهيرها ، وكان من اهل الفقه ، والخير والزهد ، والـــورع والروايـــة ، والادب ، وغلبت عليه العبادة ، ولي بسبتة الخطبة والصـــلاة — مدة ، وكان السلطـــان يحضـــر مجلسه — علـى انقباضه — في جملة المفتين ، وكانت جنازته مـــن احفل الجنائز بسبتة (22) .

9 — ابو علـــي حسن بن محمد القـــيسي — المعروف بابن البريا .

اصله من جرواة ، سبتي ، متقدم من فقهـــاء ، فقيه حافظ جزل ، راس في الفتيا في وقته ، قائم على المذهب ، يقوم على النوادر ، مقدم في المسائل والاحكام والقضاء ، وكان محمد بن العجوز يقول : اذا اخذ ابو علي المسالة ، لم يرك فيها لاحد مقالا (23) .

10 — ابو محمد عبد الله بن حمـــو بن عمـــر اللواتي — المعروف بالمسيلي .

سبتي ، من اكابر فقهائها ومدرسيها ، اخذ عن ابي اسحاق بن يربوع ، ولزمه واختص به ، وسمـــع منه كثيرا ، وكان يقوده حين كان متبصـــرا ، وكان يسمى عصا ابن يربوع ، وكانت اكثر كتبه بخطـــه ، رحل الى المغرب ، فلحق فيه رئاسة عند المرابطين— اول خروجهم ، ثم جاء الى سبتة فاتهم بمخاطبـــة المرابطيـــن (24) .

11 — ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن العجـــوز .

(18) اللـــوحـــــة : 125 — ( أ ) .
(19) اللـــوحـــــة : 125 — ( أ ) .
(20) اللـــوحـــــة : 125 — ( أ ) .
(21) اللـــوحـــــة : 118 — ( ب ) .
(22) اللـــوحـــــة : 118 — ( ب ) .
(23) اللـــوحـــــة : 118 — ( ب ) .
(24) اللـــوحـــــة : 118 — ( ب ) .

بيتهم مشهور بالعلم والجلالة ، وكان من جلة فقهاء سبتة ، مقدما في المفتين بها ، ومدرسها ، حافظا للمذاهب ، فقيها ، رحل مع ابيه فلقي ابا اسحاق التونسي بالقيروان ، وكانت بينه وبين ابن البريا مطالبات ومشاحنات ، جرت عليه منها محنة ، بسبب كلمة قالها ، وذلك انه خطب يوم العيد ، فقرا « واعدوا لهم من استطعتم من قوة » ، قال : من ( عدة ) - بدلا من ( قوة ) ، فقال : الناس اخطا الخطيب ، فقال : هو الوزن فيه واحد ، فقيل : كفر، فافتى فيه اولياؤه بالاستتابة ، فسجن ، ثم خرج فرحل الى فاس - هاربا ، فولاه امير المسلمين يوسف بن تاشفين قضاءها فسن في القضاء سننا ، وجعل الناس يلبسون السراويلات - رجالا ونساء ، ولم يكونوا يلبسونها من قبل ، وسار باحسن سيرة - الى ان عزل عنها ، ولحقته مهانة عند ولاية عدوه ابن حجاج ، فتمكن الناس من مطالبته ، ثم نجاه الله (25) .

12 - اسماعيل بن محمد بن يربوع القيسي .

اخذ بسبتة عن جده ابي اسحاق ، ورحل الى المشرق فحج ، وسمع بمكة ومصر من جماعة ، وتصرف في علوم كثيرة ، وكان فقيها ، نبيلا ، اديبا ، شاعرا ، ولم تكن اصوله هناك - من الاتقان ، فخرج عن سبتة - في اول ظهور المرابطين ، فكان معهم هناك الى ان توفي باغمات (26) .

13 - ابو محمد حجاج بن قاسم المأموني .

سبتي الاصل ، والمولد ، والمنشا ، سمع من مشيخة ابيه ، ورحل فحج ، وسمع من ابي ذر ، وجماعته ، وسكن المرية بعد انصرافه من المشرق - مع ابيه ، لمطالبة كانت بين الفقهاء بسبتة ، فحاز فيها الرئاسة والجاه ، ورحل آخر الحال ، الى بلده سبتة - في دولة المرابطين (27) .

14 - ابو محمد مروان بن عبد الملك اللواتي. (ت 491 هـ ) .

اصله طنجي ، سكن سبتة ، ثم رجع الى طنجة ، وهو ممن طلب العلم وتفنن في فنون منه ، ورحل الى المشرق ، فحج وسكن مصر ، سمع من مشايخ ، وكان ذا علم بالقرءان ، والنحو ، واللغة ، ذا فهم في الفقه ، آخذا باشعار العرب ، خطيبا مصقعا ، فصيح الكلام ، جهوري الصوت - على نهج الاعراب ، ولي الفتيا ، والخطبة بسبتة اياما ، فلما انقضت - ودخل امير المسلمين بالمرابطين سبتة ، دعاه لقضائها فتابى ، واشار عليه بالفقيه ابن عبد الله - قاضيها الاموي ، فلم يرد امير المسلمين ، لانه كان قاضيا للبرغواطي ، فاشار عليه بعبود بن سعيد ، وخرج هو الى بلده طنجة ، فلما صرف عنها ابن سهل ، كتب اليه امير المسلمين ان يرتاد بها قاضيا ، وان ينظر في الامور اثناء ذلك ، وكلفه اشياء ، وكان يسمى بالفقيه ، وسلك مسلكا عظيما من الغلظة والشدة ، وكان كثيرا ما يحتج في سطوانه بقول عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس اقضية ، بقدر ما احدثوا من الفجور . وسمع الناس فيه كثيرا ، ودرس المدونة ، وكان له بنون من ندرات الزمان (28) .

15 - ابو محمد حدور بن فتوح بن حميد الزناتي .

اسمه عبد الله وغلب عليه لقبه ( حدور ) ، اصله من اصيلا ، وسكن سبتة ، وبها نشأ ، اخذ صغيرا عن مشيختها ، وسافر - تاجرا - فطلب بالاندلس والمغرب ، وكان صالحا ، فاضلا ، والخير اغلب عليه من العلم ، وكان مقبول القول عند الرؤساء (29) .

16 - محمد بن خلف بن سعيد التميمي .

عرف بابن العاصي ، ويلقب بالكماة ، عني بالدرس ، وكان فقيها نظارا ، مائلا الى الحجة ، وله

(25) اللوحة : 118 - (ب) ، 119 - (أ) .
(26) اللوحة : 118 - ( ب ) .
(27) اللوحة : 118 - ( ب ) .
(28) اللوحة : 138 - ( ب ) ، 139 - ( أ ) .
(29) اللوحة : 139 - ( أ ) .

رواية وفهم ، وكان بينه وبين البربا منافسة ، درس المدونة ، وجعل عليها تاليفا في لفظها ، له فيه كلام حسن ، وامتحن آخر عمره ، وأمر ان لا يفتي (30) .

17 ـ ابو عبد الله محمد بن عبد الله المسيلي.

اخذ عن ابيه ودرس العلم مدة بجامع سبتة ، ولم يكن بعد حلقة ابن عيسى ـ أعمر من حلقته ، وخطب بجامع سبتة ، واستعفى فعوفي ، وبقى يدرس العلم الى ان توفي (31) .

18 ـ ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن يربوع.

قدمه ابو محمد بن منصور للقضاء ـ اذ كان قاضي الجماعة ، وكان صادعا بالحق ، صليا فيه ، لا تاخذه في الله لومة لائم ، مغلظا على اهل الشر والدعارة (32) .

19 ـ ابو عبد الله محمد بن عبود التنوخي ـ المعروف بابن العطار .

ولي القضاء باشارة الفقيه ابن عبد الله الاموي، وكان ورعا ، نزها ، متبعا آثار السلف المتقدم ، اقتصر في قضائه على فتيا الفقيه ابن عبد الله ، وعول عليه ، وكان مغلظا على اهل الباطل ، غير هيوب للامراء ، منقبضا على الناس ـ الى ان استعفى فعوفي ، وكان حزمه وورعه اكثر من علمه (33) .

20 ـ ابو علي حسن بن الفضل الصدفي :

كان يدرس الفقه بجامع سبتة ، وكان كثير التحمل والصيانة ، حسن المعاشرة لاخوانه ، محبا لهم (34) .

21 ـ ابو المجد حمام :

ولي الشورى ، وكان حسن الرد في اجوبته ، معولا على النصوص ، ناسبا كل رواية الى قائلها ، حسن السمت ، جميل الملبس ، كثير التهاون ، وله سلف في العلم (35) .

22 ـ ابو محمد عبد الله بن شبونة :

من كبار اصحاب ابي عبد الله بن عيسى وحفاظهم ، مشهور بحفظ المسائل والآداب ، اربى على اهل عصره ، وشهر ذكره ، وضرب به المثل ، فيقال : احفظ من عبد الله بن شبونة ، درس الموطأ ، ومشى الى المغرب فاستشاره ابن القاسم يسلا ، وبقي عنده مدة ، ثم مشى الى اغمات فاستشاره امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، وعول عليه في الفتيا (36) .

23 ـ ابو حفص عمار بن مسلم ـ مولى يحيى ابن عبود اللخمي :

درس المدونة ، والف مختصرا عليها ، فزاد على اختصار الباجي زوائد ، ولكنه لم يؤخذ عنه (37) .

24 ـ ابو عبد الله محمد بن قاسم ـ جد القاضي ابن ابي مسلم ـ لامه :

من اصحاب ابي عبد الله بن عيسى وحفاظهم ، وكان كثير الدرس ، درس المدونة ، وكان ذهب في تدريسه مذهب شيخه ابن عبد الله في القاء النظائر من كتاب المدونة ، وكان عاقلا ، ذا سمت حسن ، ووقار ، متبعا لآثار المتقدمين الفقهاء في القعود ، وحسن السمت ، قائما على حفظ المسائل (38) .

---

(30) اللوحة : 139 ـ ( أ ) .
(31) اللوحة 139 ـ ( أ ) .
(32) اللوحة : 131 ـ ( ب ) .
(33) اللوحة : 133 ـ ( ب ) .
(34) اللوحة : 134 ـ ( أ ) .
(35) اللوحة : 134 ـ ( أ ) .
(36) اللوحة : 134 ـ ( أ ) .
(37) نفس المصدر .
(38) اللوحة : 134 ـ ( ب ) .

من هذه المقتطفات التي اوردناها ، نستطيع ان نعرف ما لهذا الكتاب من قيمة علمية ، وتاريخية . فهو يذكر لنا الاسر الاصيلة بسبتة ، والطارئة عليها ، والبيوتات الشهيرة بالعلم والفضل ، ويعطينا صورة صادقة عن الحياة الفكرية والاجتماعية بالمغرب في القرنين الخامس والسادس للهجرة ، فقد تحدث عن حلقات العلم ، ومجالس الدرس ، وانماط العلماء والمدرسين ، وطبقات الفقهاء والمفتين ، واصناف القضاة والمستشارين ، وبعبارة ادق ، فهو يضعنا في قلب سبتة — على عهد ابرغواطيين والمرابطين ، ويقدم لنا اخبارا مصوغة في قالب الواقعية ، لا يبلغ في تصويرها كتاب سواه ، وهو — الى ذلك — يجعل بين ايدينا مادة طيبة لدراسة نظام القضاء بالمغرب ، فهو يلقي ضوءا كافيا عن المسائل التي تتصل بتولية القضاة ومستشاريهم ، وما لهم من صفات عقلية وخلقية ... ولا يغفل ان يذكر بعض التعسفات التي كانت تمارسها السلطات الحاكمة — وقتئذ — ضد بعض الفقهاء ، مما جعلهم يثورون من حين لآخر — وللفقهاء صولتهم ومكانتهم البارزة — في الاوساط الشعبية .

**اثر ابن حمادة فيمن بعده :**

ولابن حمادة اثر كبير في الدراسات التاريخية التي ظهرت بعد القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ، وقد افاد منه كثير من مؤرخي المغرب ، منهم :

1 — ابن عذاري المراكشي في كتابه « البيان المغرب » .

2 — وصاحب مفاخر البربر — وسماه ابن حمادو .

3 — وابن ابي زرع — واقتصر على تسميته بالبرنسي .

4 — وصاحب الكوكب الوقاد — وهو خال ابيه لامه .

5 — والذهبي في تذكرة الحفاظ — وقد نقل عنه خلاصة ترجمة عياض .

6 — وابن فرحون في الديباج — وهو من مصادره الاولى .

7 — وصاحب الدر النفيس — وقد نوه بكتابه « مختصر المدارك » . وقال : انه زاد زوائد مهمة — وقد تحدثت سابقا عن هذه المصادر (39) .

8 — وكما افاد منه ابن القاضي في الجذوة — وسماه محمد البرنسي السبتي (40) .

9 — واحمد بابا في نيل الابتهاج — وذكره باسم ابن حمدو السبتي (41) .

10 — وعني بتلخيص وترتيب كتابه « مختصر المدارك » — ابو محمد عبد الله بن سهل القضاعي (42) .

ولنا عودة الى الموضوع في فرصة اخرى — بحول الله .

**تطوان : سعيد اعراب**

---

(39) انظر مجلة « دعوة الحق » س . 23 — ع : 3 — ص : 29 — 30 .
(40) انظر ج 1 / 155 .
(41) انظر ص : 162 .
(42) توجد نسخة منه عند الاستاذ الكبير محمد ابراهيم الكتاني .



# والعود أحمد

للدكتور عبد السلام الهراس

نشر الاستاذ السيد عبد العزيز الساوري ( دعوة الحق عدد 225 ) مقالة صغيرة بعنوان « عودة الى خطبة طارق بن زياد » وقد كان الاخ عبد العزيز بعث الي برسالة يسألني فيها عن الموضوع نفسه ليزداد اطمئنانا وقد هيات له الجواب ، غير ان عنوانه ضاع مني ، وبقيت في النفس حسره ، فقد يظن اني اهملت سؤاله واذا بي اقرا هذا المقال مع مصادفة عثوري على عنوان الرجل ، ورغم ذلك فانني آثرت ان اكتب له عبر هذه المجلة التي كان لها الفضل في نشر هذا البحث منذ حوالي خمسة عشر عاما .

والعجيب ان موجة الشك في خطبة طارق كانت اسرع انتشارا من الراي الذي يميل الى اثباتها ، بل ان هذا الراي قل من سمع به ، بل يكتفي الشاك بقراءة العنوان فقط ، ولعله يخشى ان يشوش الموضوع على شكه ، والاغرب من ذلك ، اننا ما زلنا نقرا في بعض المحاضرات الجامعية التي تطبع لطلابنا ان خطبة طارق غير صحيحة ، لكن باسلوب غير صحيح وغير مسؤول ، كان الامر اصبح لدى هذا المؤرخ « مسلم » من باب السماء فوقنا والارض تحتنا كما كان يقال ، مثلما وقع بالنسبة لبعض الافكار والآراء الخاطئة التي اصبحت من المسلمات ، بل من المعتقدات كالشك في الشعر الجاهلي والطعن فى مشروعية الخلافة الاسلامية ورجعية شعر القصيد الى غير ذلك من الآراء التي يراد بها مقاصد مرتبطة بالمخططات الرهيبة لتخريب كيان امة الاسلام في ميدان الفكر والراي واللغة والاخلاق كما تخرب في نفس الوقت باسلحة الشرق والغرب مباشرة او على يد من ينوب عنهما !!

والغريب في هذا كله ان الاصوات القليلة التي تحاول التنبيه او حتى مجرد فتح باب الحوار حول فساد المنهج او خطل الراي واعوجاج الفكر وفضح المؤامرات تحاصر بأجهزة متنوعة وتسلط عليها اصوات قوية وصفارات مدوية مزعجة بغية اخماد اصدائها وتبديد نبراتها وتحويلها الى هواء يفرغ في الهواء حتى لا تحرك ساكنا او توقظ نائما او تهدي حائرا ؛ لان المخطط يجب انجازه والقائمون عليه مسؤولون مسؤولية صارمة !! وقد يعزل الصوت الآخر او المنبه عزلا تاما ، بل قد يزج به في غياهب السجون كما وقع لاستاذنا محمود شاكر اطال الله عمره عندما شن هجومه على بعض المتآمرين كاشفا خبايا المؤامرة مع فضيحة جهل المتآمرين ، وكما وقع لغيره من دعاة الحقيقة في الشرق والغرب .

وقضية الشك في خطبة طارق لم تكن لتنال اهتمامي لولا اني رايت الامر لم يعد في نطاق ضيق وفي خريطة النوايا الطيبة ، اذ ان الدكتور احمد هيكل لم يتصد للشك الا بدافع علمي بحت ، غير انه اعتمد تاريخيا على ما اورده الاستاذ محمد عبد الله عنان الذي ليس هذا ميدانه رغم فضل سبقه في الاندلسيات !! اما حجج الدكتور احمد هيكل المرتكزة

على ظواهر اسلوبية فهي قوية نسبيا لولا انها تظل في نطاق الاخذ والرد ما دامت غير حاسمة في الموضوع ويمكن ردها بحجج جدلية اذ لا نعدم مثل هذه الظواهر في عصر طارق وفي بيئته ، بل وقبل عصره .

ولست ادري لماذا يبادر المرء الى النفي والشك ملتمسا براهين واسبابا مردودة ، فهل نزعة الشك اصبحت « موضة » او من باب « خالف تعرف » ؟ .

وكما قلت آنفا ان ميل بعضهم ممن تناولوا الخطبة الى تاكيد نفيها جعله يبحث عن حجج اخرى يلتمسها ـ تعسفا ـ من بعض النصوص التي وقع عليها والتي لم تكن له فيها حجة بمقدار ما تعزز وجود الخطبة ونسبتها لصاحبها .

ويبدو ان اخي وصاحبي الدكتور عبد الرحمن الحجي ممن صعب عليهم ان يمحوا ما استقر في اذهاننا ونحن طلاب في كلية العلوم من ان الخطبة الطارقية منحولة ، وقد آثار في كتابه « تاريخ الاندلس » ص : 57 ـ 62 نفس التساؤل الذي آثاره استاذنا المكرم الدكتور احمد عبد المقصود هيكل الذي نحا في تناوله منحى الاستاذ عنان ، وقد اضاف الدكتوران الكريمان الاستاذ ، والصاحب اسبابا جديدة . ومن الجدير بالذكر اني اطلعت استاذي الدكتور احمد هيكل على رايي وبسطت القول امامه في الموضوع عند لقائنا في مدريد وفي آخر لقائي به في كلية دار العلوم بالقاهرة ، فسر كثيرا بذلك واعلن انه لا يتعصب لرايه ، ولن يتوانى في اثبات الحقيقة عند اطلاعه على القضية مكتوبة موضحة ، ولعله توصل بالصورة الاخيرة لبحثي ضمن الكتاب الذي صدر تكريما لاستاذنا الكبير محمود شاكر بمناسبة بلوغه السبعين ، ولست بشاك في ان الدكتور احمد هيكل سيكون متحمسا وهو يثبت هذه الخطبة وينسبها لصاحبها اكثر مما كان وهو ينفيها عنه متى ما اقتنع بما سقته من حجج نقلية وعقلية وبراهين ساطعة سواء في ميدان الرواية او الدراية .

واني لعلى يقين من ان الاخ الدكتور عبد الرحمن الحجي سيسارع ايضا فور اطلاعه على الحقيقة لانصاف خطبة طارق مما لحقها من حيف ، ذلك انه ممن عرفته يوثر الحق ويسعى نحو الحقيقة ويجاهد في سبيلها ، والمراسلة جارية بيني وبينه دائما في مجال الاندلسيات .

ولغيرتي على هذه الخطبة وارتباطي بها فانني جعلتها من هجيراي ، لذلك عدت لبحثي الاولي فيها واضفت اليه امورا جدت ، ومن هذه الامور نص ابن الشباط الذي اطلعت عليه في حينه اي فور نشري ذلك البحث ـ بدعوة الحق ـ وقد قمت اخيرا بنشر البحث متكاملا بالقاهرة ، ولعل الاخ الساوري اطلع عليه اوائل شهر يناير ، فقد سررت عندما اخبرني استاذه الاخ عبد الملك الشامي انه مكنه من بحثي ليستفيد منه في بحثه الذي يعده في الموضوع ، فلعله واجد فيه اضافات جديدة تمس شخصية طارق واوصافه وخلاله واسرته ، وكذلك ما يتصل بالنسبة العددية للعرب في جيش طارق ، الامر الذي يبين بشكل واضح ان الجيش لم يكن جاهلا بالعربية ، كما ادعى بعضهم زيادة على عناصر اخرى . ومنها نص ابن الشباط وكلها تخدم فكرة ثبوت الخطبة لصاحبها ، وان وفق الله وحصلت على قطعة من مخطوط اندلسي قيم فقد تكون المفاجاة في هذا الموضوع سارة فيما اظن ، ولا احب ان اعلن عنها حتى اتيقن من الامر .

وبعد : فاني احيي في الاخ الاستاذ الساوري اهتمامه بهذا الموضوع واثارته له واشكره على رسالته الطيبة التي تستحق التنويه راجيا ان يعتبر هذا المقال بعض جوابه . اما الباقي فعند لقائنا قريبا ان شاء الله بمدينة وجدة مدينة الاصفياء والاوفياء .

**فاس : الدكتور عبد السلام الهراس**

# وعرشك يامثنى خير عرش

للشاعر الأستاذ عبد الكريم التواتي

تحيات من الانام اندى … اليك الكون حيرها واهدى

ترددها العوالم في انتشاء … وتزجيها شذى عطرا وندا

لاعياد المثنى ، والمثنى … به اكرم ابا ، واخا ، وولدا

به الدنيا زهت وبه المغاني … ربيع ضاحك : زهرا ووردا

توله في رباها الخضر جذلى … حنايا الشعب : اشياخا ومردا

يغازل سره آذار شوقا … ويعشق سحره : بدءا وعودا

وتشدوه البلابل لحن حب … خرير النهر رجعه مندى

وتنشده المزاهر والمثاني … اغاريدا ، واشعارا ووردا

* * *

وقالوا : ما لقلبك ليس يغفو … ايغفو قلب من يهتاج وجدا ؟

ايغفو شاعر ، والشوق طاغ … ونيران الهوى تزداد وقدا ؟

ايغفو شاعر في عيد عرش … بنى للعرش والاوطان مجدا ؟

* * *

ارى الايام ـ يا حسن ـ تباهت … بما شيدت : امجادا ، وحمدا

دعاء الخامس المشهود ، اضفى … على ما تبتلي سددا ورشدا

واردية الرضى اسبغت منها … سرابيلا مهفهفة وبردا

فصنت ـ مباركا ـ عرشا بنته … غطاريف ، سموا ! عزا ، وخلدا

تفديه ، وانت له مجن ـــ ومثلك من حمى ورعى ، وفدى

وانك ـ مفتدى الوطن المفدى ـ ـــ تصون ربوعنا ، وتقيها كيدا

تؤثل مجدها ، والشأن تعلي ـــ وترفع الهدى قمما ، وبندا

فان نلقي الزمام اليك طوعا ـــ فانت بشأننا ادرى واهدى

* * *

رايتك ـ يا مثنى ـ للحنايا ـــ مباهجها ، وشوقا ليس يهدا

مغانيك الحسان ، تروق ، تغري ، ـــ وانك روضها الخضل المندى

الى افيائها بممنا نشدو ـــ ومغنى (ابي الرشيد) دناها تحدى (1)

( وعرشك ـ يا مثنى ـ خير عرش ـــ رسا قمما ، وافياء ، ومهدا

سراة العالمين ، بنو علي ـــ اشادوا اسه ، وحدوا معدا

على الايمان والتقوى استقرت ـــ قواعده ، وكان الله ايدا

بنى للدين والدنيا صروحا ـــ بها تزهو الدنى ، وتتيه رغدا

مواكب عزة ، ومغاني مجد ـــ تميس ربوعها : نعمى ورفدا

ودنيا من بشائر روقتها ـــ مناقب تأسر الالباب : حمدا

هي الدنيا ، ونعماها ، وروح، ـــ وريحان ، سرى املا ، ونشدا

* * *

اياديكم ، بني عدنان ـ وبل ـــ سقى سهلا ، واغوارا ، ونجدا

وقد حفلت نواديكم سناء ـــ وقد ثرت بما اغنى ، واجدى

فان تنشدكم الامجاد ترجو ـــ عوارفكم ، فنعم القصد قصدا

فانتم للمحامد والاماني ـــ مغارس روضة ، تهتز ملدا

وسوحكم ربيع ، لج غيثا ـــ وانكم الندى : جزرا ، ومدا

وجدكم المطهر خير جد ـــ اقام على الهدى ملكا ، فاهدى

على هام الزمان رسا قبابا ـــ وكان النصر والتوفيق بندا

شمائل من نزار او معد ـــ توارثها الاباة الصيد عهدا

* * *

فما يبني المثنى غير ملك ـــ ابوه الشهم شاد بناه شيدا

وقد حمل الامانة عبقريا ـــ وحمل عباها ، فوفى ، وادى

لقد صهرت قناه ـ وكان تبرا ـ ـــ صروفه من عناها كان قدا

(1) حدى كعلم بالمكان لزمه .

فما نايت كواهله بعبء ... ولكن كان للاعباء قيدا

ولا تعجب ، فما الحسن المثنى ... سوى ابن ( الخامس ) القرم المفدى

اقام على العدالة والتآخي ... وبالاسلام اطوادا ، ومدا

وراود بالسماحة ، غير وان ... امانينا ، وحق الله قصدا

وآخى بالشمال جنوب شعب ... وعانق شرقنا غربا وودا

ورص الوحدة الكبرى ، ابيا ... وصد عن الحمى الاعدا ، وردا

فعبا جنده : احدا ، وبدرا ... وللعدوان ، والسوآى تصدى

ونادى ( للمسيرة ) خير شعب ... وبالقرآن طغيانا تحدى

واقسم ان يذود عن الصحارى ... وان تحمى الثغور ، وتسترد

وبر الله حلفته ، وحق ... على الرحمن ، نصر الحق وعدا

* * *

وقال الله : للاعداء سحقا ... ومزق شملهم ـ بددا ـ واردى

وصبحت الصقور مروعات ... مضاجعهم ، تدمر من تعدى

وتصلي جيشهم نارا تلظى ... وتمعن فيهم : اسرا ، وقيدا

لقد وردوا المهالك والمنايا ... فغصوا ، بئس ذاك الورد وردا

فهاروا ، ما استطاعوا من قيام ... ولا عرفوا مناصا او مردا

ولكن كان بالمرصاد جيش ... اباد فلولهم ، ومحا ، وجدا (1)

وجيشك في الوغى قدر وحين ... تخطف جيشهم : جندا فجندا

نفروا مهطعين ، وقد ابيدوا ... وكيدهم لنحرهم استردا

وعاقبة الالى عاثوا وساءوا ... الى السوآى ، وحب السوء اردى

وانت مجننا الواقي ، مثنى ، ... واحسن من وفى : عهدا ووعدا

* * *

وانت بكل مأثرة وفضل ... حفي ، تصطفيها السود ودا

فقد القت اليك دنى المعالي ... عصاها ، واستقر الملك ابدا

وانك في المحامد دون مين ... ثرياها ، تراودها مجدا

فان تملك مداها ، فهي دوما ... بنالك تحتفي ، يمنا وسعدا

ومن يك آله ( طه ) ، يقينا ... يكن للمكرمات : ابا وجدا

* * *

---

(1) جد كنص قطع .

الى مغناك ـ يا حسن ـ قصدنـــا — ومن يقصدك يــاف جدى ورغــدا!

ويلق السحب ما طــرة ، وطــلا — خمائلــه ، من الامطـار انــدى

وآمــالا ضواحكــم مزهــرات — سجايا هــاشم : قبــلا وبعــدا

* * *

قصدنا المكرمــات رسا بنــاهــا — وجدك ( هاشم ) ارساهــا مبــدا

وهشم للورى ـ كرمــا ـ ثريــدا — حــلا طعما ، وكان شرى وشهــدا!

فان تشدو بمجــدك ، يــا متنــى — فمجدك اغدق الشعــراء مجــدا!

وانطقــت المحامــد والمعالــي — جوانحنا ، فكان الشعــر خلــدا!

وانــت لخالــد الامجاد بحــر — فمن يستطيــع الدامــاء حــدا ؟

وما الاشعــار يا حسن ستوفــي — بما الاحنــاء ، تضمــر لــلا ودا

* * *

... وبمغناك ـ والاخلاص يزجــي — ركائبنــا ـ ولاء ، لــن يحــدا!

فان يعجــز عن الايفــاء شعــري — فمثلك خير من اغضــى واســدى

فاس : عبد الكريم التواتي




-6-

للأستاذ محمد بن تاويت

**اللغـــة كائـــن حـــي :**

كلمة — لعلنا — كنا اول القائلين بها في المغرب ، ثم صار يكرر هذه الكلمة كثير من كتابنا ومؤلفينا الافاضل ، وهذا لا يهم ، والمهم ان الكائنات الحية ، منها ما يختص بالبر ، ومنها ما يختص بالبحر ، ومنها ما هو متراوح بينهما ، وربما زاد على ذلك الجو والسماء ، كبعض الطيور « البرمائية » .

وكذلك الكلمات اللغوية ، منها ما هو اسم ومنها ما هو فعل ومنها ما هو حرف ، ومنها ما يتراوح بين هذه وتلك ، ومنها ما هو خنثى مشكل ، وخنثى غير مشكل ، يصدق عليه ما قال الفقه في الميراث :
« فان بال من واحدة او كان اسبق او اكثر فلا اشكال » .

فمن هذه أسماء الافعال مثل « صه » و « صيهل » و « شتان » و « وى » و « هيهات » ودونك واليك وعليك ففيهما النوعان . اما المتراوح ، فمثل « مذ ومنذ » فهما :

« اسمان حيث رفعا
او اوليا الفعل كجئت مذ دعا »

كما تقول الخلاصة . وهما حرفا جر ، بمعنى « من » في المضي ، وبمعنى « في » الحضور ، كما تقول الخلاصة ايضا . ومن المتراوح « خلا » و «عدا» الاستثنائية، فهما ان نصبا فعلان ، وان جرا فحرفان ، ومثلهما « حشى » او « حاشا » او « حاش » ، كما قضت بذلك الخلاصة ، ومثلت له الاجرومية للاطفال هنا . وكما تكون « خلا » و « حاشا » ، حرف جر تكون « حتى » كذلك ، كما تكون هذه حرف نصب ، وحرف عطف ، تعطف على ما قبلها ، حتى بالضم . وتكون حتى كذلك حرف ابتداء ، عملها معنوي . وشبيه بها « لعل » فهي حرف نصب ، غالبا ، وحرف جر ايضا ، واغرب من هذه « متى » فانها تكون حرف جر ، وتكون اسما جازما للفعل ، كما ان « اذا » تكون اسما ، لازما للاضافة الى الجمل . فان اتصلت بها « ما » صيرتها حرفا ، جازما للفعل . ومن حروف الجر غير هذه ما يستعمل اسما ، وذلك مثل كاف التشبيه ، و « عن » و « على » ، كما قالت الخلاصة:

واستعمل اسما وكذا عن وعلى
من اجل ذا عليهما « من » دخلا

وكما يثبت علم التشريح للاحياء ، ان الاعضاء اذا استغني عنها بطلت بالتدريج مهمتها ، فكذلك اعضاء الجمل من الكلمات ، اذا استغني عنها ، تصير تتقلص ثم يتبع ذلك تنحيتها بالمرة وتستاصل ، كما يستاصل « المصران الزائد » ، او « المصران الاعور » للانسان .

مثلا : خبر المبتدا الوارد بعد « لولا » صار يستغنى عنه ، ثم تنوسي ، لدرجة ان حكم فيه بالعدم، واعترض على المعري في قوله : « فلولا الغمد يمسكه

لسالا » حيث افصح بالخبر ، وكانت القضية تقضي بعدم ذكره ، ولكن هذا لم يتناس نهائيا ، فقالت الخلاصة :

« وبعد لولا غالبا حذف الخبر حتم »

ومن الواجب حذفه ، والاصل فيه الذكر ، خبر المخصوص بالمدح او الذم في « نعم وبيس وما جرى مجراهما » وعليه فخبره ، كما تقدم ، واجب الحذف، ان جعل مبتدأ ، اما ان جعل خبرا ، فان مبتداه يكون كذلك واجب الحذف .

وكذا الشان في المقطوع عن منعوته ، فهو ان رفع ، وجب حذف مبتداه ، وان نصب وجب حذف ناصبه ، فعلا او غيره .

وما قيل في هذا يقال في « الاختصاص » الواجب حذف فعله ، وفي المنادى ، الذي صار عامله نسيا منسيا ، واصبح يدعى بلا دليل .

ومن التطور في الاستعمال ، قضية ، ما هو ماثل للعيان ، ولكن لا يعمل باصله ، كما هو واقع في بعض اسماء الافعال ، من نحو عليك ودونك واليك ورويدك. فهذه جميعا نلمح فيها المحذوف ، ولكن لا نذكره، ونعيد الى الاذهان ان من هذه ما ينصب ويخفض مثل : « رويد وبله » فان خفضنا اعتبرنا مصدرا مضافا الى معموله .

اما ما صار عوضا عن غيره ، فانه يحرم عن المعوض عنه البقاء والذكر ، وذلك كالفعل الآتي عوضا عنه المصدر ، كما في الخلاصة :

والحذف حتم مع آت بدلا
من فعله كندلا اللذ كاندلا

ومن التطور في اللغات الصفات التي تصبح اسماء كبعض الاعلام التي تتحمل الالف ، لمحا للاصل، او لا تتحمله كمحمد واحمد . والعكس في هذا ان تصير الاسماء صفات ، كالشجاع ، الذي هو ذكر الحيات ، فاصبح صفة . والنوعان مذكوران في « باب ما ينصرف » ، تنبه لهذا علماء النحو والصرف والوضع ، كما تنبه لمثل هذا التطور علماء البلاغة ، فيما تناولوه في « الحقيقة العرفية » والتشبيه مثلا . وحذا حذوهم علماء المنطق في باب « المعرفات » خاصة ، فقيدوا استعمال المجاز بوجود القرينة ازاءه .

وقضية الحذف صارت انطلاقا من عبد القاهر ، اهم قضايا علم المعاني ، خصوصا في باب الاسناد وطرفيه من القضية التي لم يغفلها المنطقة ايضا ، فاشبعوها بحثا في باب التصور والتصديق وقسموها الى شرطية وحملية ، مما هو معروف ويطول ذكره هنا .

ومن رجع الى الشرطيات وادواتها حتى في مبادىء النحو وامعن فيها ، يجد منها كثيرا من مسائل الحذف والذكر ، زيادة على ما افدتنا به هذه المبادىء التي تقلص ظلها الوارف ، وصارت شمس المعارف على اطراف النخيل منها .

ومن قضايا الحياة والموت للكلمات ما يردده اصحاب المعاجم اللغوية من قولهم « فعل ممات » مثلا . وهذا بالضبط ما يعبر عنه اصحاب المعاجم الاوربية بقولهم « كلمة مائتة » كما في الانجليزية Diedword ، فالكلمات اذن تحيى وتموت كباقي الاحياء في هذا الكون والبقاء لله .

**ارتقاء اللغة وبقاء أثرها :**

قد تحدث في الكلمات او الكلام عوارض توجب شيئا ما فيها ، وكما قال الفقهاء الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما ، ولهذا ان انتفت العلة في شيء انتفى معلولها او ارتفع كما يقولون .

غير ان هناك شواذ في هذا ، اذ قد ترتفع العلة ولا يرتفع معلولها ، مثلا :

الفعل الماضي المعتل الاخير ، اذا دخلت عليه تاء التانيث الساكنة ، فان هذا الحرف المعتل يحذف للقاعدة المعروفة في اجتماع الساكنين ، اولهما حرف علة ، فنقول مثلا في رمى ونما وخلا ، رمت ونمت وخلت ، وهذا واضح ، ولكن لو فرضنا ان هذه العلة انعدمت بالاسناد الى ضمير التثنية ، فهل يرد على الفعل ما حذف منه ؟ كلا ، فاننا نقول ، رمتا ونمتا وخلتا ، وبذلك تبقى الالف على حذفها وان ارتفع موجب حذفها .

لهذا قال ابن الفخار ، قد يذهب السبب ويبقى حكمه ، كما قال بهذا ابن جني في اسم الاشارة، بترجمة سيبويه « هذا علم ما الكلم من العربية » . تسمية الشخص باسم مكانه .

نادى قعنب كداما « ماز راسك والسيف » فسماه مازنا ، على الترخيم ، لانه من بني مازن ، والعرب تفعل هذا ، قاله ابن بري وقد سمي فيما بعد المشمش المضغوط باسم مكانه وهو « امردين » بالشا ، ولما انتقل منها الى مصر مثلا ، صار يدعى ار الدين ، وظن الناس ، كما ظن المصريون انفسهم بعد ، انه قمر الدين ، وتابعهم اهل السودان فسموه « كمر الدين » نطقا بالقاف كافا معقودة ، وهذا ليس خاصا بالعربية ، بل في الانجليزية نوعا من الصديري المنسوج صوفا يدعى باسم المكان الذي جاء منه ، وهو جيرسي ، فهذا اسم لمدينة قديمة وجديدة ، فيها الوصف بالجدة فقيل « نيوجرسي » .

ولما وصل هذا الملبوس الى اسبانيا ، تحولت الجيم خاء ، ولما وصل الى فرنسا ، حذف الحرف المعلول من آخرها ، فقيل « جرس » كما قيل في نيسا « نيس » وفي « مرسيليا » « مرسي » على القاعدة الفرنسية التي لا تقبل نشازا في كلماتها ولا في كتاباتها . وفي الاندلس الاسلامي وجدنا نوعا من هذا في مثل الشلوبين ، ثم في غير الاسلامي وجدنا مثل قرطبة وجيان ، يسمى به الشخص منهما التصغير للتحقير .

من هذا جريج ، تصغير جرج ، وان كان هذا التصغير له موجبه من التصريف ، وهو كيلا يجتمع ساكنان في « جورج » كما ان حضيرة التعريب قد تلجا الى التصغير في هذا ، وهو كذلك ما نجده مصنوعا للاسبان ، في نحو « كميونيتا » تصغير « كميون » الفرنسي ، وفي نحو « كريبتا » كذلك ، وفي نحو « ماليطا » ايضا .

والغريب في هذه الاخيرة انها لم يحس فيها هذا التصغير ، بل اعتبرت كانها كذا خلقت ، فان اردناها مصغرة ، قلنا « مالتين » وهنا واكب التصغير في هذه التانيث ، على القاعدة التي قيلت في اعتبار الضآلة في التانيث فكان به الكسر ، ومن التصغير للتحقير ، تصغير جرير للاخطل ، في عدة من اهاجيه ، قوله :

لقد ولد الاخيطل ام سوء
على باب استها صلب وشام

وقوله :

ورجا الاخيطل من سفاهة رايه
ما لم يكن واب له لينالا

وقوله :

قل للاخيطل لا عجوزك انجبت
في الوالدات ولا ابوك فحيل

ومن ذلك « نصير » والد القائد موسى ، فاسمه نصر ، كان قد سبي من جبل الخليل بفلسطين ، زمن ابي بكر ، فاعتقه بعض بني امية ورجع الى الشام هو وولده موسى ، بقرية كفر مرثى ، وشاءت الاقدار ان يولى ابنه موسى من قبل الامير عبد العزيز بن مروان افريقية ، فكان منه ما كان بالشمال الافريقي ثم بشبه الجزيرة الايبيرية .

ونحن نستعمل هذا التصغير ايضا في اسماء الاماء والعبيد ، والامثلة على ذلك ، ما زال بعضها قائما ، في الاولاد والاحفاد وكذلك كان يفعل الاسبان، فيما يخصنا ، فيصغرون احمد « حميدو » ، والمغربي « موريتو » .

**المضمر لا يوصف :**

هذه قاعدة كنا نسمعها ضمن قولهم : « الضمير لا ينعت ولا ينعت به » ولهذا لا نقول : « نحن المؤمنون لا نظلم » مثلا ، بل نقول : « المؤمنين » على الاختصاص ، كما قال الرسول : « نحن معاشر الانبياء » بنصب معاشر ، وكذلك لا ينعت بالضمير والعلة في الاول ما قاله سيبويه في الكتاب من ان الضمير لا يكون موصوفا ، من قبل انك ، انما تضمر حين ترى ان المحدث قد عرف من تعني ، يريد ان النعت لا يكون الا عند الحاجة الى تعريف منعوته ، وهو الاصل فيه .

اما الثاني فلا يمكن ان يتصور ، حتى يحكم عليه بعلة خارجة ، كان نقول محمد هو ، على ان الضمير نعت ، فان هذا مرفوض قبل النظر فيه ، نعم يقال محمد هذا ، بالاشارة ، وتكون نعتا ، كما قال ابن مالك:

وانعت بمشتق كصعب وذرب
وشبهه كذا وذى والمنتسب

**تطوان : محمد بن تاويت**

# الطب الأندلسي

## بين هفوة الإهمال وغفوة النسيان

للدكتور عبد الله العمراني

**طعـام الحميـة :**

ورد في الاثر ان « المعدة بيت الداء ، والحمية راس الدواء » . وروى عن النبي (ص) قوله : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا اكلنا لا نشبع » . ويأتي في القرن العشرين ، من العلماء من يؤكد هذا القول ، ومن بينهم العالم الانكليزي جير الدين (1) برايـنـت الذي قال ما معناه :

( كل ما تشتهي في اعتدال ، لكن — وهذه لكن كبيرة — أنه الاكل دائما ، حينما تشعر انك تستطيع المزيد قليلا ) . ثم يضيف قائـلا :

( في هذه الجملة الاخيرة ، يكمـن واحد مـن الاسرار الحقيقية للصحة ، والجمال ، ولطول العمـر كذلـك ) .

اجل ، ان الغذاء الحميي : Dietetics موضوع استحق من اطباء الاندلس ، كـل التفـات واهتمام ، لان الاطباء هم في الحقيقة وقبل كل شيء ، علماء في قوانين حفظ الصحة : Hygienists وهكذا نراهم يؤلفون الكتب العديـدة في الادويـة المفردة ، والمركبة ، ويطرقون موضوعات التغذيـة الصحية ، والمواد الغذائية ، والاشربة ، واصنـاف الطبيخ ، لا بالطريقة الاختبارية Empiric method التقليدية ، التي كانت قد تبنتها المدرسة القديمـة ، ولكن بطريقـة الملاحظـة : Observation والخبـرة : Experience معـا .

**مجلس اطباء او « كوميسيون » طبـي**

تألف هذا المجلس في البلاد الاندلسية ليقـوم بمهمتيـن :

**اولاهما** : اجراء اختبارات على الذيـن يريدون ان ينصبوا انفسهم لعـلاج المرضـى والكشف عن ادوائهم . فكل من اراد ان يزاول مهنة الطب ، عليه اولا ان يجتاز امتحانات اللجنة الطبية بنجاح .

**والاخرى** : ابداء الراي في عـلاج الحـالات المرضية المستعصية ، وبخاصة تلك التي تصيـب الخليفة ، او احدى الشخصيات الهامة في البـلاط الملكي او الديوان الحكومي .

من ذلك ما يرويه العلامة ابن جلجـل من ان الوزير أبا محمد عبد الله بن بدر ، مرض ابنه محمـد

---

(1) Pear's Cyclopaedia : Health and Beauty, P.700, Fifty - seventh edition, Isleworth, Near London Without date.

ـ ذات مرة ـ بقروح خبيثة شملت كل بدنه ، فجمع الوزير لفيفا من الاطباء ؛ كان فيهم محمد بن فتح المعروف بـ « طملون » ـ وكان طملون هذا مولى لعمران بن ابي عمرو ، طبيب عبد الرحمن الاوسط ـ فسالهم الوزير طالبا منهم ان يعالجوا ابنه من تلك القروح . وابدى كل طبيب رايه ، وظل طملون صامتا، وكان الوزير لم يقتنع ، فسال طملون قائلا : « ماذا عندك ؟ اني اراك صامتا » . اجاب الطبيب : « عندي مرهم ينفع هذه القروح من يومه » . مال الوزير الى تصديق كلامه ، فامر باحضار المرهم ، فاحضره ، وطلى به القروح كلها ، فجفت من ليلتها . وصله الوزير بخمسين دينارا ، وانصرف الاطباء الآخرون بدون صلة .

## اول مرض سري

من الامراض السرية المرض المعروف بالسيلان ـ واسمه العلمي : Gonorrhoco ـ والمرض المعروف بالزهري Syphilis وهما مرضان خطران ، ساد الاعتقاد زمنا بانهما اوروبيان ، ولذا اطلق على كل منهما اسم « المرض الافرنجي » . لكن يبدو ان اول حالة لمرض سري نشات او ظهرت في اوروبا حقيقة ، لكن في بلاد الاندلس المسلمة .

كان الطبيب المعالج لهذا المرض السري هو النطاسي ابو زكرياء يحيى بن الطبيب اسحق ، كان يحيى مسيحيا فاسلم وحسن اسلامه ، اما والده فلم يسلم . كان ابو زكرياء يشغل منصب طبيب الخليفة الاموي عبد الرحمن الثالث ( الناصر لدين الله ) ، ووزيره في نفس الوقت ، وقد تقلب في مناصب اخرى عديدة .

كان المريض بالسيلان رجل بدوي اقبل راكبا على حمار يجره رفيق له ، وصار يصيح في شوارع قرطبة باعلى صوته :

ـ ادركوني ! ادركوني ! تكلموا الى الوزير بشاني !

سمع الوزير صراخ الرجل المتالم ، فخرج وقال له :

ـ ماذا بك يا هذا ؟ اجاب المريض :

ـ ايها الوزير ، ورم في احليلي ، منعني البول منذ ايام كثيرة ، وانا على وشك الموت .

قال الوزير :

ـ اكشف عنه . . . كشف عنه فاذا هو وارم .

قال الوزير لرفيق المريض :

ـ اطلب لي حجرا املس . بحث الرفيق البدوي عن الحجر الاملس ، فوجده واتاه به .

قال الوزير :

ـ ضعه في كفك ، وضع عليه الاحليل . فلما فعل ، جمع الوزير يد ، وضرب بها الاحليل ضربة افقدت المريض وعيه ، فغشي عليه ، ثم اندفع الصديد يجري . . . وما انتهى جريان الصديد ، حتى فتح الرجل عينيه ، وبال في اثر هذه العملية السريعة الناجحة ، وارتاح المريض .

قال الطبيب الوزير :

ـ اذهب ، فقد برئت من علتك ، وانت رجل عائث : واقعت بهيمة في دبرها ، فصادفت شعيرة من علفها ، لحجت ( اي نشبت وعلقت ) في عين الاحليل ، فورم لها ، وقد خرجت الشعيرة الآن مع الصديد .

اعترف الرجل البدوي بفعلته ، واقر بكل استنتاجات الوزير ، مما يدل على صدق حدس الطبيب ، وسرعة بديهته ، وجودة قريحته ، وعلى صرامته ايضا ، فقد ثبت انه عاقب البدوي على فعلته .

## من تخصصات الطب

**طب العيون** : بدا التخصص في الطب في وقت مبكر ، ولكن ليس معنى هذا أن الاطباء لم يكونوا يعالجون مرضى العيون ، بل كانوا يمارسون طب العيون Ophthalmology وغيره ، فهذا الطبيب احمد بن يونس بن احمد الحراني واخوه عمر رحلا الى المشرق في دولة الناصر سنة 330 هـ ( 942 م ) ، ومكثا هناك عشر سنوات ، ودخلا بغداد،

وقرأ على ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابيء ، كتب جالينوس ، وخدما ( ابن وصيف ) (2) في عمل خلل العين ، ثم عادا الى الاندلس ، واستخلصهما الخليفة الحكم المستنصر لنفسه واسرته . ولما مات عمر ، بقي احمد محظيا عند الخليفة مؤتمنا لديه، فكان يطلعه على حريمه وكرائمه ، وكان المستنصر اكولا نهما ، فكانت تحدث له تخمة لكثرة ما يتناول من الاكل ، فكان الحراني يصنع له ( جاورشنات ) (3) حادة عجيبة ، وافقت الخليفة ، فافاد منه مالا كثيرا .

يقول ابن جلجل عن هذا الطبيب :

« ورايت له اثنى عشر صبيا صقالبة ، طباخين للاشربة ، صناعين للمعجونات بين يديه . وكان يعطي منها — باذن الخليفة — من احتاج اليها من المساكين، والمرضى . كما كان يداوي العين مداواة نفيسة ، وله بقرطبة آثار في ذلك ... وكان يواسي بعلمه وفنه ، صديقه وجاره ، والمساكين ، والضعفاء ، وبعد ذلك توفى وترك ما قيمته ازيد من مائة الف دينار » .

ومن اطباء العيون المختصين الوزير ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد ابن وافد المتوفى سنة 466هـ ( 1074 م ) ، فقد الف في هذا الفن كتابه القيم الموسوم « بكتاب تدقيق النظر ، في علل حاسة البصر » .

وممن برز في ميدان طب العيون وصلى ، بل بز اقرانه وجلى ، ونال فيه شهرة فائقة ، الطبيب محمد بن قاسم ( او قسوم ) بن اسلم الغافقي ، الذي الف كتابا خاصا بأمراض العيون — كما فعل ابن وافد — وسماه « المرشد في الكحل » ، ويوجد مخطوطا في مكتبة الاسكوريال باسبانيا ، ويحمل الآن رقما حديثا، هو 835 ، وكان رقمه القديم 830 .

ولاهمية هذا الكتاب الذي تزدان بعض صفحاته بادوات جراحية طبية ، اخترعها مؤلفه ليستعين بها في علاج مرضاه ( انظر الشكل رقم 2 ) ، نخصه بالحديث التالي :

يذكر الغافقي ، ان الداعي لتاليف كتابه ( المرشد في الكحل ) هو انه وجد كتب اسلافه الاولين ناقصة غير مكتملة . ويعين اولئك الاسلاف بالاسم ، فيذكر حنين بن اسحاق العبادي بفتح العين وتخفيف الباء ( 194 — 264 هـ = 810 — 877 م ) ، وعيسى بن علي اجل تلاميذ حنين ، والطبيب الخاص للخليفة العباسي المعتمد على الله احمد بن المتوكل ، ثم الرازي ، وابن سينا ، وعمر بن علي ، وابا القاسم خلف الزهراوي .

اما مضمون الكتاب ، ومحتوياته ، فيجعلها المؤلف في ستة اقسام :

**الاول** : يتحدث عن كتاب ( الايمان : Juramento لمؤلفه ابقراط ، وعن العناصر .

**الثاني** : يبحث في تشريح : Anatomy الراس والعين .

**الثالث** : يتحدث عن قوانين حفظ الصحة : Hygienics .

**الرابع** : يعالج الامراض بصفة عامة .

**الخامس** : يذكر الادوية ، وطرق الحفاظ على صحة العين .

**السادس** : يبحث في امراض العيون ، وفي علاج تلك الامراض .

**علم التوليد :**

ومن التخصصات في الطب ايضا ، طب الاطفال : Pediatria وعلم التوليد : Obstetrics . ويمكن القول بأن هذين العلمين ولدا بولادة كتاب هام للطبيب الاندلسي المعروف عريب بن سعيد الكاتب ، القرطبي ( ت. 369 هـ — 980 م ) . لقد سمى كتابه بهذا الاسم الرائع :

(2) ابن وصيف الصابيء كان طبيبا حاذقا في طب العيون ، ولم يكن في زمانه أعلم منه فيه ، ولا أكثر مزاولة له منه .

(3) جمع جاورشن بمعنى الهاضم . وقد عربه البعض فقالوا جورشا — بفتح الجيم وحذف النون — وجمعه اللغويون على جوارش ، ولكن صيغتي التعريب هاتين قل من يستعملهما .

( كتاب خلق الجنين ، وتدبير الحبالى والمولدين ) ، وتوجد منه نسخة في مكتبة الاسكوريال . وقد انتهى مؤلفه منه قبل وفاته بنحو 5 سنوات .

ويدرس هذا الكتاب العجيب ، الموضوعات التالية موزعة على خمسة عشر فصلا هكذا :

المني ـ نوعه ـ وسائل تحسينه وتكثيره ـ اسباب العقم ـ كيفية التعرف على ما اذا كان الجنين الذي في الرحم ذكرا او انثى ـ لماذا تزيد اعضاء الجنين او تنقص ؟ ـ الوقت الذي يمكثه الجنين في بطن امه ـ الذي يحدث في الايام الاخيرة من الحمل ـ نظام تغذية الحبالى ـ العلامات الاولى للمخاض ـ سهولة الولادة ـ نظام تغذية النفساء ـ وفرة الحليب ـ الرضاعة ـ كيفية المحافظة والتوجيه لصحة المولود ـ النمو والتحولات التي تعتريه ـ التسنين ـ طريقة علاج اختلالاته والاسباب التي تحدثها ـ التدبير الغذائي الذي يجب اتباعه قبل التسنين وبعده حتى سن البلوغ .

ويجدر بالملاحظة ، ان علم التوليد ، وعلم امراض النساء : Gynaecology ، ظلا ضعيفين ، للاسباب المانعة من كشف العورة ... ولكن هذه المشكلة امكن التغلب عليها ولو بصورة جزئية ، ذلك ان القابلات ، هن اللائي كن يحضرن عند النفاس ، ويتولين التوليد بانفسهن ، بينما كان الاطباء المختصون يقتصرون على تقديم النصائح لهن عن بعد ، ويرشدونهن اثناء الولادة ، فكانت القابلات تقمن بعمليات خطيرة الشان :

— منها تصحيح وضعية الجنين في الرحم ، وتقليبه تمهيدا ولادته بكيفية سليمة .

— ومنها القيام « بالعملية القيصرية » (4) الشهيرة ، التي كثيرا ما يزاولها هذه الايام بعض من يتكالبون على جمع المال ، مع انها لا ينبغي اللجوء اليها الا بعد استنفاد كل الوسائل الاخرى المجدية .

— ومنها تشريح جثة الجنين ، وتقطيعها اربا اربا ، عند ما يقضى في بطن امه ، او عند ما تكون الولادة مستحيلة ، نظرا لضيق حوض الام ، او لغير ذلك من عوامل النقص في التكوين الجثماني للوالدة .

( يتبع ) د. عبد الله العمراني

(4) Caesarean Operation هي عبارة عن استخلاص الولد او الجنين ، واستخراجه من رحم امه ، بعد القيام بعملية فتح جدار البطن ، وخياطته بعد الولادة . نسبت العملية الى الحاكم الروماني يوليوس قيصر ( 100 ـ 44 ق. م. ) الذي ولد بوساطتها يوم 12 يوليوز ـ شهره المختار ـ من السنة المائة قبل ميلاد المسيح عليه السلام .



# معاني المعاني

## في معنى المعنى

للدكتور محمد التهامي الوكيلي

ما اجمل معاني المعاني في المعنى الذي له معنى ، اذ تظهر ان لا معنى في ما ليس بمعنى يدل على المعني ، فان قيل وما المعنى ؟ يقال ان المعنى يعني به شيء له معنى ، مظهرا لكل ما ليس فيه معنى يدل على معاني الاشياء الظاهرة في معناها الحقيقي . فالمعنى كعنوان لشيء يدل على شيء آخر له معنى آخر غير ظاهري في معناه ، لان له معنى آخر غيبي حقيقي اعطي له المعنى انه شيء يعني به شيء ، فذاك هو المعنى ، وان قيل فما معنى المعنى ؟ يقال ان لا معنى في ما ليس فيه معنى يعني المعنى الاصلي لكل معنى ، فان قيل ان هذا غير مفهوم ، يرد بجواب عن سؤال غير مطروح بمعنى ان الفهم يقال فهم لوجود معاني اعطت معنى لشيء مجهول عرف معناه بما هو مفهوم ؛ فهناك ما وراء الفهم والمفهوم يفهم به ان كل ما يفهم به الانسان انما هو فهم يدل على فهم بفهم مفهوم وليس بفهم الفهم نفسه ، ولو قيل ما معنى هذا ؟ يقال ان هذا اشارة الى معنى قيل عنه غير مفهوم ؛ بينما كان الفهم يعدم الفهم بمعنى لا يعني ما فهم انه فهم غير مفهوم في كل هذا . فكل تستعمل عند جمع فهم كان مفهوما أم غير مفهوم له معنى او خالي من كل معنى لا يعني ما يفهم في كل ، وفي ، هي جمع لفهم في فهم لاعطائه معنى مفهوم على انه مفهوم في معناه الذي يعني ان فيه فهما مدركا بفهم المعنى المدرك في المفهوم ، وادراك الفهم لا يكون الا اذا ادرك فهم المفهوم نفسه بوجود معنى يعطي له فهما مفهوما اعطي للانسان ليفهم به ؛ فكان الكلام المعقول هو كل كلام يعتبر ككلام لدليل الفهم ولادراك معنى الكلام المنطوق به او المكتوب بالبيات فهم معقول على حسب ما يفهمه الانسان . ولو لم يكن هذا لكان كل كلام يقال مجرد كلام لا يفهم في معناه ويفقدان الفهم لا يعتبر الكلام ككلام مفهوم في ما يعني به اذا اردنا فهما لمعناه المدرك بالعقل ، قيل ما السؤال ؟ يقال ان هذا سؤال نفسه ، فالسؤال سؤال ، وان اعطي .ه معنى يصبح سؤالا ، وان قيل ما الدليل قيل ان ـما ـ لها معنى وجود سؤال كماذا . ولو قيل فما ذا ماذا ؟ يقل وجود ـ ما ـ يعني معنى ـ ذا ـ اذا يوجد شيء يعنى به شيء آخر موجود دلت عليه ـ فاء ـ فاصبح السؤال معناه في المعنى ان له كلاما يطرح كطلب لفهم معنى شيء كلامه السابق له كان هو السؤال ، ولو لم يكن الليل والنهار لاستفسر الانسان عن معنى عدم وجود الليل والنهار وما يسمى الوضع بينهما ، وهذا الوضع هو الفلق يوضح ان بين معنيين معنى يعني المعنيين في آن واحد له معنى آخر لا يعني المعنى الاول ، ان الفهم الثالث بين كل فهمين كان وسيلة اعتماد الفهوم الكونية الغير المفهومة بالفهم الاول او بالفهم الثاني ، واعتمد القدماء على هذا النمط من الفهم سعيا وراء معرفة اسباب الكون ومعرفة الخالق بنفسه او الاتصال معه ، وكانت هذه الفهوم فوق كل فلسفة وفوق كل اصول النحو المعروفة ، وتسمى بالعلوم اللدنية عند المتصوفة واسمها الحقيقي معروف بالفهوم النمطية . فهم القدماء بمعنى الفهم المجرد من المعنى الغير المدرك ،

ان الرجل رجل والمراة امراة ، فالفهم الاول يعنـــى الرجل والفهم الثاني يعني المراة ، ولكنهم بحثوا في معنى فهم يعطي فهما آخر له معنى آخر يعني به فهـم الرجل والمراة اذا ما اختلطا بينهما ؛ هـل يصبـح الوضع في هذا الحال وضع الرجل ام وضع المراة ام كلاهما ، او اضمحلال علامة الرجولة وعلامة الانوثة ، فظنوا ان خلطهما يعني معنى المعنى ان هذا الوضـع وضع الوهية . ووضعت الاوضاع النمطية والطلاسم الخلطية لخلط القوى الكامنة في الرجـــل والمــراة للوصول الى النمط الالهي ، ولم يكن هذا بالامكـان ، لان الخلط مثل هذا حتى ولو كان بخلط القوى يصبح الوضع معناه في خلطه غير مفهوم ؛ فلا يعرف في ذلك ارجل هذا ام امراة ؟ ودون الفهم الاول والثاني دخل المعنى الحقيقي الذي يعني الملك اذ لا انوثة لـــه ولا ذكورة ، فالرجل هو المعنى الاول والمراة تعني وجود الرجل والملك معناه دليل الفهم الثالث انه ليس برجل ولا بامراة ، فهذا يعني معناه ان له معنى كامن فيـــه يجعل سره ، والخلط الاول يعني بمعنى انه ليس له معنى يدل على معنى الحقيقي ؛ ان الذكورة لا تعنـــي الانوثة ، والانوثة لا تعني الذكورة ، فكانـت المباشرة بين الرجل والمراة هي التي تعني المعنى بالتحـــام القوتين وجعلهما في وضع فيه ذكورة وانوثة تعني في معناها الحقيقي ان الرجل والمراه بشر لوجود المباشرة تعني في معناها جمع لمعنى ليس له دليل عن معناه الحقيقي الا بمفهوم في الفهم ان بهذه المباشرة يعني ان الرجل والمراة في اجتماعهما معناه انهمـــا ليسا الاهين . بحث الانسان منذ القديم على فهم ثالـــث يكون كل معناه لا يعني ما هو مفهوم ظاهريا بل يعني فهما وراء الفهم الذي ظهر معناه . كان البحـــث في الكون عن الكون نفسه في اي كون هو كائن ثم مـــا وراءه اكون هو او كائن ؟ كل شيء في الكون قوتـــان والقوة الثالثة جامعة للاثنتين ؛ ولم تدرك في مفهوم معناها لا قوة ولا معنى ، اذ كان التساؤل هل القوتان منها او هناك انفصال يعني معنى آخر لشيء لم يكـن شيئا مفهوما وليس كمثله شيء مما له معنـــى بيـــن المعاني ، قيل للناس ان ما يبحثوا عنه بين معانـــي المعاني في معنى المعنى هو الله ، وقيل لهم ان ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ولو يكن الاقتناع بما اعطي من فهم ليس فيه معنـــى الفهـــم نفسه او الادراك في معناه ، وبحث الانسان عن الخالق بفهم المعنى معنى الفهم الثالث ، وتركزت البحوث كلها عن خالق الكون في الكون نفسه ان معانـــي كـــل شيء وجودي تعني معاني معنى شيء غير وجودي ظاهري .

ان الحاضر والماضي فهمان شاملان لمعنيين والغيب فهمها الثالث ، والغيب معناه شيء غاب معناه وليس له معنى يظهره بين كل المعاني الموجودة ، وكل شيء موجود مفهوم فهو معنى في نفسه يعني امرا غيبيا لا يعرف معناه ، فان قيل ما الانسان ، وجدنا ان المعنى هو معنى في نفسه نفهم له معنـــى ظاهـــري على ان الانسان انسان ، اما المعنى الغيبي عن كنهه في حـد ذاته فغيبي ، ولا يمكن ان نقول ان الانسان من خالقه، اذ خالقه هو المعنى نفسه الذي يعني الانسان ،لولا وجود الوجود هل يكون الوجود وجودا ام وجـــودا عدميا غيبيا لا معنى له في ظاهر المعاني ؟ والمعنى في هذا هل الخالق يعـــرف نفسه بنفسه دون وجـــود الوجود والخلق الذي اعطي به معنى ظهـــور الشيء لغيبي العدمي حتى أصبح ظاهر فهم وجودي يعنـــي معنى الشيء الغيبي ؟ ففكر من لم يدرك معنى التفكير ان الله خلق الخلق ليعرف نفسه بالخلق ، ولم يكـــن هذا صحيحا لوجود العدم لا ادراك فيه لفهم ولا لمعنى يعني شيئا وجوديا ، والله خالق العـــدم والوجـــود يستغني عن الخلق كله وهو منفصل كـــل انفصـــال ، وفكر الانسان في الحياة والموت فما الذي بينهمـــا ؛ وظن كثير ان لو ادرك معنى الحياة ومعنى الموت في معنى يعنيهما لتمكن الانسان من ادراك معنى الخلـود دون موت ولا حياة ، ولكن معنى الحياة يعني وجـــود الموت في معناه انه موت فوق الحياه لانه يوقفهـــا ، ولكن في معنى آخر فان الحياة بالخلود توقف الموت ، فهي فوق الموت تعني قوة اضمحلال معنـــى غيـــر وجودي يدل على العدم ؛ فالحياة تدل عن الوجـــود والموت يدل عن العدم ، وبين الوجود والعدم ما هـــو معناهما مجتمعان وما بينهما في المعنى الثالث لهما ، لو فكرنا بالتفكير المجرد من معنى عدم وجود التفكير لما وجدنا حلا يعطي فيه معنى ، فالعـــدم والوجـــود وجودين في كونين مختلفين منفصلين ومرتبطين فـــي عالم ثالث يعني وجوديا عدميا علمه عند الله .

فالعدم حتى ولو لم يكن وجود فهو موجـــود ، وكل موجود فهو منفصل عن خالق الكونين : العـــدم والوجود ، ووا فكرنا بعدم التفكير لكان تفكيرنا قـــوة من التفكير نفسه وعدمه ، فالتفكير معنـــى لوجـــود الوجود وعدم التفكير له معنى وجود العدم ؛ لـــذا اعتمد الانسان منذ القديم على توقيف حركة التفكير حتى يتم له فهم المعنى الكامن بينهما ، وحتى لو بلغ الانسان لهذا فان المعنى يبقى معناه ان بالتفكير كانه عدم التفكير ، وظن الانسان ان العالـــم الوجـــودي

الظاهري والباطني مسجون فيهما ، وفكر في ما بين ظاهران باطنان لظاهر حقيقي يعرف بالجنة ، فالجنة بالمعنيين الظاهر والباطن . ان الظاهر والباطن ظاهران باطنان لظاهر حقيقي يعرف بالجنة ، فالجنة جامعة في معناها الوجودي لكل ما في الباطن والظاهر. ولم يكن بين الظاهر والباطن خالق الكون ، فكيف يمكن ذلك والله خلق الكونين العالمين الظاهر والباطن، ولو فكرنا في التفكير نفسه لوجدنا معناه في معانيه وقوته له قوتان يتم بهما التفكير ، وبين القوتين نجد العالم الصوري الذي يدل بمعنى واضح على قوتي التفكير ، فالتفكير والخيال بينهما الصور التي تعني في معناها وجود تفكير وخيال يكون بالصور المسجلة في الدماغ ، ان الانسان خلق في ظلمات ثلاث ، ولو فكر في معنى المعنى بكل معاني المعاني الموجودة والعدمية لما بلغ الى اكثر من فهم ثلاثي دل عليه الله سبحانه وتعالى في ما انزله على الانبياء والرسل عليهم السلام ، فالفهم الثلاثي هو اسمى ما يصل اليه الانسان من فهم لفهم معاني الاشياء الموجودة على حقيقتها الوجودية . ان ما وراء الوجود والعدم وجود وجودي عدمي يعني في معناه وجود الوجود ووجود العدم ، وما وراء الظاهر والباطن ظاهر في الوجود وباطن في العدم الوجودي ، ولم يكن خالق الكون في العدم حتى يقول الانسان انه ان رجع الى العدم يرجع الى خالقه ، ولم يكن الخالق اصل الخلق ، بل هو خالق الخلق واصول الخلق لا يرجع اليه منها شيء ؛ ولم تكن منه حتى تعطي معنى كامنا فيه معنى وجود الخالق في الاشياء .

ان لكل الاشياء الظاهرية معاني تعني اشياء غيبية لا تدرك معانيها او سرها الخلقي ، ومعاني الاشياء الغيبية تعني معاني الاشياء الظاهرية ، ان الانسان ان يفكر في نفسه بان له حياة وحركة يفكر في الاشياء الجامدة ، فالاشياء الجامدة والاشياء الحية معناهما في المعاني وجود مادة متحركة واخرى غير متحركة مستقرة ، لكن فهم الانسان لا يستقر كالجماد بل يتحرك لوجود الحركة فيه ويبحث عن معنى الجمود والحركة وفي ما بينهما بمعنى أن ما معنى شيء يعني فيه وفي معانيه الجمود والحركة مجتمعان في آن واحد ليعنيان معنى شاملا لمعناهما ، ولو فكرنا في هذا لوجدنا استحالة في الفهم ، والفهم الاول هو الفهم بالمعنى التفكيري والفهم الثاني بالمعنى الصوري يكون الادراك وما بينهما هو الاستحالة وبين العلم والجهل توجد الحقيقة ، والانسان ان يأبى الفهم بالفهم المفهوم في المعاني الظاهرية يعذب بعذاب غير مفهوم ، واذا بالكافر يوم القيامة يعذب في جهنم ثم لا يموت فيها ولا يحيى ، الم يكن يبحث عما هو بين الحياة والموت ، ان بين الحياة والموت الخلود ، وبين المعنى والمعنى معاني معنى معنى المعنى الاول ، ومعاني اخرى تعني المعنى الثاني ، فمعاني المعاني هي المعنى الثالث للمعنيين الاولين ، وبين الجمود والحركة سر الحياة ، وبين العلم والجهل سر الحقيقة ، وبين العقل والانسان سر الروح ، ومعنى الروح يبقى معنى لا يعنى ظاهريا مدركا ، لذا كان الروح من امر الله ، وقد يوضع السؤال في معنى يراد به معرفة المعنى الذي يعني ، هل الملائكة لهم روح ام لا ؟ ما اعظم السؤال وما اعجب المعنى ، لان الملائكة في خلود ، فهل لهم حياة ؟ لان من كانت له حياة فان معناها في معاني الاصل تستوجب الموت ؛ لذا كل نفس ذائقة الموت ، والنفس قد الهمها الله فجورها وتقواها ، فكان بين الفجور والتقوى معنى ما يدلي به الشيطان ، فبين الملك والانس يوجد الجن فبين الخلق يوجد خلق وبين الخلق والخالق يوجد العدم الفاصل في معاني الفهم والادراك ان الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ليكن معنى ما نفهمه له معنى يعني به ما هو مدرك في المعاني ، ان الله سبحانه وتعالى له صفات ، وصفاته لا تعني معنى تشخيصه ، فهو سميع بصير دون وجود اساس معنى السمع بالاذن والبصر بالعين ، فالاذن تعني وجود السمع والعين تعني وجود البصر ، وبين الاذن والبصر في المعنى الثالث نجد البصيرة ، وبين المحبة والكراهية ، نجد الفؤاد ، فالمعنى الثالث يعني وجود معنيين يعطيان معنى آخر غيبيا ، لان البصيرة والفؤاد لا يدركان ، ولكن القلب يعني وجود البصيرة فيه ، لذا لا تعمى الاعين بل تعمى القلوب التي في الصدور .

ان الله سبحانه وتعالى ، مقلب القلوب والابصار ويولج الليل في النهار والنهار في الليل ، يمحو آية النهار فيصبح ليلا ، وجعل آية النهار مبصرة ، فكان المعنى في هذه المعاني . ان النور اساس البصيرة ، والظلام اساس العمى ، لذا لا تستوي الظلمات والنور ولا الاعمى والبصير ، والله سبحانه وتعالى يخرج المؤمن المسلم من الظلمات الى النور ، ويخرج الحي من الميت والميت من الحي ، وبقي الانسان يبحث عن المعنى الذي يعني المعاني كلها في معنى واحد يعنيها ، ولكن الله سبحانه وتعالى يعجز الخلق في

المعرفة المعروفة لدى الانسان وحتى لو كان الانسان ذا علم وبصيرة وبعيدا عن الجهل ، فهذا لا يعني انه يعلم الغيب ، فالغيب هنا هو المعنى ، والعلم لا يعني المعنى او معنى المعنى في معاني علم الغيب ومعرفة الحقيقة ، واذا عرف الانسان حقيقة ما فانه لا يدركها في حد ذاتها حتى يعلم كنهها ، فالمعنى بعيد كل البعد عن المعاني الظاهرية والباطنية ، لذا كانت مشيئة الله هي القصوى ، واذا بحث الانسان عن معنى القمر ومعنى ما بينهما فان الشمس والقمر يجمعا فتقوم الساعة ليظهر ما بينهما ، وليفكر الانسان في ما بينه وبين نفسه هل بينهما حاجزا او اتصال ، لان الله سبحانه وتعالى جعل بحرين احدهما حلو وآخر ملح اجاج ، وبينهما برزخ لا يبغيان ، هل بين الانسان والنفس يوجد الشيطان ام وساوس الانسان ؟ ان الجن خلقوا من مارج من نار فهل نفخ الله فيهم من روحه ام لا ؟ ان المعاني هي وضع السؤال والجواب هل يعني معنى الجواب عن السؤال ام يعني معنى آخر لا يعرف معناه ، ان الانسان لا يهدأ حتى يعرف معاني المعاني في معنى المعنى ، لذا كان اكثر جدلا ، ان قيل له انك فوق الارض يقول وماذا في الفوق ، وان قيل له ان في الفوق سماء واذا به يسأل وماذا بينهما ، لعل الانسان يفهم ان وجود الارض كتحت ، يعني معنى وجود السماء كفوق ، لكن المعنيين لا يعنيان معنى ما بين السماوات والارض ، ولله ما بينهما ، الا يكتفي الانسان بما يعرف من معرفة معناها علم يعني معنى الحقيقة ان الحقيقة لا تدرك ؟ ما القول بين القول وما الفعل بين الفعل وما العلم امام الجهل ، ان الجهل يعني معنى وجود العلم ، والعلم معناه نفي لمعنى وجود الجهل ، هل التراب يعني شيئا له معنى آخر غير ما نعرف في معناه ؟ نعم ولم لا وقد خلق منه الانسان ، وهل الماء يعني شيئا ، ومن يقول لا ، فان الله سبحانه وتعالى جعل منه كل شيء حي ، لعل الانسان لا يقدر الله حق قدره ، ولا يعطي للماء والتراب قيمتهما، الا يعنيان وجود سر لا يدرك الانسان معناه ، الم يخلق عيسى عليه السلام من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طائرا بإذن الله ، لعل المعنى ان النفخ في الطين يعني شيئا آخر ، ولعل السر في الروح لا في النفخ ، بل لعل النفخ معناه الروح ، بلى يوم ينفخ في الصور يصعق من في السماوات والارض والا من شاء الله ، وكما اعطى النفخ في اول مرة معنى الحياة ، فانه يعطي مرة اخرى معنى الموت ، لعل المعنى هنا لا يعني شيئا ، بلى ان الله فعال لما يريد ذو بطش شديد ، لا تعرف معنى معانيه ، لذا ضرب

للانسان من كل مثل ، وجعل له الماء يرويه ، وهو الذي يفقره ويغنيه ، والله ضرب للناس مثل الفقر والغنى ، وفكر الانسان في ما هو معنى بينهما ، فأوتي سليمان عليه السلام ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ليس فيه فقر ولا غنى ، وسخر له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ، وكان المعنى ، ان الله سبحانه وتعالى لم يكن بالريح ولا في الريح ، فليقل الانسان لماذا عبدت النار ؟ لعل الذين كانوا يعبدونها ظنوا ان معناها يكمن في معنى اذا دخلوا جهنم ترحمهم النار لانهم كانوا يعبدوها ، ان معنى العذاب في النار يعني ان الله سبحانه وتعالى ليس له اتصال بالنار ، بل هي تحت امره ، والباحث عن معنى وجود الجنة وعن معناها في المعاني الكونية الموجودة ظاهريا ، قد يدخل جهنم ليدرك معنى المعنيين ان بين الجنة والنار سعيا وراء ملك لا يبلى ، فالانسان بين الجنة والنار ، وغريب ان يسأل اين هو ذا ؟ قد ينسى انه في الحياة الدنيا يسعى الى الخلود والى الملك الذي لا يبلى ، فان بين الجنة والنار الحياة الدنيا ، وهذه الحياة معناها لا يعني حياة كحياة في معناها ، بل وجودا بين الحياة والموت ، فالانسان منذ ان يولد الا وهو بين الحياه والموت ، ولا يمكن ان نقول بانه في الحياة لان الموت يهدده ، لذا سميت الحياة الدنيا بالحياة الدنيا ، فهي معنى يعني عدم وجود استقرار ويعني وجود متاع الى حين ، والمتاع الذي يكون الى حين ، لا يسمى ملكا لانه يفقد ويضمحل، فما المعنى في القول اذا ، هل لشيء معنى ام لا ؟ ، ان الاشياء تعني انها اشياء فلها معنى كاشياء ولو لم تكن لفقد المعنى ، ويبقى معنى العدم ان له معنى غيبيا ، لذا خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا ، ما اياس الشيطان حين لا يعرف المعنى في كونه شيطانا، لانه يعني ثبات ايمان المؤمن ويعني ثبات كفر الكافر ، والشيطان بين الكفر والايمان ، يخاف الله رب العالمين ، وبعزة الله يغوي القوم الكافرين ، ولكن الله سبحانه وتعالى اثبت القول ان الشيطان كان من الكافرين ، والكافر كذلك يؤمن بالله اليس كذلك ؟ واذا فعل الشر يقول باذن الله . ان المعنى فوق المعنى ويعني معاني اخرى ، ان الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء له الكرسي والعرش وله الملك الذي لا يبلى ، ام الانسان بأن يقول : الله ويذر القوم الكافرين في خوضهم يلعبون ، ان بين الكذب والصدق حكم الله وبين الرجل والمراة ذرية ، وخلق الناس من نفس واحدة بث الله منها زوجها وجعل منهما رجالا كثيرين ونساءا ، فكان بين آدم عليه السلام ونفسه زوجه

وبينه وبين زوجه ابناءه ، ويخاطب الله سبحانه وتعالى بني آدم ، مثلا ومعنى لعلهم يفهمون معنى المثل انهم قد يخطئون كما لم يكن لآدم عليه السلام عزم ، ولكن ليتوبوا الى الله فيتوب عليهم كما تاب على آدم عليه السلام ، وليبقى المعنى بعيدا كل البعد عن معناه الذي له معنى آخر فيه سر الخلق واسبابه، والمعنى المفهوم ، هو ان الله سبحانه وتعالى خلق الانس والجن ليعبدوه ، فكان المعنى هو ان يعبد الله ، فانه سيبحث عن المعنى الذي خلق من اجله ، فلا يجد جوابا آخر لان المعنى الحقيقي قد رفضه ، ومهما ان الانسان رفض المعنى الذي خلق من اجله اذا به يعطي معنى آخر لوجود انه هو اله ايضا ، فكان القول عجبا ، والمعنى لا معنى له ، ولكن هذا يعني معنى آخر ان القائل قد كفر ، وكفره هو المعنى الصحيح ، ويدل على معنى آخر انه يعبد الله كرها ، لان الله سبحانه وتعالى خلقه من اجل العبادة ، لذا لا تبديل لكلمات الله ، وسبحان الله عما يشرك الناس ، وبعد هذا فان الكافر لا يمكنه ان يجد معنى آخر ينفي المعنى الحقيقي ، فيقول الكافر حين يرى العذاب ليته كان ترابا ، الم يكن ترابا ؟ انه لعجب حقا ان لا يدرك الانسان معاني ما حوله ويبحث عن عدم المعنى فيعطي معاني اخرى لاشياء لها معاني حقيقية . ان المعنى الذي ليس له معنى هو ان يهتم باشياء لا معاني فيها ، ليكن الاهتمام كله في كل ما هو مهم ، واذا ما اعطينا الاهمية لما ليس له اهمية فان اهميتنا لا تبقى لها اهمية ، وفي الحقيقة بماذا يهتم الانسان ؟ هل يهتم بنفسه ؟ فما هي اهميتها وما المهم فيها ؟ لعلها تعني المعنى ان النفس امارة بالسوء ، ثم ما معنى السوء نفسه ؟ لعله ضد الاحسان ، والاحسان ما هي اهميته وما هو معناه ؟ ان الاحسان لا معنى له اذا كان الانسان ليس له معنى ، وليكون للانسان معنى فماذا وجب عليه ؟ انه قيل ان الانسان ليس له معنى ولا تكون له معاني اذا لم يعط له معنى يعني معناه ان للانسان معنى ، وقيل ايضا ان الانسان لا يكون له معنى كانسان الا اذا علم معاني المعاني في معنى المعنى ، وقد قال من فكر في المعاني ان المعاني كلها تعني ان الانسان تضرب به المثل كمعاني ، وضرب مثل الانسان في الكفر والطغيان والنسيان ، فهذه معاني للانسان ضربت بمثل تعني ان الانسان انسان ينسى كل ما لا يجب ان ينساه انه انسان ، فاذا نسي الانسان انه انسان فكيف سيصبح المعنى ، اذ يفقد الانسان معناه ، لعل المعنى ان الانسان لا يعرف معناه بين المعاني التي لها معنى ، لان كل شيء في الكون يبقى معناه يعني ما شمل في المعاني ولا يتغير في معناه ، الا الانسان فانه يفقد معناه لانه يسعى ان يبدل معاني المعاني ، لذا يضرب به المثل وعندما يفقد معناه يكون من شر الدواب عند الله ، لو احتفظ الانسان بمعناه كانسان خلق من صلصال كالفخار وخلق من اجل العبادة لما ضرب به المثل ولما كان من شر الدواب عند الله . ومهما انه يفقد معناه كانسان فلا بد ان يشبه بالدواب ويجعل منه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت . ان الله سبحانه وتعالى لم يكن ظلاما للعبيد ، ولا يعذب الا من فقد معناه وغير معاني المعاني التي تعني ان الله هو خالق كل شيء وان المعاني كلها ترجع له . ان كل شيء موجود الا ويعني ان الله سبحانه وتعالى هو رب الوجود وهو الذي جعل للاشياء معاني وجعل الشمس تعطي معنى وجود النهار وغروبها يعني حلول الليل ، ليقل الانسان ما هو دليل الليل ، هل هو وجود الظلام او غروب الشمس ؟ لعل المعنيين لا يعنيان معنى لان القمر يعني دليل تغيير الظلام ، ولكن القمر يكون بالنهار ، فلعل الذين فكروا في الليل والنهار ، قد فكروا في السماوات والارض فقالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ، ان دليل القول فيه معنى وخوف من النار ، وهذا يعني ان لو اعطى الانسان معنى آخر للسماوات والارض فانه يدخل النار ، والدخول للنار يعني ان الانسان فقد معناه لانه اعطى معاني اخرى لاشياء اخرى جعل لها الله سبحانه وتعالى معاني حقيقية .

فالانسان اذا لا يفقد معناه حتى يعطي للمعاني معاني لا تعنيها ، يعطيها على حسب ما لم يكن له معنى ، فراي الانسان ليس له معنى يعني حقيقة لها معاني ، بل الراي هو العلم ، لان العلم يعني راي الصواب ، والراي من الرؤيا التي يتم بها رؤية معاني المعاني ومعنى المعنى ، فالمعنى لا يفقد معناه الا اذا فقد العلم لان بفقدانه يفقد المعنى ، قيل للانسان ما ظنك برب العالمين ؟ لان الانسان يعطي معاني اخرى لكل ما لا يعرف معناه فيظن بالله السوء ، ان كل ما لا يعرف الانسان وجب عليه ان يطلب معناه حتى لا يضل فيشقى لم ينسى ان الى ربه الرجعى ، فكلما اعطى الانسان معاني اخرى لما لم يعرف معناه يفهم معاني مغايرة فيضل ويشقى فيقول كيف يكون لله الرجعى ، وكانه يبحث عن المعنى وماذا يعني الرجوع الى الله ،

ثم كيف الجسد يبعث بعد ان يبلى ، وكيف للروح ان ترجع مرة أخرى ، ان الانسان يبحث عن المعنى الذي لم يعط معناه ، لماذا سئل الانسان عن الروح ويسال عنها ؟ انه سعيا وراء الخلود ، فهذا سؤال له معنى كسؤال اريد به معنى آخر لا يظهر الانسان في معناه ، فلم لا يسال الانسان عن الخلود بدلا من ان يسال عن الروح ؟ ظنا منه ان الروح لها خلود ، ولكن هل في النار تنزع من الانسان الروح ام لا ؟ ربما اذا نزعت الروح تبقى الحياة ، ولكن كيف ذلك والكافر في جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، لعلها حياة اخرى ، لها معنى آخر تبقى الانسان لا يموت ولا يحيى . ان الكافر يحشر اعمى يوم القيامة ولم يكن المشكل هو انه فقد بصره ، بل المشكل انه فقد المعنى ، اذ ليس من المعنى ان يكون له بصر لا يرى به شيئا يعطيه معناه ، انه لا حاجة للكافر يوم القيامة بالبصر ، لانه عاش في الحياة الدنيا ولم ير شيئا له معنى ، فقل انما الحياة الدنيا يموت فيها ويحيى ، ولم يعط اهمية لمعنى الموت والحياة ، وما بينهما الا الخلود ، فيخلد الكافر في النار ، ولانه بحث عن الخلود في الحياه الدنيا بعدما اعطى معنى آخر للموت والحياة ، لعل الانسان ان احتفظ بالمعاني يدرك معنى المعنى ان للمعاني معاني اخرى لا تعني المعاني المدركة ، بل تعني غيبية لا يدرك معناها ، وما الموت الا مثلا للانسان معناه ان الانسان يفنى وكل ما فيه لا يبقى لانه خلق من قبل ولم يكن شيئا مذكورا ، كذلك الكافر في جهنم ينسى؛ واذا ما نسي فما هو المعنى ؟ .

ان ذلك يعني ان الله غني عن العالمين لن يعطوه نفعا ولا يضروه شيئا ، ولو قابلنا معنى بمعنى لكان لنا معنى آخر يعني المعنيين ويعني معنى ثالثا لهما ، كم من كلام اعطي له معنى ولم يكن له اصل في المعنى ، اذا كتبنا كلمة كلمة فان الكلمة تعني معناها انها كلمة ، ولكن ان كتبنا كلمات أخرى فان تلك الكلمات تعني اشياء اخرى ، هل فكر الانسان في الميزان ام لا ؟ ان فيه معنيين وحامله معنى آخر يعني ان بين المعنيين معنى بالتوازي او بفرق بينهما ، كم هو الضوء قوي عندما يخرج الانسان من ظلام ؛ والضوء يعني ان الانسان كان في ظلام ولولا خروجه الى الضوء لما عرف انه كان في ظلام ، وهذا يعني ان الانسان قد يسيء ويظن انه يحسن صنعا ؛ ان قوة الانسان لا تعني شيئا لان القوة لله جميعا ، فلو كانت قوة حقيقية لما اصيب بالضعف ، فهذا معنى ينفي معنى .

ان معرفة معاني المعاني علم فيه التفاني في المعاني ؛ لذا كان المعنى انه يخشى الله من عباده العلماء ، لان الجاهل لا يخاف الله وكيف يخافه وهو لا يدري معنى الخوف ولا معنى الادراك ولا معنى العلم ولا معنى الجهل ولا معنى المعنى ، لذا فهو يتمتع في الحياة الدنيا ، لان متاع الحياة الدنيا ليس فيه معنى، ومعنى المتاع الحقيقي هو في الجنة حيث الانسان لا يشقى وحيث يبقى المعنى لا يغير معناه ؛ ان القوة والضعف بينهما معنى يعطي معنى للسكينة ، والسكينة معنى ودليل الحكمة ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا .

ان المعاني تعني حكمة ، والحكمة تعطي طمانينة، والنفس المطمئنة ترجع الى ربها راضية مرضية ، وتدخل الجنة باذن ربها ؛ الحكيم هو الذي يدرك ان الحكم لله والرجوع الى الله ، وغير هذا فانه ليس بحكمة وليس له معنى ، والقول ان لم تكن فيه حكمة فانه لا يعتبر قولا بل كلاما ، والكلام قد يكون فيه معنى كما انه قد يفقد معناه ، والكافر انما يقول كلاما هو قائله حتى يظهر القول وصحته حين تظهر المعاني لتعني في معانيها ان الانسان ظالم لنفسه مبين ، ان الانسان مسؤول ويسال عن كل كلام جعل له معاني لا تعني القول الحقيقي ، لذا فان الكافر يوم القيامة لا ينطق بشيء وينزع منه الكلام ، لانه كلما تكلم الا ويقول شيئا ليس فيه معنى او يقول قولا لا يعرف معناه الا بمعنى الكفر ؛ هل راى الانسان حربا بين المعاني ينتصر فيه معنى عن معنى آخر ، وقد يكون هناك معنى يحكم بين المعنيين المتحاربين ويعطي بحكم معنى لائق قد يقبله المعنى الاول والمعنى الثاني ، تلك حرب الافكار والمبادىء والعقائد فياتي حكم الدين بما حكم الله سبحانه وتعالى ويعطي للافكار البالية والمبادىء الخالية من المعاني ؛ معنى ان كل ذلك ليس له معنى يعني شيئا ؛ بل الله هو الذي يعلم الحق في القول ويضرب الكذب بالصدق ؛ ولا داعي للتساؤل فان بين الصدق والكذب يوجد النفاق ، والنفاق يعني ريبا في النفس وشكا في الحق وهو معنى الكفر ، ما هو المعنى الذي لا يفهم معناه ؟ قد يكون لغزا لان اللغز معاني تعني شيئا او اشياء معينة، وفي هذا الحل فلنقل ما هو لغز الانسان . وان قيل لاحد ان في الارض شيئا يمشي على رجلين وله يدان وسمع وبصر ، قد يقول ان ذلك معنى لقرد ، ولكن ان زدنا ان لذلك الشيء عقلا ، فقد يعرف المعنى ان ذلك هو الانسان ، اذا فالانسان انسان لان له عقل ،

وهل المعنى ان العقل لا يوجد الا عند الانسان ؟ بلى ان المعنى بعيد عن معنى العقل ، لان العقل لا يدرك هذا ، والانسان لم يشهد خلقة نفسه ولم ير خلق الله كله ، فالله يخلق ما لا نعلم ، ليكن الامر كذلك فالمعنى في القول لم يفهم ، ولكن ليفهم الانسان فهما أن هناك معاني تعني اشياء عندنا واشياء اخرى عند قوم آخرين وتعني معنى آخر غيبيا ، ولنذكر مثلا عن الناقوس ، كل الناس يعرفون معناه ، ولكن ما هو الناقور ؟ ان المعنى الاول يعني المعنى الثاني ، جعل الناقوس لان الناس كذبوا بالناقور ، فاصبح الناقوس معناه استهزاء بالمعنى الحقيقي الذي هو الناقور ، ومثال آخر يعني معنى آخر مشابها للمعنى الاول في المثل ، جعل الانسان البوق استهزاءا بالصور ، وينفخ في البوق ، والله سبحانه وتعالى يقول انه سينفخ في الصور لا في البوق ، فكان المعنى دليل المعاني اذ يعني صراع بين معاني مزيفة ومعاني حقيقية ، كذلك النور والظلمات ، فينفخ في الصور يوم القيامة فيتحطم البوق ، وينقر في الناقور فيتحطم الناقوس ، ما اعظم معاني حكمة الله ، انه ليحكم بما حكم به الانسان على نفسه ، لان من يعمل سوءا يجزى به ، وليكن الواقع هو الواقع نفسه لا واقع آخر مزيفا ، وليكن المعنى هو المعنى الذي يعني معناه ، ان الامر لواضح ، كم من كلام ونطق بلسان تعني به اشياء ، بينما ذلك الكلام يعني كلاما خبيثا وشيئا خبيثا عند قوم آخرين ومن يعرف لغات كثيرة قد يفهم معنى القول ، والسبب في ذلك هو ان الانسان انحرف عن اصل اللغات المنزلة وجعل لنفسه لغة على حسب هواه ، وبهذا يفقد معنى الكلام ويكون الخبث نطقا باللسان وهذا لا يحتاج الى مثال لان المعنى مفهوم .

ان الواقع واقع له معنى ، والواقع الذي ليس له معنى فهو واقع خيالي اعطاه الانسان معنى ، ومثل المعنى في الذهب يحبه الناس اعطيت له قيمة ومعناه انه اعطيت له معنى فاصبح يعني مالا ، والانسان هو الذي اهتم بهذا ، ولم يكن لهذا معنى له اصل لان المال زينة الحياة الدنيا ومتاع الغرور والذين يكنزون الذهب والفضة يعذبون ، كم من قائل قال ان الله سبحانه وتعالى يستهزىء بالخلق ولم يكن للقول المزيف معنى وما قيل ذلك الا لان الله يمنع الناس عن الفساد والفسوق ، ولو اباح لهم ذلك لقالوا ان الله على حق ، لذلك لو اتبع الله سبحانه وتعالى اهواء الناس لفسدت السماوات والارض ، ولتبقى في المعنى ان الذين قالوا لهم ما قالوه الا لانهم هم المستهزئون ، وغريب ان نفكر قليلا كيف عرف الانسان السخرية . ان السخرية تكذيب وبين السخرية والجد يوجد الفساد ، فكان المعنى ان الانسان هو موضع السخرية لانه جمع حوله ما ليس له معنى ، هل فكر الانسان يوما في ما يجمعه حوله من شيء لم يكن شيئا له معنى ، ان عدم وجود اشياء لها معاني ارغمت الانسان ان يجمع اشياء ويعطيها معاني غير واقعية ، لذا وجدت الملاهي والالعاب ، والله سبحانه وتعالى يترك الناس يلعبون ، ومهما انهم فقدوا معناهم فاللعب لولى لهم ، والله يستهزىء بالكافرين ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، وليكن الامر واضحا ان كل شيء له معنى ، ومعنى اللهو هو الهزء ومعنى اللعب سخرية ومعناهما كفر ونكران لما جعل الله بالحق ، وجعل الله سبحانه وتعالى بين الكفر والشرك الهدى ، ومن يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . فكان المعنى ان الله يهدي من يشاء وهناك معنى آخر في القول ، فان الله يهدي من الناس من شاء منهم ان يهدي ، وليكن الامر واضحا واي امر هو حتى يتضح ؟ لعل المعنى لا يعني معناه في اشياء لم تتضح معانيها ، ما اغرب ما قال الانسان على نفسه اذ قيل ان الانسان من سلالة من قرد ، والله سبحانه وتعالى يقول ان الانسان من سلالة من طين ، لذا فان الامر لواقع ما له من دافع ، لان المعنى من القول لم يكن هو المعنى الاول بل قول اعني به ان قول الله سبحانه وتعالى لم يكن على حق ، وانه لم يعط الحل للانسان ، بلى ان المعاني لها معاني اخرى تعني معناها ، ان الانسان ان كفر ودخل النار فانه يخسر نفسه واهله ولا يكلمه الله ولا يزكيه ، الم يقل الانسان على الله شططا وقال كذبا ، الم يقل الله انه فضل الانسان على كثير ممن خلق تفضيلا ، ليكن الامر كذلك بانه لا معنى لمن لا يريد ان يفهم المعنى ويبحث عن معاني المعاني ، ان الشمس تشرق كل يوم دالة على ان الله سبحانه وتعالى على وعده ان رحمته سبقت عذابه ويوم لا تشرق الشمس ويأتي العذاب فان الله سبحانه وتعالى غير ما بالناس لانهم غيروا ما بانفسهم ، لذلك فان الله لا يخلف الميعاد ، ان المعنى الحقيقي هو ان يبحث الانسان عن الصواب ليعرف معنى الخطأ ، فالخطأ يوقع الانسان في الشرك ومنه يكون الاصرار ، واهل الاصرار هم اهل النار ، ان المعنى شامل المعاني للباحث عن معنى الصواب ، والانسان تاخذه العزة بالاثم ، لانه لا يعرف معنى الاثم ولا يعرف معنى الافتخار وكل افتخار فهو جهل ، وما

اعظم معنى الجهل وما اقبح ان يقال للانسان انه جاهل، لانه ان قيل له ذلك اذا به يدافع عن جهله بمعاني وسيلة دفاع تدفع عنها المعاني الحقيقية ، وليكن امر الانسان كما هو من آمن بالله واليوم الآخر يدخل الجنة ومن كفر يدخل النار ، وبين المؤمن والكافر يفصل الانبياء والرسل عليهم السلام بالحق فيعطوا معاني الايمان ومعاني الكفر ، وكلاهما معنيين ان الامر بيد الله ، قل قائل لم يعرف من هو بل عرف معنى قوله وسؤاله في معنى دخول الكافر الى جهنم وماذا سيفعل الكفار في جهنم ، فقيل له ان الكفار لن يفعلوا شيئا لانهم فعلوا كل شيء في الحياة الدنيا وفي الآخرة تفعل بهم اشياء ، هكذا فان المعنى يعني معناه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، وليبقى المعنى كما هو خفي في المعاني فهي مثل الله سبحانه وتعالى اذ يضرب للانسان من كل مثل ، وقال طفل لوالده ان ابتاه اني رأيت رجلا شيخا يصفق بيديه ، فقال الوالد ان معنى ذلك ان الشيخ يندب حاله ويعبر عن ندم فوق طاقته ، فقال الولد ان الشيخ كان يغني ، فاجابه والده ان الامر سواء والغناء بكاء ، فليضحك الناس قليلا لانهم سيبكون كثيرا ، ان المعنى في هذا يعني معناه ان الغناء استهزاء وضد لمعنى قراءة القرءان ، وكم من معنى لا نعرف معناه ، اذا كان الغناء استهزاء فماذا يكون الرقص ؟ لعله عبادة يعبد بها الشيطان ، وربما نسي الانسان الشيطان ، انه لامر حقيقي لا يصدق به الناس لان المعنى غيبي ، وكم من قائل قال ان كان الشيطان موجودا فاخرجه ، ولو خرج الشيطان للناس لرحبوا به ولم لا ، وهم اخلاء يكونوا يوم القيامة لبعضهم البعض اعداء ، وقال قائل كان الاشياء يوم القيامة تنقلب كلها ، فاجابه من عرف معنى القول ، نعم لان يوم القيامة تاتي الزلزلة وينقلب كل شيء ، ما اعظم معنى المعاني في المعنى الذي ليس له معنى ، الا يبدل الله سبحانه وتعالى السيئات حسنات ، فما المعنى في ذلك ، كذلك الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ، لذا قال للانسان بان لا يزكي نفسه لانه قد يجعل عمله هباء منثورا ، وليعرف الانسان ان الذين دخلوا الجنة ما دخلوها وهم يطمعون .

ان الله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، هل من انسان له ملك الافكار ؟ ليتخيل الانسان ملكا على الافكار كيف سيكون عرشه ؟ ربما يكون من افكار ، ولكن ما هي الافكار ؟ ان الافكار تعني اشياء حقيقية واشياء اخرى ظاهرية واخرى غيبية ، ومعانيها مختلفة كلها تعني معنى واحدا ان الله سبحانه وتعالى هو مالك الملك ، فالمعنى ينفي معناه لان الله له الملك وله الحمد ، ومن يحمد الله ويشكره يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب .

( يتبع )



في المكتبة المغربية :




تأليف : الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني
عرض وتقديم : الاستاذ زين العابدين الكتاني

المكتبة الصوفية المغربية غنية وزاخرة بالعديد من المؤلفات التي تعكس المدرسة المغربية السليفية الرائعة التي سيبقى الفكر المغربي يعتز بها ، ويفاخر بها سواء من حيث المنهج او من حيث المحتوى أو من حيث الاتجاه الفكري .

والكتاب الذي اخترت ان اقدمه هو كتاب ( المولد النبوي الشريف ) لمؤلف مغربي ـ عرفته جريدة ( الميثاق ) (1) لسان رابطة علماء المغرب « للشيخ المؤسس الامام سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني ، يحمل اسم ( النور الرباني ) ، يتناول قصة المولد بنفس صوفي عال مما عرف عن مؤلفه الراسخ القدم في المعارف الايمانية ، والمقامات الاحسانية .

والكتاب الجديد طبع في اواخر السنة الماضية بتطوان ، يقع في حوالي خمسين صفحة من الحجم المتوسط ، وطباعته نقية ، واخراجه جميل .. » .

واذا كان الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه اشرفت على طبعه ( مشيخة الطريقة الكتانية ) ضمن مطبوعاتها لاثار الشيخ المنعم وعملت على توزيعه بالمجان خدمة للفكر المغربي الاصيل ، وتنويها بالمدرسة الصوفية النقية التي حافظت على مظاهرها، فان ما كتبت عنه الصحف المغربية بالخصوص في ابانه يدعو القارىء الى المزيد من الاهتمام به ، ويبرز ذلك فيما يلي حيث جاء في جريدة الميثاق الوطني :

اولا : « يكتسي الكتاب اهمية قصوى بالنسبة للمدرسة الصوفية المغربية ويتناول موضوعا هاما من مواضيع السيرة النبوية الشريفة حيث يتطرق الى

(1) ع : 377 ـ 10 ربيع الاول 1402 هـ ـ 1982 م ـ ص : 4 .

الحديث عن منزلة النبي عليه السلام بين الانبيـــاء والــــرسل .

كما يتطرق الى النبي صلى الله عليه وسلم من جهة ابيه الطاهر في قريش نسبا وموضعا وجاها ، ثم مولده عليه السلام ووفاة ابيه ، لم ينتقل الكاتب الى الحديث عن المغزى من الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف ونشر الدعوة الاسلامية مشرقا ومغربا »(2).

ثانيــا : « .. ثم ان الكتاب ـ تقول جريـــدة ( الانباء ) جاء ليغني المدرسة الصوفية المغربيـــة بذخيرة فذة تعكس تعلق السلف الصالح ، وتعمقهـم بجوهر الدين الحنيف الذي لقي على هـــذه الارض الطيبة الايادي الكريمة والمؤمنة التي صانته ، ومهدت امامه طريق الوثوب الى ما وراء البحار حيث الفتوح الاسلامية العظيمة تعكس الى يومنا هذا تعلق المغاربة باصول واعراف وتقاليد دينهم ، وكـــل ما يتصـــل باحتفالاتهم لتخليد ذكرى خاتم الانبياء والمرسليـــن الذي نحتفل اليوم بميلاده الشريف .. (3) » صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

ثالثــا : ويقول كاتب آخر عـــن الكتاب : « ان مؤلفه قد طلع علينا بمصباح وهاج ، وكنز فريـــد ، ومسك فواح ، تستقبله المهج والارواح قائلة : وهل من مزيد ؟ انه قد خاض غوص الماهرين في الاعماق، واستخرج لنا من الجواهر ما يشوق وما يـــروق ، وكيف لا وهو في الحضرة المحمدية الشريفة حيث تكاثرت المحاسن وانفردت ، وفي الـــذات العليـــة تبلورت وتوحدت ، فالتفريق في الشواهد دلالة على وتربة الواحد ، فلا عداد ولا شكل ، ولا جرم امـــام الجوهر الحق الذي لا يدرك كنهه الا هـــو ، فالروح المحمدية مرآة هويتنا ، ومجلى احدية اتحاد كثـــرة طويتنا ، وهو الباطن في بدر اللاهـــوت والناسوت ، والظاهر في النقطة الاصيلة الاولية للملكوت ، بل هو عرش مستوى الذات الاقدس ، ومجلى صفات محبة سر الانفس ، فاذا سألت عن السر في قدره ، وجدت سيدنا محمدا صلى الله عليـــه وسلم جامعـــا للسر باسره ، وكل الكمال المتفرق عبارة عـــن حسنـــه المجموع . فلقد تربت روحه في حجاب (واصطنعتك لنفسي ) وتغذت بلبان ( ابيت عند ربي ) ، وتربـــت بعناية ( ادبني ربي فاحسن تاديبي ) في كلية (وعلمناه من لدنا علما .. بل هو قرءان مجيد في لوح محفوظ)، كيف لا وقد كان خلقه القرءان ، وكان نبيا وادم منجدل في طينته ( فاوحى الى عبده ما اوحى ، ما زاغ البصر ومـــا طغـــى .. » (4) .

* * *

وهكذا ، ونظرا لاهمية موضوع الكتاب فانـــي ارى من المفيد ان الخص موضوعه في ابـــرز صورة حيث يتناول الشيخ الكتاني مواضيع السيرة النبوية بنفس خاص ينطلق من مدرسته العلمية الصوفيـــة السلفية الخاصة التي جددت هذه المفاهيم ، فيتطرق الى الاختيار الرباني للنبي الرسول عليـــه الصـــلاة والسلام ، ثم يتناول منزلته بين الانبياء والرسل ، في حين يتحدث عنه عليه السلام من جهة ابيه الطاهـــر الذي فاق كل العوالم والمعاني والمفاخر ، وشبـــه امه من جهة افضل امراة في قريش نسبا وموضعـــا وجاها ، ثم استفاض في مولده عليه ازكـــى السلام ووفاة ابيه ، مواصلا مراحل بعثة النـــور الاقدس ، متدرجا بنفس خاص مشرق ، مشبع باسلوب جميل جذاب الى الحديث عن المغزى من الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، ونشر الدعوة الاسلامية مشرقـــا ومغربا بالهداية للبشر ، ونشر لواء التوحيد والمحبة والطهر ، ملتزما منطلقه الاخاذ ... الذي يفيـــض ايمانـــا وحبـــا ..

* * *

واذا ما انتقلنا مع مؤلف كتاب ( المولد النبوي) لنقتطف صورا من تصور الكتاب الصوفـــي للمولـــد النبوي فاننا نجده قد افتتح كتابه بهـــذه الصـــور الاخاذة سواء من حيث عمقها ، او من حيث اسلوبهـــا الادبي الجميل ، فيقول في هذا السياق :

**الصـــور الاولى :**

« الحمد لله الذي ادار نقطة خـــال الجمـــال والجلال على فلك مجرة الهداية ، وافـــاض محاسن

---

(2) عدد : ( 5 ربيع الاول 1402 هـ ـ 1982 م ـ ص : 6 و 7 ) .
(3) جريدة « الانباء » ( عدد : 12 / 1 / 1402 هـ ـ 1982 ـ ص : 6 ) .
(4) نفس المصدر عدد : 12 / 3 / 1402 هـ ـ 1982 ـ ص : 6 و 7 .

محياه على منصة انموذج الكمال ، في سرادقات غيب عرش العناية ، فخلع عليه حلل القرب والوصال ، واناط به رياض ملاحة رونق الدلال ، وتزهة في حياض جبروته قبل التكوين ، وعرفه بانه مجلى ظهور العين، ثم اجلسه على اطلس التعريف والتجريد ، واناله رقائق الهوية والتفريد ، فعصر من ماء معينه ماء روح الارواح ، في عصر البروز من كاف كنزية بطون ظهور المصباح .

ثم سلخ منه سائر العوالم والاجناس ، وشرف منهم خير امة اخرجت للناس ، فكان عين جزء الجزء وكله ، وكل البعض وقسمه وجله ، وذلك لانه صدفة جوهر عين الازل ، في نشر بطون كمون غيب من لم يزل .. » (5) .

**الصورة الثانية :**

« .. ولما ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم راق العيش وصفا ، وزهق الباطل واختفى ، وظهر مصباح الايمان وما انطفى ، وهب نسيم مولده في جميع الاقطار ، فاكتسب من نوره عزا وشرفا ، كنسيم الازهار ، فلما هب بأرض فارس اطفا النيران، فاول من نشقه سلمان ، فجاء يقطع المراحل والكثبان، حتى فاز برؤية سيد الاكوان ، واقر بالوحدانية للرحمن ، ولما فاح النسيم المعطار ، حن لعرفه جميع الانوار ، والاشجار والازهار ، فلو نشقه السقيم المزكوم ، والعليل المريض المشموم ، لرحم به المرحوم ، وشفي به كل عليل .. » (6) .

**الصورة الثالثة :**

لقد « ... اختلف في اي يوم ولد فيه النبي ، فقيل يوم الثامن ، وهو الاصح المختار ، عند اهل الحديث وغيرهم من علماء الامصار ، كما قاله قطب الدين القسطلاني ، والحميدي وابن حزم ، وحكى القضاعي في المعارف ، اجماع اهل الزريج عليه ، وقبل يوم الثاني عشر ، وان فيه برز هذا السر المدخر ، وهو قول محمد بن اسحاق وغيره وهو الذي شهره جمع من العلماء الامجاد بوسمه . قال ابن كثير وهو المشهور ، وبه العمل ، وهو قول الجمهور ، وبالغ ابن الجوزي وابن الجزار ، فنقلا فيه الاجماع بما هو المختار ، وذكر بعض اهل الكشف والعيان ، ممن له اليد الطولى في هاتيك السلوان ، انه ولد يوم السابع ، فكان اجل مولود وافضل شافع واختلف في الوقت الذي ولد فيه النبي المختار ، اهو الليل او النهار ؟ والمشهور انه ولد نهارا ، ولذلك ابقاه الله نيرا ومنيرا جهارا واختاره العراقي ، وجزم به ابن دحية الراقي ، وصححه الزركشي في شرح بردة المديح ، صاحب العقل الرجيح ، والعلم الصحيح ، لكن بعيد الفجر الصادق ، كما ورد به حديث ضعيف ناطق ، والمشهور انه ولد يوم الاثنين ، كما جاء به حديث مسلم دون مين ، وذهب بعض اهل الكشف والاتقان ، انه ولد ليلا ، وآخر ليلة السابع كالجمان . وكن ظهور هذا النور الرفيع ، ق شهر ربيع من فصل الربيع ، فهو افضل الشهور واسنها ، واكثرها ضوءا ونورا وابهجها ، فيا شهرا ما اشرفه واوفو حرمة لياليه ، فكانها للآلىء نظمت في مبانيه ، فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا ، وحسنه بديعا رفيعا .

يقول لنا لسان الحال منه
وقول الحق يعذب للسبع

لوجهي والزمان وشهر وضعي
ربيع في ربيع في ربيع » (7)

وهكذا واصل المؤلف يتناول قصة المولد النبوي العطرة حسب مراحلها وسيرة صاحب الذكرى يعزز ذلك بصحيح الاحاديث الشريفة ، وبدعمه بتفسيرات كبار المفسرين والمة العلماء الاعلام ، بالاضافة الى ما يتخلل ذلك من اشعار ذوي الاختصاص ، وخاصة منها ما هو للمؤلف ومنها ما هو

(5) الكتاب : ص : 3 .
(6) انظر الكتاب ـ ص : 37 .
(7) انظر الكتاب ـ ص : 40 ـ 41 .

لغيره ، وكلها مقتبسة من اشهر واوثق المصادر مما يلاحظ القارىء بوضوح ويرتاح اليه في بساطة وارتياح

* * *

وبعد ، فكتاب ( المولد النبوي ) للشيخ المؤسس محمد بن عبد الكبير الكتاني حلقة جديدة تضاف الى الكتاب المغربي ؛ خصوصا وان موضوعه جاء نتيجة لتخصص الكتاب « بنفس عال مما عرف عن مؤلفه الراسخ القدم في المعرفة الايمانية والمقامات الاحسانية » . مما يدعو الى الاعجاب والتقدير خصوصا بالنسبة للدارس لموضوع المولوديات (8) التي ضرب فيه المغاربة على مختلف العصور بسهم كبير له اهميته العلمية التي تدعو الى الاكبار والاعجاب ، وكم أتمنى ان تسمح المناسبة للعودة الى هذا الموضوع من منطلق مدرسته الرائعة .

**زين العابدين الكتاني**

---

(8) انظر ( المجلة الزيتونية ) الصادرة بتونس ، و مجلة ( شؤون عربية ) ع : 22 دبسمبر 1982 — ص : 33 والصادرة عن الجامعة العربية بتونس .

# المنهج الظواهري

## في كتاب

## الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه

تأليف: د. عباس الجراري
عرض وتعليق: الأستاذ مصطفى الشليح

### 1 ـ التراث المغربي والتاريخ له :

تتأسس المعرفة الانسانية من نقطة بدء تمثل الانطلاقة نحو ارتقاب هدف منشود . واذا كانت تلك المعرفة تتحدد بشروط تؤطرها قوالب ، ويحكمها قانون ، فانها لن تمارس فاعليتها الا في جدليتها مع ماضيها لتفسير حاضرها والتنبؤ بمستقبلها . وما دام الانسان ـ وقد تجاوز بدائيته ـ قد استطاع ان يكون تاريخا لسلوكه الانساني يختزل نشاطه الحضاري ، فما من شك ان محاولة الغاء هذا التاريخ / التراث تغدو امرا مستبعدا ، لانه يحدد هوية الانسان ، ويقنن كينونته عبر آنات الزمن ، ولذلك اهتم الانسان بتراثه ، واعتبره وثيقة هامة في حياته ، وسعى للكشف عنه بالحفريات والتنقيبات الاركيولوجية ، وباقي المحاولات العلمية الاخرى من تحقيق وتوثيق ونشر ، ومضى يؤرخ له باعتباره تاريخا يتجاوز الالغاء .

والبحث في التراث بحث في الشخصية الانسانية ، ورسم لملامحها ، واستجلاء لابعادها ، وتوق الى الكشف عن خفاياها واسرارها ، وتواصل صوفي ـ معرفي للذات مع الذوات التي سبقتها ومهدت لها .

والبحث في التراث خرق لتكلس معرفة حاضرة لا تعرف جذورها ، ولا تعانق تربتها ، ولا تحاصر بالنظر والتجوال مناخها ومحيطها .

والبحث في التراث جسر تلاقح بين الماضي والحاضر ، ورداء يتدثران تحته لتوفير دفء الشخصية والذات .

والبحث في التراث متراس يكبح جماح الصائلين ، الجائلين ، الراغبين في احالته مزقا مشردة لنشر التجهيل والتغريب والاحتواء .

والبحث في التراث اثراء للحاضر ، واستفادة من خبرات الماضي ، واعتمادها ـ احيانا ـ شارة مساعدة للمرور .

والبحث في التراث لا يعني اجتراره ولوكه واستنساخه ، لان النسخة تظل دوما مشوهة بالقياس الى المثال ، ولان الاجترار يعني لا تاريخية القراءة ، ويعني ان البحث في التراث احتوى الباحث ، وصيره « كائنا تراثيا » بعد ان كان « كائنا له تراث » (1) .

ان البحث في التراث يقتضي صبرا دؤوبا ، وتعاملا رصينا ، ونظرا ثاقبا ، ونظرة علمية ، تتوسل

---

(1) نحن والتراث للدكتور محمد عابد الجابري ص9

بالمعطيات الموضوعية لاستخلاص نتائج موضوعية بواسطة منهج موضوعي .

واذا كان التراث الانساني مشتركا بين الامم والشعوب ، فان لكل امة تراثها الخاص بها ، وداخل هذه الامة يتفرع التراث / الاصل الى فروع تكتسب ماهيتها والوانها من موقعها الجغرافي ، وبيئتها الحضارية والثقافية .

والتراث المغربي جزء من تراث الامة العربية الاسلامية ، ينظر اليه من خلال قوميته العربية واعتناقه للدين الاسلامي ، ورغم ان طرق دراسته تتنوع بتنوع الدارسين ، فان الراجح ـ في نظري ـ ان يتعامل معه من موقع اقليمي يعتبر نقطة من دائرة قطب رحاها : التراث العربي الاسلامي .

وقد تكونت الدراسات التي تناولته بين قديمة ومحدثة ، وتفرعت المحدثة منها الى عدة اتجاهات تباينت وسائلها ، والتقت غايتها الهادفة الى نشره والتعريف به ، لانه يضم ذخائر اضحى الكشف عنها هما معرفيا ملازما لكل مثقف مسؤول .

يقول الدكتور عباس الجراري : ( ... ويوم يلتفت الى هذا التراث بجد وصدق ، فتقام للنهوض به بمختلف مرافقه مؤسسات حية ترصد لها مخصصات كافية ، ويظف فيها علماء قادرون على تنظيمه وفهرسته ودراسته ، ويوم يتاح البحث في كل تراثنا بموضوعية وعلم وفكر متحرر من جميع الوان القيود ، يومئذ سيعد النظر في تاريخنا الثقافي والحضاري ، وسيكتب هذا التاريخ من جديد في اطار يبرز الخصائص الحقيقية للذات المغربية ، متخطيا مختلف الفجوات والحواجز التي تحول دون تكميل ملامح هذه الذات في جوانبها الوطنية والقومية والانسانية ) (2) .

وقبله بنحو ثلاثين سنة ارتفع صوت الاستاذ محمد الفاسي قائلا : ( ان تاريخ الادب العربي بالمغرب لم يكتب بعد ، ولم يطرق احد هذا الموضوع قط لا من المغاربة ، ولا من المستشرقين المعتنين بالدراسات المغربية ، فالاولون لان الطرق الحديثة في البحث والتبويب والنقد كانت مجهولة لديهم ، والآخرون لانهم بدءوا في التعرف على المغرب بالتاريخ والجغرافيا وعلمي الآثار والانساب ) (3) .

وهما شهادتان صريحتان لعالمين تمرسا بالادب المغربي قراءة وفهما ، دراسة وضبطا ، تحقيقا ونشرا ، والما بحواشيه وجميع اطرافه ، وهما يلتقيان في كون التراث المغربي لم يدرس بعد .

وهذا الالتقاء يولد السؤال الآتي :

ترى هل بقي التراث المغربي دون بحث طوال العقود الثلاثة الاخيرة ؟ أم ان ذلك ينسحب على جزء منه ؟ أم انمستفاد ان الدراسة العلمية الموضوعية هي المقصودة ؟ .

ان الاستاذ الفاسي يقول ان تاريخ الادب المغربي لم يكتب بعد .

والدكتور الجراري يرى ضرورة الالتفات الى التراث بجد وصدق .

والدلالة المستخلصة من الموقفين انه في الثلاثين عاما الفاصلة بين القولتين نظر في ذلك التراث ، دراسة وتحقيقا ، ولكن ذلك غير كاف ـ في راي الدكتور الجراري ـ لانه يربط بين البحث في التراث المغربي وابراز الذات المغربية بكل مقوماتها وخصائصها وسماتها .

اكيد ان الدراسات التي حامت حول الادب المغربي في العقد الاخير ، وحاولت محاصرته واقتحامه تتشعب الى فئة عملت على تلمس مسار يعتمد اللملمة والتجميع في ظل منهج تاريخي يفرض نوعية التعامل ، ويجعلها تركب متن التصنيف ، وتتوكأ على تقسيم الادب المغربي الى خمسة عصور ، كما هو الحال بالنسبة للعصور الادبية المؤرخ لها في الشرق (4) . ويمثل ذلك كتاب « الادب المغربي »

(2) الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه للدكتور عباس الجراري ص 7 ـ 8 .
(3) الحياة الادبية في المغرب على عهد الدولة العلوية للدكتور محمد الاخضر ص 3 .
(4) مناهج الدراسة الادبية للدكتور شكري فيصل ص 25 .

لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي في طبعتيه ( 60 – 69 ) حيث ادمج المؤلفان العصر السعدي مع العهد العلوي في الفصل الخامس لجعل العصور خمسة (5) ، وبذلك يكون الكتاب تعريفا مدرسيا ، و « محاكاة شاحبة جدا » (6) لتواريخ الادب في الشرق .

ويضاف الى ذلك كتاب « الوافي بالادب العربي في المغرب الاقصى » (7) ، وقد جنح فيه الاستاذ ابن تاويت ايضا الى المنهج التاريخي في تناوله للادب المغربي تناولا مشبعا بالقراءة البلاغية للنصوص، وهي قراءة تحاور الذاكرة ، ولا تحلل النصوص الا لتقارنها بنصوص غائبة من التراث العربي ، مما يعطل فرصة ابراز الاضافات التي قدمها الادب المغربي للادب العربي عموما (8) .

اما كتاب الدكتور محمد حجي « الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين » (9) ، فانه وقف عند عصر واحد ، هو العصر السعدي – كما يلاحظ في عنوانه – وقد سعى المؤلف فيه الى الاحاطة بالادب المغربي في هذه الحقبة ، وهي محاولة قاربت كتابة تفسيرية له متصلة بالانتربولوجيا الثقافية (10) للفكر المغربي .

وياتي كتاب « الحياة الادبية في المغرب على عهد الدولة العلوية » (11) ليشكل استمرارية للدراسة المتخصصة في عصر واحد ، وهو ايضا يتبنى المنهج التاريخي ، ويجعل دراسة تاريخ الادب المغربي مسبوقة دوما بتمهيد حول الوضعية السياسية للعصور الثلاثة التي جزأ بها المؤلف « العصر العلوي » .

اربعة مؤلفات سقناها – على سبيل الاستئناس والتمثيل لنبين – من خلالها – المناهج المتوسل بها في دراسة الادب المغربي . وغير خاف ان المنهج التاريخي يستبد بالقسط الاوفر منها ، ولنوطىء لبحثنا حول المنهج الظواهري في كتاب « الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه » (12) للدكتور عباس الجراري .

## 2 – حول المنهج الظواهري :

نسال بدءا : هل يمكن الحديث عن منهج ظواهري دونما اشارة للخلفية المعرفية والنهجية الثاوية خلفه ؟ وكيف توصل الدكتور الجراري الى فاعلية هذا المنهج واجرائيته من الدرس الادبي ؟ ولماذا انتقل من منهج تاريخي اعتمده في « القصيدة » (13) ورديفاتها من مؤلفاته الى التوسل بمنهج ظواهري ؟ وكيف تولد لديه هذا الاقتناع ؟

ترتسم الاجابة على هذه الاسئلة عبر المحورين الآتيين :

ا – يحدد الكاتب في مقدمة « الادب المغربي » طبيعة المادة المدروسة في علاقتها مع تاريخها الذي عرف ( فجوات بين المراحل المتعاقبة ( ... ) وتحول دون وجود الكيان المتوحد المتكامل عبر التاريخ .. بل ان العهد الواحد قد يشهد توقفات

(5) الادب المغربي لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي ص 299 – 376 والحركة الفكرية في عهد السعديين ص 8 .
(6) استعرنا هذه العبارة من ليفي بروفنصال في(مؤرخو الشرفا ) عند حديثه عن السعادة الادبية لابن الموقت ومحاكاتها لسلوة الانفاس للكتاني ص– 275 .
(7) صدر سنة 1982 عن دار الثقافة بالبيضاء .
(8) قمنا بدراسة نقدية للوافي سننشرها مستقبلا.
(9) صدر سنة 1976 عن مطبعة فضالة ، وهو اطروحة دكتوراه للمؤلف .
(10) استعرنا المصطلح من كتاب ( الانتربولوجيا الثقافية ) للدكتور عاطف وصفي .
(11) صدر سنة 1977 عن دار الرشاد الحديثة بالبيضاء ، وهو اطروحة دكتوراه للمؤلف .
(12) صدر سنة 1979 عن مكتبة المعارف بالرباط .
(13) صدر سنة 1970 عن مكتبة الطالب بالرباط ( طبع بالامنية ، وهو اطروحة دكتوراه للمؤلف .

اثر انهيار دولة وقيام اخرى غالبا ما تحاول جهدها لمحو الآثار السابقة ( ... ) ، وهذه ظاهرة تولد نتوءات وتمزقات تمنع الرؤية الواضحة لتاريخ المغرب ) (14) .

وعلى ضوء ما سبق ، لا يمكن دراسة الادب المغربي وتاريخه توكؤا على منهج تاريخي فحسب ، وذلك لعلتين تتمثل أولاهما في ان المنهج التاريخي الذي يسلك مسارا تطوريا لن يكون ذا فاعلية في دراسة تاريخ تتجاذبه الفجوات وتتقاذفه الثغرات ، وتتجسد الثانية في كون سبعينيات هذا القرن قدمت دراسات مهمة حول الادب المغربي ، وبذلك اخرجته من العتمة الى تجليات الدرس مستغلة المنهج التاريخي ـ الوارد آنفا ـ ، والذي يختلف من استعمال لآخر ، لكنه يرتبط ـ اساسا ـ بمهمة اخبارية . وبموجب ذلك ، و ـ منهجيا ـ اصبح البحث عن منهج بديل ينبني على ( نظرة فكرية عقلانية ) (15) ( تعطي الاسبقية للتمثل العقلي على النقد التأثري ) (16) ، ويقف ( على النصوص والاخبار لاستنطاقها ) (17) ، ويرفض ( الاحكام السابقة للنقد ) (18) هما منهجيا للمؤلف لان ( المنهج التاريخي في عمومه لا يسعف في تلبية ما تطمح الى تحقيقه في مضمار الدرس ) (19) ، ومن ثمة ينبغي النظر الى الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه داخل اطار اقليمي .

ب ـ الاقليمية في الدرس الادبي :

لن نقف عند « الجدل الصاعد » حول الاقليمية والقومية (20) ، ولا الى الحجج التي يلوح بها كل فريق ، ولكننا نشير الى ان اطار الدراسة عند الدكتور الجراري يتحدد تبعا لشروط اقليمية في الطرح والتناول يختلف عن المحلية ، لانه يسعى الى لم شتات الادب المغربي وتصنيفه ، وهي ظاهرة ليست مستحدثة ، اذ ان اسلافنا عرفوها بكيفية اكثر تجزيئا وتفصيلا (21) ، على نحو ما نجد في سلوة الكتاني (22) ، واتحاف عبد الرحمن بن زيدان (23) ، واعلام عباس بن ابراهيم المراكشي (24)، وهي تآليف في التاريخ لمدينة واحدة والترجمة لصلحائها وعلمائها وأدبائها ، بيد أن الدكتور الجراري يتخطى هذه « الاقليمية المدينية » الضيقة ليعانق مجالا افسح وارحب ، وهو مجال الاقليمية على مستوى الوطن ، يبحث في فكره ويقارنه بالتراث ، ويضع الاصبع على طابعي الاضافة او التقصير .

ان اقليمية الدرس الادبي تتم من خلال منظور لا يفرق بين الادب المدرسي والشعبي ، وكأنها تتبنى المدلول « الخلدوني » (25) للادب من حيث ( اعتباره « الادب » شاملا لكل الانتاج الفكري لامتنا دون حصره في نطاق الشعر والنثر الفني كما يحدده الاصطلاح الضيق لمدلول « الادب » ) (26) .

انها اقليمية تستمد مشروعيتها من كون تاريخ المغرب تاريخا متميزا ، ومن كون تراثه ما زال متناثرا ، ومن كون تناوله سيبرز ( الخصائص الحقيقية للذات المغربية ) (27) في زمن تعرضت

---

(14) الادب المغربي ص 3 ـ 4 .
(15) نفس ص 9 .
(16) نفسه
(17) نفسه ص 10 .
(18) نفسه
(19) نفسه 8 .
(20) انظر مناهج الدراسة الادبية لشكري فيصل ص 157 .
(21) الحياة الادبية ... للاخضر ص 21 .
(22) تفصيل ذلك في الحياة الادبية للاخضر ص 21
(23) نفسه
(25) مقدمة ابن خلدون ص 1111 .
(26) الادب المغربي ص 7 ـ 8 .
(27) نفسه ص 7 .

للاغتراب والتشيؤ ، والدخول في متاهات حضارية مستوردة .

وهي اقليمية لا تنفصل عن قوميتها ، لانها مرتبطة بها عقيدة وفكرا وتاريخيا ، ولانها نقطة من دائرة مركزها : التراث العربي ، وبناء على ذلك تبطل المقارنة بين اقليمية الدكتور الجراري ، وبين ما دعى اليه - سابقا - من تعصب اقليمي يكرس لاحياء نعرات قبلية ميتة (28) .

## 3 - جدلية المنهج والتصور :

لم تعد الدراسة الادبية فوضى منهجية تتعامل مع النصوص بانطباعية وتأثرية وذوقية ؛ لانها - في عهد تداخل العلوم والفنون - غدت مؤطرة بمجموعة قوانين تحدد مسيرتها ، وترسم غايتها ؛ وهي موزعة تتفاوت وتتعدد بتفاوت وتعدد ممارسيها ؛ وتلتقي لانها تتجلى في كونها الوسيلة التي يتبعها ( الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف حقيقتها ) (29) ( بواسطة مجموعة من القواعد التي تهيمن على سير العقل ، وتحدد معطياته حتى يصل الى النتيجة المعلومة ) (30)، ان المنهج هو ذاته علم لانه تأسيس للعلم ؛ وهذا العلم مسبوق بتصور حول المعطى المدروس ، ومن هنا تبرز جدلية المنهج المنبني على تصور مع المادة التي يدرسها ، ومن هنا - ايضا - يحدد الموضوع منهجه ، ويؤثر المنهج في الموضوع قراءة وتمثلا ، وتنشأ جدلية المنهج والتصور ، وتلغى الاطروحة القائلة بأسبقية المنهج على التصور .

ان دارس الادب المغربي لا يحدد المنهج قبل ملامسته طبيعة الموضوع المدروس . ويختلف هذا المنهج من باحث لآخر حسب الموقع الفكري الذي ينتمي اليه ، والذي يفرض موقفا يطرح ادواته المنهجية في التعامل الادبي .

اسبقية التصور على المنهج مفروضة بالبداهة، ومتعلقة بامتلاك كل باحث انسق فكري ولخط منهجي يوظفهما في الادراك والتحليل .

والدكتور الجراري يدرس الادب المغربي من خلال حركيته وفاعليته وتأثيره في الواقع والمجتمع ، ويدرسه كاداة من ادوات التنمية والتحرر للانعتاق من التخلف . وهذا الدرس يمتلك محددات خمسة : (31)

1 - الثقافة هي كل نشاط انساني .
2 - دور الثقافة في تغيير الواقع المتخلف .
3 - وعي المثقف لاوضاع بلاده بعمق .
4 - جماهيرية الثقافة .
5 - توظيف الثقافة الوطنية في التخطيط التنموي .

ونستخلص من هذه المحددات ان المنهج في التصور الجراري يخضع لعاملين :

أ - استخدامه في البحث العلمي لابراز هوية الثقافة الوطنية وسماتها .

ب - ارتباط تلك الثقافة بالتغيير .

وهما عاملان يوضحان بعمق كيفية ونوعية انتقال الدكتور الجراري من منهج تاريخي يصف بمعزل عن فاعلية الانسان فيما يصفه الى منهج تكاملي يهتم بالظواهر ويحتفل بالقضايا ، ويحاول تفسير الادب المغربي في جدليته مع واقعه . ويبدو ان هذا الاقتناع بضرورة الانتقال يبرره امران :

1 - حيوية الفكر الجراري ورخصته للثبات والتكلس داخل محارة منهج مكرور .

---

(28) تفصيل ذلك عند البرت حوراني في : « الفكر **العربي في عصر النهضة** » - دار النهار للنشر ص 3 - 1977 .
(29) مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي ص 5 .
(30) اصول البحث العلمي ومناهجه لاحمد بدر ص 33 .
(31) مجلة ( دعوة الحق ) - عدد 233 - يوليوز 1982 - ص 131 .
(32) الفكر العربي المعاصر عدد 8 - 9 ، 1981 : ( حول مقومات المنهج الفتمولوجي ) .

2 ـ طبيعة المعطيات الموضوعية .

## 4 ـ مكونات المنهج الظواهري :

اعتقدنا ـ بدءا ـ امكانية عقد مقارنة بين المنهج الجراري والمنهج الهوسرلي (32) Husserl باعتبارهما يدعوان معا الى منهج ظواهري ، وبعد الاستقصاء والتملي واستعراض خطوط المنهجين معا تبين انهما ـ معرفيا ومنهجيا ـ يختلفان :

— هوسرل ينص على وصفية الظاهرة ، والجراري يتغيا تفسيرها .

— هوسرل يرمي بالتاريخ ويعلقه ، والجراري يوظفه في استقصاء جذور الظاهرة .

— هوسرل يرى النظر في الظاهرة ابرازا للعلاقات المتحكمة دون ادخال اي عنصر خارجي ، والجراري يدرسها من الداخل ومن الخارج .

والمستفاد من ذلك ان الظاهرة الادبية تختلف عن الظاهرة الفلسفية مما يستدعي ـ تبعا لذلك ـ اختلافا في الرؤية والمنهج . واي ربط بين الاتجاهين يظل منحصرا في علمية منهجهما .

### حد الظاهرة :

تعتبر الظاهرة عند الدكتور حسن حنفي ( محاولة العثور على كيفية تحويل النص الى معنى عن طريق منهج في التفسير ، وكيفية تحويل المعنى الى نظرية عن طريق البناء العقلي لها ) (33) ، ويضيف متحدثا عن علاقتها بالتاريخ :

( ... لها اصلها في التاريخ الذي اعطاها اساسها ، وفي المجتمع الذي اعطاها طبيعتها ) (34)، ويرى الدكتور شكري فيصل ان ( الحكم بالرقي والانحطاط ، والتقدم والجمود ليس هو الغرض الاصيل من الدرس الادبي ، وانما الغرض الاصيل شرح الظواهر ودرس النصوص واستكناه ما وراء النصوص من دلائل نفسية تنبىء عن الفرد ، ودلائل اجتماعية تشير الى روح الجماعة ، ومعرفة مكانة الثروة الادبية لعصر من الاصالة والعمق ، ومن التميز والجدة ) (35) ، ( فالظاهرة الادبية يجب ان تكون اصلا في ذاتها ، ثم قد تنكشف دراستها عن صلتها بالوان من احداث السياسة ، او اوضاع المجتمع . وقد تكون هذه الصلة قابلة او فاعلة ، قد تكون تأثرا بها او تأثيرا فيها ) (36) .

وبناء على ذلك يمكن استخلاص ما يلي :

1 ـ تجذر الظاهرة في التاريخ .
2 ـ صلتها بالمجتمع والفرد .
3 ـ رصدها للعلاقة بين المجتمع والفرد .
4 ـ استخدامها للنصوص كوثائق اساسية في التعامل .

ان كتاب « الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه » يتبنى المرتكزات السابقة في قيام الظاهرة الادبية داخل نظام قائم هو الفكر . ورغم ورودها في سياقات متعددة داخل المتن ، فانها لا تخرج عن ذلك الاطار الذي رسمه لها المؤلف حيث كان يبحث دوما عن جذورها التاريخية عن طريق النصوص المستخرجة من مصادر الفكر المغربي ، ويدرسها في صلتها بالمجتمع والفرد ليبين وحداتها من خلال الكشف عن علاقاتها داخل نسق مجتمعي / فكري هو : المجتمع المغربي .

ومن ثم كان المنهج الظواهري الذي يتسم بالتكامل ، وقد اورد المؤلف في مقدمة الكتاب اشارة يستقى منها ان طبيعة الادب المغربي فرضت عليه الاستفادة من كل المناهج المتداولة ، على نحو ما يشير الدكتور شوقي ضيف من ان ( الباحث الادبي ينبغي ان يستضيء في عمله بكل المناهج

---

(33) التراث والتجديد لحسن حنفي ص 62 .
(34) نفسه .
(35) مناهج الدراسة الادبية لشكري فيصل ص 41
(36) نفسه .

والدراسات السابقة ، اذ لا يكفي منهج واحـــد ولا دراسة واحدة لكي ينهض بعمله على الوجه الاكمل . بل لا بد ان يستعين بها جميعا حتى يمكن ان يضطلع ببحث ادبي قيم ) (37) .

ويبدو ان الدكتور الجراري استفاد من معظـــم تلك المناهج ، وركز على اثنين منها :

1 ـ المنهـــج التاريخـــي .
2 ـ المنهـــج التحليلي الفني .

فاما المنهج التاريخي ، فانه يستغله ـ وكمـــا المعنا آنفا ـ في تعرية جذور الظاهرة ، اذ يعود الى الماضي ليبحث عبر النصوص المستنطقـــة ، ويبين هوية تلك الجذور غير مقتصر على الوصف ، ولكـــن مقارب لكفاية تفسيرية لها . وهو بذلك يعطي حيوية للمنهج التاريخي ، ويوظفه بكيفية مغايرة للتوظيفات التي طبقها على الادب المغربي بعـض دارسيه ، وان كان ـ في الفصل الاول الذي خصصه لوجود المغرب الحضاري والثقافي في العصر الجاهلي ـ قد اعتمده بصفة رئيسية لاستيفاء اركان البحث ، وليس لمطلب غائي ، وغالبا ما كان ذلك الاعتماد مرتبطا بتقديـــم النصوص ومعالجتها بنقد خارجي ـ سندي وآخـــر داخلي ـ تحليلي على نمو ما نلاحظ في وقفته عنـــد خطبة طارق (38) .

ويتخذ المنهج التاريخي عند الدكتور الجراري من الاستقراء قاعدة له من حيث انه (استدلال يبـدا بعدد معين من القضايا الجزئية المتعلقـــة ببعـــض الوقائع او الافراد ينتهي الى قضية كلية تتعلق بكـــل الوقائع والافراد من جنس معين ) (39) . ويفهم من ذلك انه انتقال من الخاص الى العام . ولعل ذلـــك يبدو في فصل ( وجود المغرب الحضاري والثقافـــي في العصر الجاهلي ) (40) حيث انجز المؤلف قراءة تاريخية تطورية لتلك الحقبة محاولا لمها في اطـــار يعطي لذلك الوجود مشروعيته الحضارية ، ويقـــدم الثقافة التي عرفها المغرب في العصر الجاهلي .

وقد يحيد عنه ليستغل الاستنباط باعتبـــاره ( عملية منطقية تنتقل فيها من قضايا منظور اليها في ذاتها الى قضايا اخرى ناتجة عنها بالضرورة ووفقـــا لقواعد منطقية صرفـــة ) (41) . ونلمس ذلـك في الذي عقده المؤلف للمرابطين حيث انطلق من قضية اتهامهم ( بالاقتصار على الفقه والجمود عنده ومحاربة سواه ) (42) ؛ ذلك الادعاء الذي روج له مؤرخ موال للسلطة الموحدية : المـــراكشي (43) ، وضخمتـــه « رسالة الشقندي » (44) ، وتبناه المستشرقـــون المحدثون الذي انجزوا اعمالا لا ينبغـــي اعتبارهـــا ( دراسات موضوعات ) بل ( موضوعات دراسات ) ، اي لا يمكن استعمالها كمراجع علمية (45) .

ان تلك التهمة الخطيرة التي الصقت بالمرابطين حفزت المؤلف على اتخاذها منطلقـــا للوصـــول الى « قضايا اخرى ناتجة عنها » تقابلها وتدحضها وتردها بالبرهان العلمي التوثيقي الذي اكد وجود ازدهـــار ادبي وفكري عند المرابطين ، الا ما كان من امـــور تمس الذوق العـــام .

ان المنهج التاريخي عند الدكتـــور الجـــراري يتخلص من الجمع والتراكم والوصف والتصنيـف ، تلك الحدود التي سيجته عند آخرين ، لانه لم يعتبره « توقيتا » ، بل عاد اليه عن طريق النصوص ، وليس بالاخبار والحكي ، واعتبره عاملا مساعدا للكشف عن اصل الظاهرة . وبديهي انه لا يمكن الحديث عن الفرع

(37) البحث الادبي لشوقي ضيف ص 144 ـ 145
(38) الادب المغربي .. ص 39 .
(39) المنطق وفلسفة العلوم لوي بول ص 231 .
(40) الادب المغربـــي ص 11 .
(41) مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بـدوي ص 83 .
(42) الادب المغربـــي .. ص 83 .
(43) المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص 172 .
(44) نفح الطيب للمقري ج 3 ص 191 نقلا عن الادب المغربـــي ص 110 .
(45) التراث والتجديد لحسن حنفي ص 63 .

دون استدعاء الاصل . من هنا تبرز جدية التناول ، ويتبري ذكاء التوسل ، وتنتصب اجرائية المنهج عند الدكتور الجراري .

واما المنهج التحليلي الفني ، فانه يقوم ـ عنده ـ على تفكيك البنية العامة للظاهرة الى بنياتها الجزئية التي تمهد ـ انطلاقا منها ـ لاستخراج العلاقات الضابطة لها ، والتي يمكن اعتبارها قانونا يحكم الظاهرة .

ويرى الدكتور حسن حنفي ( ان الظاهرة الفنية ظاهرة مركبة تركيبا صناعيا يمكن تحليلها الى عناصرها الاولية حتى يتم توضيحها وفهمها ) (46) .

لهذا لن نقف على ظاهرة ( المولد النبوي في الادب المغربي ) (47) دونما اتيان بالنصوص المؤسسة لها . قد تتفق او تختلف مع المؤلف حول نمط التعامل والطرح ، ولكننا لا نعدو الحقيقة اذ قلنا انه كان عندها يحاول ( الكشف عن مواطن الجمال وعن الدلالات الفنية ، وما ينبثق عنها من حرارة يمكن تحسسها على ادراك ما يتكثف تلك الدلالات من مضامين فكرية باعتبار الجانب الفني المتحور حول اللغة ، وبنائها التركيبي ظاهرا يعطي فكرا ، او انه بعد اولي يخفي ابعادا اخرى عميقة . وبذلك تبرز قيمة الابداع ، وتبرز من خلالها كل الشحنات الشعرية والطاقات الفكرية والمضامين الانسانية والابعاد الصراعية سلبا او ايجابا) (48) . وقد تم هذا التحليل بايراد مطول لمعظم الشعراء الذين نهجوا تلك السنة سواء بطريقة تعبيرية مدرسية او شعبية مع توضيح للابعاد الفكرية والدينية التي تطفح بها تلك النصوص . ومغزى ذلك ان المؤلف لا يتبنى الفلسفة الجمالية (49) خطا منهجيا ، ولا يسلك مسار « الفن للفن » ، لان الابداع عنده يرتبط بالمجتمع لتغيير الواقع . ونستشف ذلك ـ ايضا ـ من فصيلة ( بوادر التجديد عند شعراء المغرب العربي ) (50) و ( الشعر المغربي في عصر النهضة ) (51) .

ونستشفه ـ ايضا ـ من مناقشته لخطبة طارق ، وكيف سلك مسلكين : ( اولهما نقد خارجي للخطبة ، والثاني نقد داخلي لها ؛ حيث توصل الى ان اسلوبها يلتقي مع اسلوب ( خطب الامويين من حيث التاثير على المشاعر ، واثارة العواطف ، واللجوء في ذلك الى الاستفهام والتساؤل والتهني والترغيب واستعمال الالفاظ القوية في الجرس والمفهوم ) (52) .

## 5 ـ خلاصة :

اننا نعتقد ان المنهج الظواهري عند الدكتور الجراري يسعى لتشييد بناء منهجي تكاملي يتعامل بمرونة مع واقع الادب المغربي حتى يمكن بحثه ودرسه ، وحتى يهيمن عليه ، ولا تكون الفجوات التي عرفها تاريخه مدعاة لتراجع البحث العلمي المنصب عليه .

وهذا البناء التكاملي يعتمد اساسين هما : المنهج التاريخي والمنهج التحليلي الفني ، وقد عرف المؤلف كيف يزاوج بينهما ، ومتى يغلب احدهما على الآخر تحدوه من ذلك رغبة الدرس والبحث و « استكشاف الحقيقة » يزكي ذلك التوثيق العلمي الخطير الذي نهجه بايراده المصادر والمراجع المعتمدة .

واذا كان هناك هدف ذاتي للدكتور الجراري يتلخص في التجربة الفكرية والنقدية التي ( يـ ) شعر بها من معاناة البحث مع الموضوع من ردود فعل

(46) نفسه ص 73 .
(47) الادب المغربي ص 139 .
(48) نفسه ص 9 .
(49) البحث الادبي لشوقي ضيف ص 118 .
(50) الادب المغربي ص 169 .
(51) نفسه ص 195 .
(52) نفسه ص 169 .

تعمل في العقل والاحساس بتلقائية وامتاع ) (53) ، مع رفض معرفي / منهجي ل ( الاحكام السابقة على النقد ) (54) ، فاننا نراه قد حقق جملة اهداف علمية جليلة ندب لها نفسه منذ عشرين عاما .

وتبقى مسؤولية الجيل الجديد من الباحثين مسؤولية تاريخية لاتمام ما بداه الرواد من بحث لتراثنا لكي نؤكد هويتنا ، ونبرز خصائص ذاتنا لنفرض ( النبوغ المغربي في الادب العربي ) (54) خصوصا والفكر العربي عموما .

مصطفى الشليح

## هوامش :

1 — الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه للدكتور عباس الجراري . 1979 . ط 1 . مكتبة المعارف .

2 — نحن والتراث للدكتور محمد الجابري — 1980 ط 1 — دار الطليعة — بيروت .

3 — الحياة الادبية في المغرب على عهد الدولة العلوية للدكتور محمد الاخضر — 1977 — دار الرشاد الحديثة — البيضاء ط 1 .

4 — مناهج الدراسة الادبية للدكتور شكري فيصل دار العلم للملايين ، ط 4 — مارس 1978 .

5 — الادب المغربي لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي ط 1 — 1960 — دار الكتاب اللبناني — بيروت .

6 — مؤرخو الشرفا لليفي بروفنصال — تعريب عبد القادر الخلادي ط 1 — مطبوعات دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر 1977 .

7 — الوافي بالادب العربي في المغرب الاقصى لمحمد بن تاويت ، ط 1 — دار الثقافة بالبيضاء 1982 .

8 — الحركة الفكرية بالمغرب في عهد الدولة السعدية للدكتور محمد حجي ، ط 1 — مطبوعات دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر 1976 .

9 — الانتربولوجيا الثقافية للدكتور عاطف وصفي ط 1 — دار النهضة العربية — بيروت 1971 .

10 — التراث والتجديد للدكتور حسن حنفي ط 1 — دار التنوير للطباعة والنشر — بيروت 1981 .

11 — البحث الادبي للدكتور شوقي ضيف — دار المعارف — مصر 1976 — ط 2 .

12 — مجلة الفكر العربي المعاصر — عدد 8 و 9 — 80 — 1981 .

---

(53) نفسه ص 9 .

(54) كتاب لعبد الله كنون صدر في طبعته الاولى سنة 1938 ، وله طبعات متعددة . نال به صاحبه الدكتوراه الفخرية من جامعة مدريد .



للشاعر الأستاذ كمال عبد الكريم الوحيدي

**الى ابطال ثورة الريف ضد فرنسا واسبانيا ، الى تطوان وطنجة ، الى فاس علال ، الى بلد ابطال القنيطرة 1973 ....**

من الاقصى لتطوان ... اغاريدي وانجاني

وللبيضاء في اقصى ... بلاد العرب تحناني

رباط الخيل اهديها ... تحيات لفرسان

اغادير احييها ... اغاريدا لهيمان

الى طنجا ومكناس ... الى اخيار شجعان

الى خطاب اریاف ... فكم اردى لاسبان

وفي فاس احبائي ... – كعلال – واخواني

لنا في المغرب الكبرى ... قلاع ذات سلطان

وابطال اشداء ... شهدناهم بميدان

على صهيون قد غاروا ... اسودا يوم جولان

وهم في غربنا سيف ... على اعداء أوطاني

عسى الرحمن يدنينا ... الى توحيد بنيان

الى توحيد رايات ... وتحكيم لقرءان

فيا قومي اعيدوها ... كما كانت بايمان


**كمال عبد الكريم الوحيدي**
**قطر – الدوحة**
**ص. ب : 80**


---

(1) من مخطوط : الامة الواحدة .

# المُهَذَّبُ

## فيما وقع في القرآن من المعرب

تأليف: جلال الدين السيوطي
تحقيق: د. التهامي الراجي الهاشمي
عرض: ذ. كمال رشيد

بقي الكتاب ــ على جلال قدره، وعظيم اهميته ــ مخطوطا، الى ان قام بتحقيقه اخيرا الدكتور التهامي الراجي من المغرب العربي الشقيق. وقد تم طبعه تحت اشراف «اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية، وحكومة دولة الامارات العربية المتحدة». ولهذه اللجنة الفضل في اخراج عدد من المخطوطات العربية والاسلامية القيمة. وقد ساعد على ذلك، ما تمتلكه الخزانات المغربية من المخطوطات.

ودعاني لعرض هذا الكتاب والتعريف به امور اهمها:

1 ــ انه بعيد عن القارىء العربي في الشرق، فالكتاب لم تتبنه دار للطباعة والنشر، وانما هو من مطبوعات الدولة، يضاف لهذا ضعف تسويق الكتاب العربي بين جناحي الوطن العربي في المشرق والمغرب.

2 ــ ان هذا الكتاب طريف في موضوعه، وانه ــ بعد ان اعمل فيه المحقق قلمه، وافرغ فيه الكثير من علمه ــ يحمل اكثر من قيمة، ويخوض في اكثر من علم، فهو مرجع في الدراسات القرآنية، وفي الدراسات اللغوية بفضل تلك الحواشي والتعليقات التي اوردها المحقق. كما انه يدخل في الدراسات المعجمية المحضة، لانه رصد لالفاظ القرءان التي تعود لاصل غير عربي.

وموضوع كتاب المهذب هو «الالفاظ غير العربية الواردة في القرءان الكريم». وقد شغل هذا الموضوع العلماء والفقهاء منذ القديم، وهم في هذا بين منكر، ومؤيد، وموفق بين الرايين. ولكل فريق ادلته وتعليلاته.

وقد سبق السيوطي الى هذا العلم، فقد الفت كتب مستقلة تبحث في المعرب من القرءان الكريم، كما انه عولج في ابواب من كتب تعالج الدخيل في اللغة العربية بشكل عام. ولعل اول مؤلف في هذا المجال هو كتاب «اللغات في القرءان الكريم» لابن عباس، وكتاب المعرب من كلام العرب على حروف المعجم للجواليقي المتوفى سنة 540 هـ.

وقد اهتم عدد من العلماء بكتاب الجواليقي الذي اخذ شهرة خاصة. واجروا عليه تهذيبات وتذييلات. ثم كان هذا الكتاب الذي نحن بصدده.

وبين ابن عباس والسيوطي عدد من العلماء الذين اهتموا بموضوع العرب والدخيل في اللغة، ومن هؤلاء مقاتل بن سليمان في كتابه، وهشام بن محمد الكلبي المتوفى سنة 204 هـ، والهيثم بن عدي المتوفى سنة 206 هـ، والفراء المتوفي سنة 207 هـ،

والاصمعي المتوفى سنة 213 هـ ، وابو زيد الانصاري المتوفى سنة 215 هـ ، وابن يزيد المتوفى سنة 221 هـ ، وقد خصص في كتابه « جمهرة اللغة » بابا لما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة ، كما عقد ابن قتيبة المتوفى سنة276 هـ بابا في كتابه « ادب الكاتب » خصصه للحديث عن الدخيل في اللغة العربية سماه « ما تكلم به العامة من الكلام الاعجمي » . واهتم بالدخيل على العلوم ، العالم شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجي المصري، وذلك في كتابه « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » .

ولكن السيوطي يرى ان عمله في كتابه « المهذب» يفوق عمل من سبقه ، فهو في خاتمة كتابه يقول : « فهذا ما وقعت عليه من الالفاظ المعربة من القرءان الكريم ، بعد الفحص الشديد سنين ، وسعة النظر والمطالعة ، ولم يجتمع قبل في كتاب » .

وكتاب « المهذب » صغير الحجم ، ولكن المحقق اوسعه شرحا وتعليقا وفهرسه حتى وقع في 280 صفحة من القطع الكبير ، اي فيما يقارب ثلاثة امثال حجمه الحقيقي ، كيف لا وهو يعدد جميع مؤلفات السيوطي البالغة 390 كتابا ، ويجعل للكتاب ستة فهارس .

اما صنيع المؤلف ، « السيوطي » في الكتاب فيتلخص في أمور ثلاثة هي :

1 ـ المقدمة .

2 ـ سرد الالفاظ المعربة الواردة في القرءان الكريم ، مرتبة على حروف الهجاء .

3 ـ تثبيت ابيات من الشعر تتضمن تلك الالفاظ ، وذلك في الخاتمة .

المقدمة : ويبداها بالحمد والتسليم ثم يتحدث عن طبيعة كتابه وعن الخطة التي اتبعها في التاليف ، فهو يقول : « هذا الكتاب تتبعت فيه الالفاظ المعربة التي وقعت في القرءان الكريم ، مستوعبا ما وقعت عليه من ذلك ، مقرونا بالعزو والبيان ، وعلى الله الاتكال » .

والمقصود بالعزو والبيان ان ياتي باللفظة فيذكر الباحث او الباحثين الذين تحدثوا عنها ، ورأي كل منهم فيها ، ونسبتها الى لغتها الاصلية ، ومعناها في تلك اللغة .

ونمثل هذا العمل بلفظة واحدة من هذه الالفاظ، ولتكن الكلمة الاولى في حرف الهمزة وهي « اباريق » ويقول السيوطي :

« اباريق : حكى الثعالبي في فقه اللغة ، وابو حاتم اللغوي في كتاب « الزينة » انها فارسية ، وقال الجواليقي « الابريق فارسي معرب » وترجمته من الفارسية احد شيئين : « اما ان يكون طريق الماء ، او صب ماء هنية » .

هكذا جاء تقصي السيوطي للفظة الواحدة : « وهذا الذي سماه العز والبيان وهو البحث العلمي الدقيق .

ويتحدث السيوطي في المقدمة عن آراء الائمة في وقوع المعرب في القرءان الكريم ، وهم في هذا ثلاث فئات ، ولكل رأي رجاله وحججهم وهم :

1 ـ الفريق الاول ، لا يرى وقوع المعرب في القرءان الكريم ، وعليه الاكثرية ، ومن رجال هذا الراي الامام الشافعي وابن جرير وابو عبيدة ، وابن فارس ، وهم يستشهدون بقوله تعالى : « قرآنا عربيا » . وقد تكررت هذه العبارة في القرءان الكريم ست مرات . كما يستشهدون بقوله تعالى : « ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته اعجمي وعربي » .

ومن اقوالهم في هذا :

قول ابي فارس : « لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم ان العرب انما عجزت عن الاتيان بمثله لانه اتى بلغات لا يعرفونها » .

وقول الشافعي : « لا يحيط بالعربية الا نبي » .

وقول ابن جرير : « ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير الفاظ القرءان انها بالفارسية او الحبشية او النبطية او نحو ذلك ، انما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد ».

وقول آخرين : « كل هذه الالفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متسعة جدا ، ولا يبعد ان يخفى على الاكابر الجلائل ، وقد خفي على ابن عباس معنى فاطر » .

وقول آخرين : « بل كان للعرب العربة الذين نزل القرءان بلغتهم بعض مخالطة لسائر الالسن في اسفار لهم ، فعلقت من لغاتهم الالفاظ ، الفاظا غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، واستعملتها في اشعارهم ومحاوراتهم حتى جرت مجرى العربي الفصيح ، ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل القرءان » .

2 ـ الفريق الثاني ، ويرى وقوع المعرب في القرءان ، واجابوا على قوله تعالى : « قرانا عربيا » بان الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا ، فالقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة عربية .

واجابوا عن قوله تعالى : « اعجمي ام عربي » بان المعنى من السياق كلام عجمي ومخاطب عربي . واستدلوا باتفاق النحاة على ان منع صرف ابراهيم للعلمية والعجمة ، وقد رد هذا الاستدلال لان الاعلام لا يقاس عليها .

ومن اصحاب هذا الراي : ابن عباس وابن النقيب وابو ميسرة وابن ابي شيبة والثعالبي والجويني .

ومن اقوالهم في هذا :

1 ـ ما روي عن ابي ميسرة قوله : « في القرءان من كل لسان » .

2 ـ ما نقله الثعالبي عن بعضهم : « ليس لغة في الدنيا الا وهي في القرءان . وحجتهم في حكمة وقوع هذه الالفاظ في القرءان ، انه حوى علوم الاولين والآخرين وانه انبا عن كل شيء ، فلا بد ان تقع فيه الاشارة الى مختلف اللغات والالسن لتتم احاطته بكل شيء ، فاختير له من كل لغة اعذبها ، واكثرها استعمالا لدى العرب ، وقد صرح بهذا ابن النقيب فقال في تفسيره : « من خصائص القرءان على سائر كتب الله المستعملة انها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم ، والقرءان احتوى على جميع لغات العرب وانزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير » .

والسيوطي نفسه يرى هذا الراي ويقول : « فالنبي صلى الله عليه وسلم مرسل الى كل امة ، وقد قال تعالى : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » فلا بد ان يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم ، وان كان اصله بلغة قومه هو » .

ويشير السيوطي الى راي الجويني الذي يقول : « ان قيل ان استبرق ليس بعربي ، وغير العربي من الالفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة ، فنقول : « لو اجتمع فصحاء العالم وارادوا ان يتركوا هذه اللفظة وياتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك » ، ويمثل بكلمة « استبرق » الفرسية ومعناها الحرير ، فيقول : « ولا يجد العربي لفظا واحدا يدل عليه ، اي الحرير ، لان الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ،ولم يكن لهم بها عهد وانما عربوا ما سمعوا من العجم ، واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم وندرة تلفظهم به ، واما ان ذكر بلفظين فاكثر فانه يكون قد اخل بالبلاغة ، لان ذكر لفظين لمعنى يمكن ذكره بلفظ تطويل ، فعلم بهذا ان لفظ « استبرق » يجب على كل فصيح ان يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه ، واي فصاحة ابلغ من الا يوجد غيره مثله » .

وهذا التعليل سببه لما نقوله اليوم حول استعمال الكلمات الغربية والاجنبية وتداولها وبخاصة الفاظ الصناعة « التكنولوجيا » فكونها قد بدات عند غيرنا ، وكوننا لم نعرفها الا بعدهم ادى الى قبولها كما هي ، او مع شيء من التعديل ، كما هو الحال في التلفزيون والتلفزة والتلفاز .

3 ـ الفريق الثالث ويرى صحة الرايين السابقين ، ومن رجال هذا الراي ابو عبيدة القاسم بن عبد السلام والجواليقي وابن الجوزي وآخرون .

وهذا الفريق يرى ان اصول تلك الالفاظ اعجمية ولكن العرب استعملتها في لغتها فصارت عربية ، ثم جاء القرءان وهي على السنة العرب . ومن اقوالهم في هذا ، قول ابي عبيدة القاسم بن عبد السلام : « وذلك لان هذه الاحرف اصولها اعجمية كما

قال الفقهاء ، ولكنها وقعت للعرب فعربتها بالسنتها وحولتها عن الفظ المعجم الى الفظها . فصارت عربية ، ثم نزل القرءان وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال انها عربية فهو صادق ، ومن قال انها اعجمية فصادق .

**سرد الالفاظ :**

بعد استعراض آراء الفقهاء وعلماء العربية ياخذ السيوطي في سرد الالفاظ المعربة في القرءان الكريم ، مرتبة على حروف المعجم ، وقد سبق ان اشرنا الى صنيعه في كل لفظة من هذه الالفاظ ، ومجموعها 124 كلمة وهي مردودة الى الحبشية والسريانية والفارسية والعبرية ، والنبطية والرومية والاغريقية والقبطية والبربرية والسامية واللاتينية والزنجية والارامية .

وربما نسبت الكلمة الواحدة لاكثر من لغة،وربما اختلف النحاة في نسبتها ، فهو يذكر جميع الآراء ويذكر صاحب الراي وكتابه الذي تضمن رايه .

4 ـ الخاتمة : وفيها يشير الى صنيعه قائلا : « فهذا ما وقفت عليه من الالفاظ المعربة في القرءان بعد الفحص الشديد سنين وسعة النظر والمطالعة ولم يجتمع قبل في كتاب » . . كما يشير الى عمل كل من القاضي تاج الدين السبكي والحافظ ابو الفضل ابن حجر ، وقد جمعا عددا من الالفاظ المعربة في ابيات من الشعر ، وهي في مجموعها 22 بيتا . صنيع المحقق هذا هو كتاب المهذب في اصله ، فماذا صنع المحقق حتى غدا الكتاب ثلاثة امثاله ؟ .

للنظرة الاولى في الكتاب يظهر للدارس الجهد الذي بذله المحقق حتى وصل الكتاب الى ما هو عليه من الضبط والدقة وعموم الفائدة . لقد اختلف تحقيقه عن كل تحقيق مما عرفناه ، في الكم وفي الكيف ، فشروحه وتعليقاته واضافاته ، اغنت الكتاب بمعلومات قيمة ، وقد ساعده على هذا كونه من المتخصصين في علوم القرءان الكريم ، وفي علوم اللغة .

وتلخص عمل المحقق فيما يلي :

1 ـ التقديم .
2 ـ التعريف بالكتاب .
3 ـ التعريف بالمؤلف .
4 ـ مؤلفات السيوطي .
5 ـ الفهارس .
6 ـ الهوامش .

وقد بدا تعريفه بالكتاب بقضايا لغوية اراد من خلالها ان يفرق بين مصطلحات ثلاثة هي القاموس والمعجم والمعجم ( بفتح الميم ) ويخلص الى ان (( المهذب )) قاموس في معجم لانه يحتوي زيادة على لائحة بالمفردات المعربة ، شروحا تعود جميعا على نفس المفردات . وفي مجال التعريف بالكتاب يقف عند كتابين مهمين هما كتاب ابن عباس « اللغات في القرءان الكريم » والاختلاف في نسبته اليه ، وكتاب الجواليقي « المعرب من كلام العرب على حروف المعجم » مشيرا الى مخطوطات هذا الكتاب واسماء ناشريه .

ولا يقف المحقق طويلا عند السيوطي والتعريف به ، وانما ينتقل بسرعة ايقف مليا عند مؤلفات السيوطي ، فيرتبها ترتيبا معجميا ، ثم يردك عند كل مؤلف الى الهامش لتجد الشرح والتعليق على كل مؤلف ، ان كان طبع فمن طبعه وحتى وان كان مخطوطا فاين هو . وقد سرد المؤلف 319 كتابا للسيوطي بين مخطوط ومطبوع ، وقد بلغت عند بروكلمان 415 ، ووصل العدد عند فكوغل الى 560 ، وقد تجاوز تعليق المحقق في الهامش على بعض هذه الكتب خمسة عشر سطرا . ويشير الى المخطوطات التي اعتمدها في تحقيقه وهي نسخة الخزانة العامة بالرباط ونسخة الاسكوريال في مدريد . اما الفهارس في آخر الكتاب فهي ستة : فهرس الآيات القرءانية ، وفهرس ابيات الشعر ، وفهرس اللغات التي تنسب اليها الكلمات المعربة ، وفهرس المراجع ، وفهرس الاعلام ، وفهرس الاماكن .

واهم شيء في عمل المحقق تلك الهوامش الكثيرة التي لا تخلو منها صفحة واحدة ، لقد عمر الصفحات في تلك الهوامش التي اسهب فيها الشرح والتحقيق والتعليق على كل كلمة لو كل مؤلف او مؤلف ، والشرح عنده يقود الى شرح والتحقيق يؤدي الى تحقيق آخر . ونمثل لهذا الجهد بما صنعه بلفظة واحدة ، فقد جاء في الصفحة رقم 71 من الكتاب :

استبرق (1) قال ابن ابي حاتم : « حدثنا ابي ، انبانا عبدة ، انبانا ابن المبارك ، حدثنا الجويبر عن الضحاك ، قال « الاستبرق الديباج الغليظ ، وهو بلغة العجم ، استبره » (2) .

وقال الجواليقي : (3) « الاستبرق غليظ الديباج فارسي معرب (4) وممن صرح بانه بالفارسية (5) ، ابو عبيد واو حاتم وآخرون » (6) .

وهكذا يردك المحقق الى الهامش لتجد الشرح والتعليق والتحقيق للارقام اعلاه ( 1 ... 6 ) ، وما من صفحة الا ويغلب فيها كلام المحقق كلام المؤلف .

وبهذا الاثراء الممتع والنافع للقارىء ، المتعب والمضني للمحقق يضع الدكتور الراجي قواعد جديدة للتحقيق . لقد وجدنا التحقيق في بعض الكتب لا يزيد عن شرح الكلمات الصعبة بعد المقدمة وقبل الفهرس .

هذا هو كتاب « المهذب » حاولنا ان نجلي عمل مؤلفه وعمل محققه ، وان نبين جهد كل منهما ، مضافا الى هذا تلك الطباعة الفنية الانيقة وذلك التبويب والترتيب الجيد . ويضاف كتاب المهذب مرجعا جديدا لاصحاب الدراسات اللغوية والدراسات القرآنية ، ويجمع بين جهد واسلوب القدامى والمحدثين .

---

بمناسبة الذكرى التاسعة لوفاة المفكر الإسلامي علال الفاسي :

## علال الفاسي

### طالباً ، معلماً ، زعيماً .

للأستاذ محمد بن تاويت

في العدد المقبل

قراءة في كتاب :

# المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف

تأليف : عبد الحق بن اسماعيل البادسي
عرض : الأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

من الكتب التي نشرتها المطبعة الملكية بالرباط في هذه السنة اي سنة 1982 كتاب ( المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف) تاليف عبد الحق بن اسماعيل البادسي المولود سنة 650 هجرية والذي كان حيا سنة 720 هجرية .

وقد حققه الاستاذ الفاضل السيد سعيد احمد اعراب معتمدا في ذلك على اربع نسخ توجد ثلاثة منها بالخزانة العامة بالرباط ، والرابعة كان قد استعارها من السيد اليزيد بن صالح باشا تطوان سابقا ، وقد عمد الى تصحيح كلماته والى تفسير بعض اشاراته وتحديد زمن بعض احداثه ، وذيل عمله بفهارس متعددة تقرب الافادة وتغني القارىء في بعض الاحيان عن الاعادة .

والكتاب يهتم بحقبة معينة تصل اواخر القرن السادس باوائل القرن الثامن ، فمؤلفه ذكر انه سيجعله من عهد ابي مدين الغوث دفين الجزائر الى زمن تاليفه المؤرخ بالسنة الحادية عشرة بعد السبعمائة ، ويربط بالريف ما بين مدينة سبتة الى تلمسان وهي مسافة مكانية كبيرة ضمت عددا من القبائل ونبغ فيها عدد من الادباء والعلماء والصلحاء والمجاهدين نظرا لطبيعتها ولارتباطها بالحدود الشمالية والشرقية التي كانت ممرا الى الاندلس من جهة ، والى الجزائر والبلاد الشرقية من جهة اخرى .

هذا وان تحديد منطلق المدة الزمنية من تاريخ ابي مدين لدليل على التواصل الروحي الموجود بين منهاج هذا الرجل الصالح وبين منهاج المدرسة الصوفية التي نشات قرب الحسيمة بالرابطة التي اسسها ابو داود مزاحم بن علي بن جعفر ، فلقد اجتمع ابو داود هذا بابي مدين بالاندلس قبل خروجه منها وتاثر به واحتذى بسيرته واقتدى بسلوكه وعزم على بناء رابطة ببلاده يجعلها على شاطىء البحر تحمي الحدود وتقوي الايمان وتجمع الراغبين في العلم وفي الجهاد .

ان ابا داود اصبح اشعار العملي الذي يميز مدرسة صوفية معهودة لدى الخاص والعام وكان النموذج الحق الذي يعتز به مريدوه واصبحت زاويته نبراسا يستضيء به اهل الريف ، لذلك كان عبد الحق البادسي وهو يؤلف كتابه عالما بهذه الغاية شاعرا بهذا الموقف ، فبدا التراجم بذكره واعقبها بذكر تلامذته وبعض افراد اسرته .

توفي ابو داود هذا سنة ثمان وسبعين وخمسمائة هجرية في عهد ازدهار الدولة الموحدية ، وكان اهل الريف يعرفون قيمته الروحية ويعتزون باخلاقه وعلمه وسلوكه ويفتخرون بذكر كراماته ، فهم يذكرون ان النصارى اسروه فاركبوه سفينة تحمله الى بلادهم فاذا بالسفينة يتعذر عليها الذهاب ويحبسها الريح فلم يجدوا بدا من ان يسمحوه

وان ينزلوه هو ومن اخذوه من الاسرى اعترافا منهم بفضله وتيقنا بان ما حصل لهم لم يكن الا من اجل ابتهالهم عليه ، كما يذكرون ان الخليفة الموحدي قد اصيب بمرض من الامراض الخطيرة ولم يتيسر له الشفاء الا حينما استقدم ابا داود من بلاده الى مراكش ، فاذا بالخليفة يشفى بمجرد وضع لمسات من ريق الشيخ على جسده .

وان امثال هذه الكرامات لتزخر بها كتب المغاربة في هذه الحقبة ، ولا يخلو كتاب البادسي من ذكر عدد كبير منها الا انه احس بان وجودها قد يدفع اهل الانتقاد الى الطعن فيها والى تجريح رواتها ، فراى من الضروري قبل البداية في ذكر التراجم ان يخصص بعض الفصول للتعريف بالتصوف وللتحدث عن الكرامات ولابراز مدى ارتباطها بالايمان ، فهي امر جائز الوقوع تحدث للانسان بعد مجاهدات ، ولا تقل في مظهرها عن المعجزات ، انما الفرق الوحيد بينهما ان المعجزة تكون للتحدي ولابراز حقيقة النبوة ، واما الكرامة فهي هبة لا ارتباط لها بالتحدي ، ولكنها تدخل في باب قبول الدعوات .

ولهذه الغاية قسم كتابه الى اقسام ثلاثة :

القسم الاول في المقامات والكرامات .

القسم الثاني في اثبات حياة الخضر عليه السلام .

القسم الثالث يتضمن التعريف بالمشايخ الاجلة من صلحاء الريف .

وانما مهد للقسم الثالث بالقسمين الاولين ليبرر ذكره للكرامات في القسم الثالث كما سبقت الاشارة الى ذلك ، فهو قد اكثر فيه من ذكر خوارق العادات مما لا يستطيع الانسان قبوله الا اذا كان قد امتلأ قلبه بالاستسلام واصبح يقبل الاحوال دون ان يطلب دليلا او يلتمس برهانا او تعليلا .

وهو في القسمين الاولين كان يتحدث بنفس عال يدل على قدرة فائقة في الميدان العلمي ، وعلى خبرة بالدراسات القرآنية وعلى اطلاع على كتب الصوفية ، ويحاول ان يوازن ويستدل حسب امكاناته ، وكان يستغل احيانا الاتجاه المنطقي في اظهار بعض التناقضات التي تظهر عند المتطرفين من الصوفية القائلين بالاتحاد او الحلول او الفلاسفة او عند بعض اهل التوفيق الذين كانوا يسعون في الربط بين آراء الفلاسفة وبين التصديقات التي لا ينفع فيها الا الايمان المطلق والاعتقاد النزيه .

فلننظر مثلا الى موضوع اشار اليه يتعلق بالروح الكلي وعلاقته بالاجسام البشرية ، فهو قد تحدث عن راي الغزالي في كتاب النفخ والتسوية ، فقد ذكر ان الغزالي يقول (32) ان الروح الكلي ليس بداخل في العالم ولا خارجا عنه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ، لان من شرط الدخول والاتصال والانفصال الجسمانية والروح الكلي ليس بجسم ، فهو غير قابل للاتصاف بذلك ، كما انه لا يقال في الحجر لا جاهل ولا عالم ، اذ من شرط العلم والجهل الحياة والروح الكلي جوهر بسيط يلقي الى الاجسام البشرية من نوره ما تلقيه الشمس من شعاعها الى المراة الصقيلة فهي واحدة في نفسها ، متعددة في غيرها .

ويذكر البادسي ان قول الغزالي هذا تاثر به احد العلماء المشهورين بالمغرب آنذاك وهو العالم عبد الجليل بن موسى القصري المنسوب الى قصر كتامة ، وكان عالما بكتاب الله ، يفسره في مجالسه وترد عليه وفود الطلبة من المشرق والمغرب ويتعمق في الدراسات الصوفية ، وله قدرة على تحليل ما يتعلق باسماء الله الحسنى ، وكان من الموضوعات التي يتحدث عنها موضوع الروح الكلي وعلاقته بالاجسام ويشير فيه على راي الغزالي هذا ، لكن البادسي يقول : (33) وما قاله ابو حامد وعبد الجليل في الروح الكلي باطل ، وانما استند قائله الى الحدس والتخميس ، ويحقق بطلانه انه لو كان كذلك لما تميزت النفوس بعد موت الاجسام ولا ترتب عليها حكم في الثواب ولا في العقاب ، فان الروح الكلي واحد على زعمهم ، وانما تعلقت اجزاء من نوره بالاجساد ، فعند ذهاب الاجساد بقي الروح الكلي كما كان متحدا .

ويريد المؤلف ان يصل الى ان الوضع الطبيعي هو ان تكون هناك استقلالية في خلق أرواح مرتبطة باجسام تتصل بها عند الخلق ، فاذا انفصلت بالموت بقيت في البرزخ تتعذب ان كانت منفصلة عن العاصين وتتنعم ان كانت منفصلة عن المحسنين ، فاذا كان

يوم النشر ردت الى اجسادها ، وحينئذ ينعم الجميع او يشقـــى الجميـــع .

والظاهر ان هذه التاويلات ذوقيـــة لا مجـــال للاستخدام العقلي فيها ، وما يبلغه العقل يبقى دائما متصلا بالاحساس الذوقي الذي يسيطر على المؤمن وعلى تصور ما يلقاه ، فليس من الضروري حصـــر الصورة التي يكون عليها الثواب والعقاب ، انما الشيء الضروري هو الايمان بالبعث وبالنشر وباللجوء الى الثواب والعقاب وقانا الله شر الدار الآخرة وجعلنـــا عنده من المكرميـــن .

والمؤلف انما ذكر هذه الجزئية المتعلقة بالروح الكلي لانه وجدها المنطلق الذي سار عليه عبد الحق ابن سبعين الصوفي الشهير الذي كانت له زاويـــة بسبتة فنفي منها في القرن الســابع بسبب افكـــاره ، وكان المؤلف ينتقده ولا يرى فيه الا المغالي المنبوذ .

ان ابن سبعين هذا كانـــت له رؤى فلسفيـــة جعلت كلامه غامضا في بعض الاحيان ، وقـــد اشار اليه البادسي في كتابه وتحدث عنه حديث الحنقيـــن الذين كانوا يرون فيه المفسد الضال ولا يرون فيـــه المتصوف المجتهد ، ولقد نبه الى ان له مؤلفات منها كتيبه الصغير الذي سماه الفقيرية وكتـــاب آخـــر سماه بدر المعارف .

وفي الفقيرية قال : الفقير ليس متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه ولا داخلا فيه ولا خارجا منـــه .. وعلق المؤلف على هذا القول بقوله : وهذا من الكلام الخلف الساقط الذي لا يفيد حقيقة . والفقير هـــو جسم محدث ذو روح محدثة ، وهو جزء من العالـــم داخلا فيه ومتصلا به ، وانما سرق ذلك المعنى مـــن قول ابي حامد الغزالي في كتاب النفخ والتسوية في الروح الكلـــي ..

ومناقشة البادسي لابن سبعين انما هي داخلة في مناقشة عقلية لتعبير رمزي ، ولا يمكن ان يتصل العقل مع الرمز في شيء لان مسالك الاتصال تكـــون متشعبة منعدمة المنافذ ، ولعل ابن سبعين انما كان يقصد ان الفقير الصوفي متوجه الى الله بانجـــذاب اليه من غير اعتداد بوجود ولا ارتباط بموجود ، فهو بالنسبة لاعماقه كانه منفصل عنه ، وبالنسبة لظاهرة الجسماني الذي يقتضي الوجود كانه غير محقـــق ، فوجوده وعدمه سواء بالنسبة لظاهر الكون لا بالنسبة لحقيقة الجرم ، فالتناقض هنا لفظي فشتـــان بيـــن الاتصالية والانفصالية في المنطق الصوري وبيـــن الاتصالية والانفصالية في الاتجاه الصوفي الذي سار عليه امثال ابن سبعين رغـــم اعتزازه بالمنطـــق في صوفيته او الذي تصوره الغزالي في الروح الكلي او الذي تذوقه الفقيه عبد الجليل بن موسى فقال به .

ان الكل مقبول اذا زالـــت الضغائن وصفـــت القلوب وسلمت النيات وعرفت الاتجاهات وحـــددت الاختصاصات فان المشكل هذا لا يتعلق بالموضـــوع وانما يتعلق باهله ، ومن اراد ان يحاسب قوما بمنطق لا يتصل بمنطقهم لا يصل الى الحقيقة ابدا ، ولقد نبه الى هذه الجزئية فقيه الصوفية احمد زروق فقال في قاعدته التاسعة والخمسين : تعدد وجـــوه الحسن يقضي بتعدد الاستحسان وحصـــول الحسن لكـــل مستحســن ، فمن ثم كان لكل فريق طريق ، فللعامـــي تصوف حوته كتب المحاسبي ومن نحا نحوه ، وللفقيه تصوف رامه ابن الحاج في مدخله ، وللمحدث تصوف حام حوله ابن العربي في سراجه ، وللعابـــد تصوف دار عليه الغزالي في منهاجه ، وللمتريض تصوف نبه عليه القشيري في رسالته ، وللناسك تصوف حـــواه القوت والاحياء ، وللحكيم تصوف ادخله الحاتمي في كتبه ، وللمنطقي تصوف نحا اليه ابن سبعيـــن في تاليفه ، والطبائعي تصوف جاء به البوني في اسراره ، وللاصولي تصوف قام الشاذلي بتحقيقه ، فليعتبر كل باصله من محله وبالله التوفيق .

ان الاتجاهات الصوفية قد تعددت مشاربهـــا واختلفت شروحها ودفعت بعض المهتمين بهـــا الى الاعتزاز بطرقهم والى مؤاخذة مـــن سار على نهـــج يخالف نهجهم لانهم كانوا يرون البساطـــة في العبادة اولى من التعمق والايمان المنقاد اولى من البحـــث والتاويل ، وظنوا ان اي بحث عميق غامض قد يشكك الناس في دينهم او يبعدهم عن جادتهم ، ومن هؤلاء البادسي مؤلف هذا الكتاب الذي نتحدث عنه ، فهـــو قد ذاق ذرعا بابن سبعين وعدة من المخالفين .

ومن المعلوم ان المحقق كـــان يشير الى اوزان الاشعار في هذا الكتاب ، ولكنه لم يكن يوفـــق في بعض الاحيان الى معرفة حقيقة انغامها .

ومن يتتبع الاشعار المستعملة في هـذا الكتاب فسيرى ان اكثرها كان متصلا بالبحر الكامل ذلـك الوزن الذي يحسن في الموضوعات الصوفية نظـرا للامتدادات الصوفية التي فيه وللايقاعات المتلائمة مع ابتهالات الصوفية في اشعارهم وشعاراتهم .

واما استعمال غير هذا الوزن فلم يكن بالكثير ، ومن المقطوعات التي ذكرها اثر ترجمة صالـح من الصلحاء المذكورين في الكتاب وهو ابو مروان عبد الملك الوجانـي قوله ص 102 :

شمس العلوم يا لها مـن شمس
تبدو فتعلو ثم ليس تـمسي

يا رائما شبها لهـا قيـاسا
هيهات ليس اليوم مثـل الامس

للحـق سر بالـغ بـراه
من كن خلوا من محاق الطمس

وكـل سر غامـض فشيء
بينه معنى الصلاة الخـمس

فعالم الاخرى غـدا سعيـدا
وعالم الدنيا هـوى في الرمس

من ضل يبغي رفعـة بنقـص
كان كباغي كوكـب بلـمس

فذا وذاك في القيـاس قطعـا
ضدان ليس البدر شبه الشمس

وهذه الابيات من الرجز الا ان الشاعر اكثر فيها من الزحافات ونوع فيها من التغييرات ، ولم يتقيد فيها بالقوانين المتبعة في هذا البحر ، فهو قد جاء بالعروض في بعض هذه الابيات مقطوعة لخبر تصريع واضاف الى القطع خبنا في ابيات اخرى وكذلك فعل في الضرب ايضا ، وحين القطع لـم يستعمل الردف الذي يخلق الانسجام الصوفي المألـوف ، ولعلـه استغنى عنه بالتزام الميم قبل السيـن المهموسة وبسبب مزج القطع بالخبن وعدم الاكتفاء بصـورة شعرية موحدة .

ولعل هذا التنويع وهذا الخروج عـن المالوف هو الذي جعل الاستاذ المحقق يظن ان هـذه الابيات من السريع مع انها ليست منه ، لان السريع لا يختم بما يختم به الرجز ، فالتفعيلتان الاوليان متحدتـان ، لكن التفعيلية الثالثة في كل شطـر ليست كذلـك فعروض السريع تاتي على الشكل الآتي : فاعلـن او فعلن ، واضربه تاتي على وزن فاعلان او فاعلـن او فعلن ، ولا يكون الشبه بين الرجز والسريـع الا في مشطور السريع اذا كان مكسوفا ، فانه يصبح شبيها بالرجز اذا كان مقطوعا ، وهذه الصورة لا تتحقق هنا لكون الابيات غير مشطورة .

وعلى كل حال فان البادسي رغم عنايته بكتب المعري واستدلاله بشعره ومحاولته تقليده في لزوم ما لا يلزم ، فان شعره لم يكن قويـا الا في بعـض المقطوعات ، ولكنه في النشر كان يحاول ان يظهـر اقوى ، وكانت عادته فيه ان ياتي به في مقدمة تراجمه مسجوعا وان يربط الفواصل باسم الشخص الـذي يكتب ترجمته او بصف وسمه حسب تعبيره المستعمل فهو كان يرى انه بعمله هذا يرسم شخصية الذيـن يتحدث عنهم ويقدمها في لون براق يسر الناظرين .

من ذلك مثلا قولـه في رسم ابـي داود راس الرابطة الموجودة قرب الحسيمة وامام هذه الفئـة التي جعلها منطلق الحديث في كتاب هذا . . . فاولهم القطب العارف الولي ذو الفضل الظاهر الجلي والقدر السمي العلي النائط في جيد الاجادة اسنى حلي الذي كف اجتهاده من الراحة صفر خلـي جابـر الكسر والمنقذ من الاسر المتعطف الراحم ابو داود مزاحم كان رحمه الله من كيس الكرامات منفقا . وبـذوي الرياضة مرفقا وعلى المحتاجين مشفقا ، وقد قيل ان التصوف اشفاق وارفاق ، وقد توفي ابو داود هـذا سنة ثمان وسبعين وخمسمائة .

وابو داود هذا هو جد ابراهيم بن عيسى الذي ترجم له المؤلف ايضا وتحدث عن اسره في ايـدي النصارى وعن جهاده ورباطه بالرابطة المذكورة سابقا وقد قال عنه في كتابه : ومنهم العابد الزاهد المرابط المجد الجاهد المراقب الشاهد الذي قـام له في التلاوة اعدل شاهد المد من على تلاوة المحكم الناطق بالحكم الحاج ابراهيـم بن عيسى بن ابـي داود ، اختصر الاقلال واقتصر على اكل الحلال ، وقد قيل ان التصوف اقتصار واختصار .

وفي ترجمته قال : قال ابو عقيل كان الحـاج ابراهيم لا يفتر عن تلاوة القرءان ليلا ولا نهارا ، لا في

قيامه ولا في قعوده ولا في مشيه ، وعاش رحمه الله تسعين سنة وتوفي سنة خمسين وستمائة ؛ وكان مولده سنة ستين وخمسمائة ، وكان تركه ابوه داود في ثماني عشرة سنة ومات ابوه داود سنة ثمان وسبعين وخمسمائة .

ونحن نلاحظ اضطراب الكلام بسبب زيادة هاء بعد كلمة ( أبو ) وهكذا لان الكلام لا يستقيم الا بحذفها ، فيقال وكان تركه ابو داود ... ومات ابو داود ... لان ابا داود جد لابراهيم هذا ، لا اب له ولم ينتبه المصحح الى هذا الخطا بل زاد في تعقيده حينما تعرض اليه في جدول تصويب الاخطاء .

وينبغي للقارىء الا يظن اننا بتعرضنا لبعض الملاحظات حول تحقيق الكتاب اننا نستصغر عمل الاستاذ المحترم السيد سعيد اعراب بل الامر الواقع يقتضي تقدير المجهود الذي بذله المحقق حينما اخرج كتابا من الكتب التي تصور حياة اقليم من اهم الاقاليم المغربية في حقبة من التاريخ كان هذا الاقليم فيها مضطربا غير مستقر تتطلع الى حكمه قبائل شتى الى ان يسر الله ابناء عبد الحق المريني الذين فكروا جديا في ضم هذا الاقليم الى الوحدة العامة وان ينافسوا ابناء اعمامهم من الوطاسيين الذين تحكموا فيه في اواخر عهد الموحدين .

ومن الذين استطاعوا اقرار الحكم المريني في الريف يعقوب بن عبد الحق الذي هيمن على البلاد ووحد بين اجزائها وغزا الاندلس لاقرار حكم المسلمين بها ولاعانة بني الاحمر في مواجهة الحكم الصليبي في كثير من الاحيان .

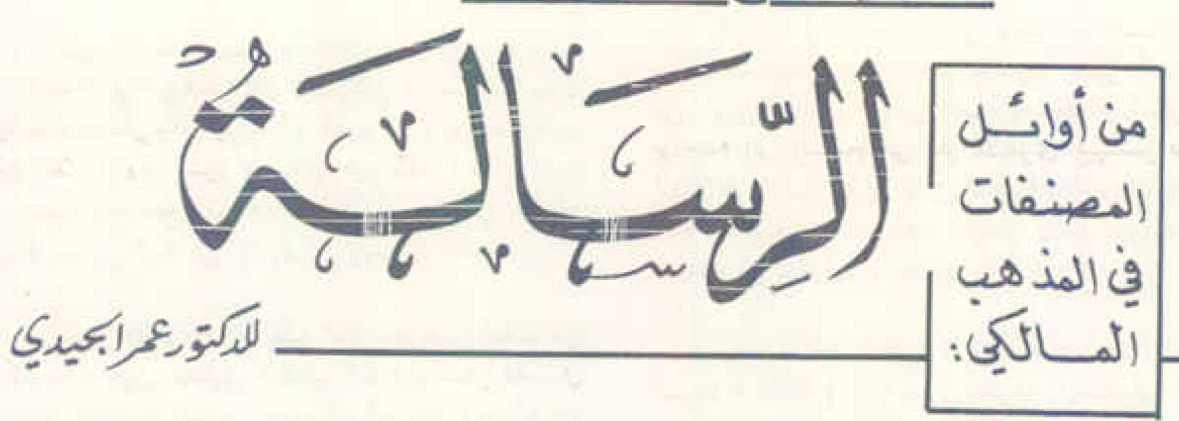
ومن المعلوم ان يعقوب هذا كان له اتصال وثيق بسكان الريف ، فامه ام ايمن هي من قبيلة بطوية ، وقد ورد في الاستقصا للناصري انها رات وهي بكر كأن القمر يخرج من قبلها حتى صعد الى السماء واشرق نوره على الارض فقصت رؤياها على ابيها فسار الى الشيخ ابي عثمان الورياغلي فقصها عليه فقال ان صدقت رؤياها فستلد ملكا عظيما فكان كذلك .

ان هذه القصة تمثل الاتجاه السائد في معتقدات الناس آنذاك فهم يؤمنون بالكرامات ويثقون في تاويل الاحلام ، ومن الصعب انفصال الجوانب السياسية عن المعتقدات السائدة في المجتمع ، وهذا هو السر الذي جعل كتاب البادسي مليئا بامثال هذه الحادثة عند مختلف الذين رسم صورهم أو تحدث عن سلوكهم واخلاقهم .

وبعد فهذه النظرة التعريفية بهذا الكتاب ضرورية للاطلاع عليه وعلى معرفة قيمته في المكتبة المغربية المحتاجة الى ابراز هذه الكتب والى دراستها دراسة معمقة تجعلها مصورة للطابع الثقافي والفكري والسياسي الذي تمثله في زمانها والذي تضيىء به السبيل امام النقاد والدارسين ليفهموا بواسطتها ما يروج في الكتب التي تتحدث عن تاريخ المغرب وعن ازدهاره الفكري ، فليس من الصدفة ان نجد الحديث عن الفلسفة والتصوف والعقائد وانواعها في هذا الكتاب ، فالمؤلف عاش بنفسه ضروبا من المناقشات حول كثير من النظريات التي لا يمكن فهمها على حقيقتها الا اذا علمنا ما كان يسود منها في هذا العصر المليء بالجهود الفكرية وبالمؤلفات الصوفية المؤمنة بالكرامات وخوارق العادات مثل كتاب البادسي هذا الذي يزخر بها في مختلف الرسوم التي رسمها سواء للعلماء او لغيرهم ممن اشتهر بالفضل والصلاح والجهاد والكفاح رحمهم الله جميعا وجعل لنا من روحهم ما يدفعنا الى الامام وما يمهد لنا حسن الختام .

**فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ**

## نظرات في تاريخ المذهب المالكي :




يعتبر كتاب « الرسالة » من أهم ما ألف في المذهب المالكي ، ويعد من حيث الاهمية والتداول ، الكتاب الثالث بعد الموطأ والمدونة ، وقد رزق من القبول والانتشار وعناية الناس به ، واقبالهم عليه ، وتأثرهم به ، ما لم يحظ به اي مؤلف غيره ، ولا يضاهيه في هذه المنزلة والحظوة ، الا الموطأ والمدونة ، فقد عظم شأن رسالة ابن ابي زيد القيرواني هذه ، وجل بالنفع والبركة والقبول مكانها .. ويصف الشيخ القلشاني ـ شارحها ـ انتشار الرسالة وشيوعها ، واقبال الناس عليها ، واهتمامهم بها فيقول : « اشتهرت اشتهار النهار ، وشاعت في جميع الاقطار ، وتلقاها الناس بالقبول في جميع الاعصار ، وظهرت بركتها ويمنها على من تهمم بها من الصغار والكبار ، ولهذا قيل : ان من حفظها او اعتنى بها ، وهبه الله تعالى ثلاثا او واحدة من الثلاث : العلم ، والمال الطيب ، والصلاح ، لم تسمح القرائح بأمثالها ، ولم ينسج ناسج على منوالها ، وكثرت بسبب ذلك الاوضاع عليها ، فبعض الشارحين سلك مسلك الاطناب والاسهاب ، كالقاضي ابي محمد عبد الوهاب ، وبعضهم كابن الفخار سلك مسلك الاقتصار والاقتضاب ، وكل ان شاء الله على صواب » (1) .

وتعدت شهرتها المغرب الى المشرق ، حتى غطت جميع بلاد الاسلام او كادت ، فوصلت بغداد واليمن ، والحجاز والشام ، ومصر وبلاد السودان ، وصقلية والاندلس ، وتنافس الناس في اقتنائها ، ويروى ان بعض نسخها كتب بالذهب ، وان اول نسخة منها بيعت ببغداد في حلقة ابي بكر الابهري كبير فقهائها بعشرين دينارا (2) .

ونقل النفراوي في شرحها ان من عمل بها بعد قراءتها ، يجمع الله فيه من الاوصاف الحسان ، ما كان في المصنف او معظمها ، ومن اعظم اوصافه : علو اسناده ، لانه كان يروي عن سحنون بواسطة ، وعن ابن القاسم بواسطتين ، وعن مالك بثلاث (3) ، وكان يعرف صاحبها بمالك الصغير (4) وبخليفة مالك

---

(1) شرح القلشاني لرسالة : 2/1 مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 699 ك .
(2) معالم الايمان للدباغ 3 / 137 .
(3) الفواكه الدواني 1 / 10 .
(4) المدارك 6 / 216 ط : المغرب ، والديباج 137 .

وقطــب المذهــب (5) . .

وكان القاضي ابو العباس ابن عرضون الغماري يطلق عليها زبدة المذهب (6) وينصــح المتعلميــن بالبدء بقراءتها ، وقبله قال الفقيه ابن عبد : « طلبوا الفقه في غير الرسالة فاضلوه » (7) .

جمع ابن ابي زيد القيرواني في الرسالة ما يجب على المكلف معرفته من عقائد الايمان واحكام العبادات والمعاملات ، وما يسن او يندب من الآداب . .

ويستفاد مما ذكره مؤلفها في المقدمة ، انــه الفها بناء على طلب من احد شيوخه اختلف فيه ، قيل هو : الشيخ ابو اسحاق السبائي ، وقيــل المؤدب محرز بن خلف واليه مال ابن ناجي (8) وجــزم بــه مخلوف في شجرة النور (9) ولكن الذي لم يختلــف فيه ، هو انه الفها بناء على طلب وجه اليه ، فقد ورد في مقدمتها ، اما بعد . . فانك سالتني ان اكتب لك جملة مختصرة من واجب امور الديانات مما تنطق به الالسنة ، وتعتقده الافئدة ، وتعمله الجوارح ، ومــا يتعلق بالواجب من ذلك في السنن من مؤكدها ونوافلها ورغائبها وشيء من الآداب منها . وجمل من اصــول الفقه وفنونه على مذهب الامام مالك بن انس وطريقته، واتجاه احد شيوخه اليه ، طالبا منه تدويــن هــذه الرسالة يوذن بأن الرجل كان قد شدا في العلم درجة تؤهله لان يحسن التاليف ويجيد نظم الافكار ، واذا عرفنا انه الفها وسنه لا يتجاوز سبعة عشر عاما (10) تبين لنا انه كان على درجة عالية من الذكاء والنبــوغ والاستعداد الفطري لتقبل العلم واستيعابــه ، اذ التاليف في مثل هذا السن المبكر ، لا يقدم عليه الا من آتاه الله الحكمة والتوفيق ، ومن الحكمة فقــد اوتي خيرا كثيرا ، ويدل بالتالي على ان الرجل كان قد حاز ثقة شيوخه ، لدرجة انه غدا اهلا لان يندب الى هذا العمل الجليل الذي لا ياتيه عادة ، الا الفحول من علية القوم ، وبذلك شهد الناس له بالضلاعة في العلم، وكان ذلك من الاسباب التي دفعت العلمــاء الى ان يتسابقوا الى اقتنائها ، خاصة الجلة منهم ، فيحكــي ابن ناجي انه لما اتم تاليفها كتب منها نسختين بعث بواحدة الى الشيخ ابي بكر الابهري كبيــر فقهــاء المالكية في بغداد ، فابدى اعجابه بها ، ولم يتمالــك — من فرط الاعجاب — ان اثنى على صاحبها ، واشاع خبرها بين الناس ، وعرف بمؤلفها ، وامــر ببيعهــا فبيعت بمائتي دينار (11) ولكنه لم يرض الا بأن تباع بوزنها ذهبا ، كما بعث بالثانية الى ابي بكر ابن رزب القرطبي ، الا ان ما فعلــه هــذا الاخيــر بهــا — ان صح — (12) لا ينم عن اخــلاق العلمــاء ، ولا يتفق مع سلوكهم وشيمهم ومروءتهم ، اذ كما يقال : اخفاها واخذ ينسج على منوالها ، حتى اذا ما اتم ما كتب وسماه « الخصال » (13 اظهرها بعد ذلــك ، ووصل هذا الصنيع من ابن رزب الى مؤلف الرسالة فيما يحكي المؤرخون ، فتشكى من سوء هذا التصرف.

والرسالة على صغر حجمها احتوت على اربــع الاف مسالة ، واربعمائة حديث ، ويعد ابن ابي زيــد القيرواني هو وطبقته آخر المتقدمين واول المتاخرين اذ كان تاريخه حدا فاصلا بين التاريخين للفقه (14) واعتبره الحجوي احق من يصدق عليــه حديــث : « يبعث الله على راس كل مائة سنة من يجدد لهــذه الامة امــر دينهــا » (15) .

---

(5) الفواكــه الدوانــي 1 / 10 .
(6) مقنع المحتاج في آداب الازواج مخطوطتي الخاصة ( باب تربية الولدان ) .
(7) شرح الرسالة لزروق 2 / 423 .
(8) معالم الايمان 3 / 138 .
(9) شجــرة النــور ص 96 .
(10) المصــدر السابــق .
(11) في معالم الايمان للدباغ عشرين دينارا .
(12) نقول ان صح لان ابن رزب عارض ( بخصــا له ) كتاب ( الخصال ) لابن كاووس الحنفي كما ذكــر عياض ( المدارك 7 / 115 ) ولو صح الخبر لما سكت عنه عياض وهو شغوف بتتبع مثل هــذه السقطــات .
(13) توجد نسخة من كتاب الخصال بمكتبة الاسكوريــال .
(14) الفكــر السامــي 3 / 135 .
(15) الفكر السامي 3 / 116 والحديث رواه ابو داود .

وهكذا كانت الرسالة وما تزال ، موضع العناية والتقدير من طرف المعلمين والمتعلمين ، فاهتموا كثيرا بقراءتها وشرحها والتعليق عليها قديما وحديثا، وفيهم من اطال في شرحها فجاء شرحه في مجلدات، وفيهم من اوعب الكلام عليها فجاء قصيرا ، وفيهم من اهتم بشرح بعض الفاظها ومفرداتها فجاءت تعليقات ذات اهمية نافعة ، ويذكر الشيخ حسن حسني عبد الوهاب أن شروحها زادت عن مائة شرح (16) .

ومن الذين شرحوها او علقوا عليها :

1 ) احمد بن محمد بن عبد الله القلشاني ( 863 هـ 1459 م ) له تحرير المقالة في شرح الرسالة توجد نسخ منها متعددة لدى الخواص وتحتفظ الخزانة العامة بالرباط بنسخة منها جيدة برقم 699 ك ، ولو طبع هذا الشرح لأغنى .

2 ) احمد بن أحمد بن محمد زروق ( 899 هـ ــ 1493 م ) له شرح مطبوع متداول .

3 ) احمد بن غنيم بن سالم النفراوي ( 1125 هـ ــ 1713 م ) له الفواكه الدواني مطبوع متداول.

4 ) احمد بن الحسن الكلاني يعرف بابي الزيات ، له تلخيص الدلالة في تلخيص الرسالة (17) .

5 ) احمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي ، له شرح ذكره ابن فرحون (18) .

6 ) احمد بن حنين القسنطيني يعرف بابن الخطيب وابن قنفذ شرحها في اسفار (19) .

7 ) احمد بن علي بن قاسم الزقاق شرح بعضها (20) .

8 ) احمد بن احمد بن محمد الشرقي ، له تقريرات عليها (21) .

9 ) احمد بن محمد بن الحاج البيدري التلمساني، له كلام محقق على الرسالة (22) .

10 ) ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي بكر التسولي ، يعرف بابن ابي يحيى ( ت 748 هـ ) (23) .

11 ) ابراهيم بن محمد الوفري (24) .

12 ) ابراهيم بن محمد التادلي الرباطي (25 .

13 ) جلال الدين التباني (26) .

14 ) محمد بن علي بن محمد بن الفخار الجذامي ( 723 هـ ــ 1323 م ) له نصح المقالة في شرح الرسالة (27) .

15 ) محمد بن ابراهيم التتائي (942 هـ ــ 1535م) له تنوير المقالة بحل الفاظ الرسالة (28) .

---

(16) كتاب الامام المازري ص : 31 .
(17) شجرة النور ص : 213 .
(18) الديباج المذهب ص : 91 .
(19) جذوة الاقتباس 1 / 154 .
(20) نيل الابتهاج ص : 91 .
(21) شجرة النور ص : 350 .
(22) نيل الابتهاج ص : 88 .
(23) المرقبة العليا 136 والديباج 89 والنفح 5/388 .
(24) نيل الابتهاج 57 .
(25) الفكر السامي 2 / 307 .
(26) كشف الظنون 1 / 841 .
(27) الديباج 304 وسماه مخلوف « نظم المقالة » انظر شجرة النور 212 .
(28) توجد نسخة من هذا الشرح بمكتبة تطوان العامة برقم 358 .

16 ) محمد بن قاسم جسوس (1182 هـ ـ 1768م) طبع شرحه على الحجر بفاس .

17 ) محمد بن منصور بن حمامة الزناتي ، لـه شرح غريب الرسالة سماه « غرر المقالة في شرح الرسالة » توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة تطوان رقمها : 852 .

18 ) محمد بن موهب القرطبي المعروف بالمقري ( ت 406 هـ ) وهو تلميذ مؤلف الاصل (29) .

19 ) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب ت 993 هـ ) توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة تطوان العامة برقم : 14 .

20 ) محمد بن الوليد القرشي الفهري المعروف بالطرطوشي (30) .

(21) محمد بن عبد ، له بن محمد المعروف بابن العربي ، له غريب الرسالة (31) .

22 ) محمد بن عبد الرحمن التميمي الكرسوطي ، له تقييدان عليها كبير وصغير (32) .

23 ) محمد بن احمد بن غازي العثماني المكناسي ، له نظم مشكلات الرسالة (33) .

24 ) محمد بن عبادة بن بري ، له حاشية على شرح ابي الحسن ها (34) .

25 ) محمد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي شهر بانقشابو (35) .

26 ) محمد بن الحسن بن يوسف الغماري الشهير بابن عرضون (36) .

27 ) منصور بن احمد بن عبد الحق المشذالي ، له شرح لم يكمل (37) .

28 ) موسى بن ابي علي الزموري (38) .

29 ) عبد الله بن يوسف البلوي الشبيبي القيرواني ( 782 هـ ـ 1380 ) توجد نسخة من شرحه بالزيتونة (39) .

30 ) علي بن محمد بن بن محمد بن محمد بن يخلف المتوفي المصري الشاذلي (939 هـ ـ 1532م) له على الرسالة ستة شروح منها : كفاية الطالب الرباني (40) .

31 ) عبد الله احمد الفاكهاني ( 972 هـ ـ 1564 ) (41) .

32 ) عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي ( ت : 422 هـ ) (42) .

33 ) علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي الغماري المعروف بالصغير ( ت : 719 هـ ) (43) .

---

(29) المدارك 7 / 189 .
(30) نفح الطيب 2 / 88 .
(31) الديباج 310 وجذوة الاقتباس 1 / 223 والنفح 6 / 97 .
(32) شجرة النور 342 .
(33) جذوة الاقتباس 1 / 238 .
(34) الفكر السامي 2 / 274 .
(35) نيل الابتهاج 344 .
(36) النيل 342 .
(37) شجرة النور 272 .
(38) تاريخ التراث لسزكين 2 / 159 .
(39) الديباج 159 .
(40) شجرة النور 273 .
(41) تاريخ التراث لسزكين 2 / 159 .
(42) الديباج : 159 .
(43) المصدر 212 .

34) عبد الرحمن بن عفان الجزولي (ت : 741 هـ) له تقاييد على الرسالة ، وهي التي قال فيها الشيخ زروق : ليست بتاليف وانما تقاييد الطلبة زمن الاقراء ، فهي تهدي ولا تعتمد (44) توجد نسخ منها مخطوطة احداها بخزانة القرويين .

35) علي بن محمد البسطي القرشي الشهير بالقلصادي ( : 891 هـ ) (45) .

36) عبد الله بن طلحة اليابري الاشبيلي (46) .

37) عبد الله بن احمد بن سعيد العبدري البلنسي يعرف بابن ابي الرجال (47) .

38) عبد الله بن مقداد بن اسماعيل الاقفهسي القاضي جمال الدين (48) .

39) عبد الرحمن بن محمد الشهير بابن قاسم (49) .

40) علي بن عبد الله الشهير بالسنهوري (50) .

14) علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن علي من اهل سوس ، له ستة شروح (51) .

42) عيسى بن عبد العزيز التميمي الاسكندري موفق الدين ( ت : 629 هـ ) له الابالة في شرح الرسالة (52) .

43) عبد الله الغماري ، له شرح على الرسالة مطبوع .

44) عبد الواحد بن احمد الونشريسي الفاسي (53) .

45) علي الاجهوري ، له شرح عليها في عدة مجلدات (54) .

46) عبد الحميد الشرنوبي ، له تقريب المعاني ( مطبوع ) .

47) داود بن علي بن محمد القلتاوي الازهري ( 902 هـ — 1497 م ) (55) .

48) القاسم بن عيسى بن ناجي (837 هـ — 1433م) له شرح مطبوع .

49) صالح الهسكوري (56) .

50) سليمان بن يوسف بن عمر الانفاسي (57) .

51) سعيد بن سليمان بن محمد الحميدي من علماء القرن العاشر الهجري (58) .

---

(44) نور البصر 162 .
(45) النيل 209 .
(46) النيل 131 وكشف الظنون 1 / 841 .
(47) شجرة النور 148 .
(48) النيل 155 .
(49) النيل 175 .
(50) النيل 208 .
(51) النيل 212 .
(52) ايضاح المكنون 1 / 7 .
(53) الفكر السامي 2 / 267 .
(54) شجرة النور 283 .
(55) نيل الابتهاج 116 .
(56) الديباج 129 .
(57) جذوة الاقتباس 2 / 516 .
(58) تاريخ التراث العربي لسزكين 2 / 157 .

52 ) يوسف بن عمر الانفاسي الجلاني ( 761 هـ - 1360 م ) (59) .

53 ) يوسف بن موسى بن ابي عيسى الحساني السبتي ، له شرح سماه الافادة (60) .

54 ) يحيى بن احمد بن عبد السلام المعروف بالعلمي (61) .

55 ) شرح لاحد العمارين لم يوضح المهدي الوزاني اسمه ، نقل عنه في شرحه لعمل فاس ( تحفة الاكياس ج 2 ) .

5 6) وهناك شرح لابن طلحة ذكره الحطاب في شرحه للمختصر ( 1 / 31 ) .

وممن نظمها ميمون الفخار (62) .

فهذه الشروح وغيرها كثير تدلنا على ما كان كان للناس من اهتمام بالرسالة واقبالهم عليها تعلما وتعليما وشرحا وتعليقا ؛ وتعدى هذا الاهتمام علماء الاسلام الى غيرهم ، اذ ترجمت الرسالة الى اللغة الفرنسية والانجليزية ..

هذه نظرة عجلى على كتاب الرسالة واهتمام الناس بها ، اما كاتبها فيمكن الرجوع في معرفة سيرته ومناقبه واخباره ، ومختلف مراحل حياته الى الكتب الآتية :

طبقات الشرازي 160 - الحلل السندسية في الاخبار التونسية 261 - معالم الايمان 3 / 135 - دائرة المعارف الاسلامية 1 / 180 - مرآة الجنان 2 / 441 - شذرات الذهب 3 / 131 - كشف الظنون 841 - ترتيب المدارك 6 / 215 - شجرة النور : 96 - هدية العارفين 1 / 447 - الفكر السامي 2 / 115 - سير اعلام النبلاء 11 / 3 - تذكرة الحفاظ 3 / 211 - الديباج المذهب 136 - الاعلام للزركلي 4 / 230 .

د . عمر الجيدي

(59) جذوة الاقتباس 2 / 551 .
(60) النيل 352 والجذوة 2 / 554 .
(61) النيل 357 .
(62) الضوء اللامع 7 / 99 .



في المكتبة المغربية :




# الحركة الوطنية

## للأستاذ الحاج الحسين بوعياد

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

**قرا الاستاذ الحاج احمد معنينو كتاب الاستاذ الحاج الحسن بوعياد : ( الحركة الوطنية : الظهير البربري ) الذي يعد من المراجع الهامة في تاريخ المغرب الحديث .**

**وقد وافانا الاستاذ معنينو بالتعقيب التالي حول هذا الكتاب الهام الذي وجهه الى الاستاذ المؤلف :**

« الاخ الاعز الاستاذ الحاج حسن بوعياد ، بعد التسمية والتقدير ، قدر لاخيك ان يقف على كتابك المطبوع تحت عنوان : ( الحركة الوطنية : الظهير البربري ) — لون آخر من نشاط الحركة الوطنية في الخارج 1348 هـ — 1930 م .

ومما جاء فيه في المقدمة قولك :

كما اعتذر عن ترك التفصيل فيما يريد البعض التفصيل فيه ، لان التفصيل قد يكون بحول الله في كتاب آخر ، نحن على امل ان نصدره ان شاء الله بحوله وقوته تعالى .

وهذا ما سيراه قراؤه حيث سيكون سجلا مهما والله الموفق ، ثم تقول : وكم اكون مسرورا شاكرا لكل من يتقدم الي بتنبيه او ارشاد او نقد ان ظهر له .

ففي كل ذلك فائدة كما لا يخفى خصوصا اذا توفرت النية الحسنة .

امام هذا ظهر لاخيك وصديقك الحاج احمد معنينو ان يوجه اليك اولا الشكر الجزيل ، على هذه الجهود الجبارة التي بذلتها وسهرت على جمعها وترتيبها ، خصوصا والكثير منها نقولا عن مجلات

وجرائد من خارج المغرب ، وهذه منقبة عظمى تسجل في حياتكم الكريمة ، وجهادكم المتواصل . نعم أيها الاخ العزيز نزولا عند رغبتك في التنبيه والارشاد وحتى النقد . رأيت من واجبي تنبيهك لاشياء نشرت وهي تخالف الواقع ، ولا اعتقد الا ان ذلك صدر عن حسن نية وجهل بالواقع ؟

ففي عنوان موجز لموقف الحركة الوطنية من الظهير البربري في الداخل تقول : في يوم 1930/7/4 بعد ان شاع بين الناس مضمن الظهير البربري ، وما يهدف اليه ، وشرع في عمليات التجمعات ببعض مساجد المغرب ، وكان ذلك بمسجدي القرويين ، والمسجد الاعظم بمدينة سلا ، وكان يوما مشهودا الخ . ان الواقع في القضية يخالف هذا التصوير الذي عرضتم ايها الاخ الكريم .

ان التجمع الاول حصل بمدينة سلا بالمسجد الاعظم وامامه الشيخ المحدث العلامة الحاج علي عواد بتاريخ 18 / 6 / 1930 م .

حيث شرع في ذكر اسم الله اللطيف ، والمؤسس الاول للفكرة والوقوف في وجه الحماة الطغاة . هو الاستاذ الحاج عبد اللطيف الصبيحي الذي كان موظفا بـ : شريفبان ، الاقامة العامة بالرباط .

وكان يحضر جلسات وتجمعات الاختصاصيين الفرنسيين في صناعة الظهير المذكور . يعارضهم بل ويحتج عليهم بل اكثر ، يهددهم بالوقوف ضدهم ، وعندما لم يسمعوا صوته ، او تراجعوا عن غيهم ، قدم استقالته من الخدمة معهم ، وتجول للدعاية ضد الظهير البربري ، وكون جماعة من الشباب بسلا ، وحتى الشيوخ ضد المشروع ، وتنقل لفاس ومراكش والبيضاء يجتمع بالمثقفين بالافرنسية قدماء التلاميذ ليشرح لهم عيوب هذا الظهير ، وما يرمي اليه من تشتيت الشعب المغربي ، وتقسيمه شطرين : عربي وبربري ، وداوم على هذا قبل صدور الظهير 16 ماي 1930 كان يتصل بالجماهير قبل الصدور ، وكانت الفكرة جارية والاستعداد للمقاومة تتكون نواته ، وجاء يوم 18 يونيه 1930 اي بعد مرور شهر على صدور الظهير بتاريخه المشهور . واخذ السيد الصبيحي ليلة هذه الجمعة سجينا لمراكش ، وانزل بمنزل الناظر السلوي هناك الشريف البلغيثي ، وصبيحة يوم الجمعة 18 يونيه قام ستة شبان اخذوا العهد على الصديق الصبيحي ، واتصلوا بشيخ الجماعة خطيب المسجد الاعظم . وعرفوه بالموضوع ، فقام بتنفيذ الفكرة ، وخطب في موضوع اسم الله اللطيف ، وعقب للصلاة شرع في ذكر اسم الله اللطيف ، ولم يقع هذا اللطيف في هذه الجمعة باية بلدة اخرى سواء مدينة الرباط او مدينة فاس ومن بديع ما حصل عندما شاع خبر ذكر اللطيف بمدينة سلا ، بالمسجد الاعظم احتجاجا ضد الظهير البربري حضر لمدينة سلا الاستاذ محمد اليزيدي براس طائفة من شباب الرباط جاءوا يهنئون الشبيبة السلوية على ما قامت به ، واخذوا الوعد على انفسهم القيام بذكر اللطيف في الجمعة المقبلة بسائر مساجد الرباط ، وكذلك حصل .

سجلت هذه المبادرة لشباب سلا ، فكان عناقا وبكاء وتجاوبا وتعاهدا على متابعة السير قدما في الميدان ، وحصل في الجمعة الثانية ذكر اسم الله اللطيف بمساجد سلا والرباط وبقي هذا العمل يجري في العدوتين دون غيرهما لمدة شهر كامل .

ولم تقم مدينة فاس المجاهدة بنصيبها الوافر الا بعد شهر من ذكره بالعدوتين .

هذا تاريخ اللطيف الحقيقي ، ولا شك ان ما حصل بفاس في هذه الجمعة اي بعد شهر ، تعدى ما كان يحصل بالعدوتين ، بحيث اضيف للذكر الله اللطيف الخطباء بالقرويين والمظاهرة في الشوارع ، والقاء القبض على الشبيبة بفاس ، وضربهم بآزفل من لدن الباشا البغدادي ؟

نعم ما ذكرته في الكتاب باللفظ قولكم السابقة في يوم 4 / 7 / 1930 شرع الخ .

من هذا العرض المختصر يظهر لاخوتك وجه الحقيقة ان كنت كما طلبت في اقتراحك السالف .

وهذا شان ذوي النفوس الطيبة البعيدة عن التحيز والانانية والتعصب المقيت ، والعمل ضد

الحقيقة ، وتجنب الواقع ، والجمعة التي ذكر فيها اللطيف بفاس بجامع القرويين العظيم كان حصل نفي اربعة اشخاص : اثنان من سلا ، هما : الحاج عبد اللطيف الصبيحي ومحمد بوبكر اشماعو ، الاول لمدينة تزنيت ، والثاني لمدينة ميسور . واثنان من مدينة الرباط وهما : محمد اليزيدي نفي لقبيلة السراغنة ، وعبد اللطيف العتابي ونفي للصويرة ، من هذا العرض نتعرف على ان اول رجل دعى لمقاومة الظهير البربري ، وقبل صدور الظهير هو الاستاذ عبد اللطيف الصبيحي ، وكان في نفس التاريخ المذكور سجن الرباط يضم جماعة من وطنيين سلا والرباط : الحاج احمد الشرقاوي ، المعطي ابا خاي من الرباط عمر اشماعو ، المكي السدراتي من سلا ، وابعد من الوظيف آخرون من سلا : العربي زنيبر ، الصديق بالعربي ، وآخرون من الرباط ، كل هذا حصل واللطيف لم يبلغ فاس .

سجلت مدينة فاس موقفا شريفا وعظيما كما سبقت الاشارة لذلك ، وبعد الضرب الذي صدر من البغدادي للشباب الفاسي كانه ضرب في الطبل للاعلان عن الوقفة المغربية العامة من هذا الظهير المخرب لوحدة المغرب السياسية والدينية واللغوية .

تردد صوت السياط خارج المغرب وداخله ، ايضا ، كما لا اغفل شخصية عظيمة في الجهاد في هذا الميدان الحيوي ، هي شخصية البطل الحاج بوبكر المالقي الذي استطاع ان يخرج لاروبا في الاسبوع الثاني لذكر اللطيف عن طريق تطوان اسبانيا سويسرا قصد الاتصال باحرار هاته الدول ما صدر بالمغرب ، وما يقوم به المغاربة ، فكتبت الصحف واحتجت شخصيات لها وزنها في الموضوع . هذه حقائق تاريخية يجب الا نغفلها ، ونطمس الحقيقة ، ونذهب مع التعصب والتحيز ، ونذكر الذين جاءوا بعد ، ونترك طوائف المجاهدين الاولين المتقدمين في تحمل المسؤولية ، والقرءان الكريم يقول : « يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل وكلا وعد الله الحسنى » ، هذه واحدة ، واخرى سيجين وقتها بعد مراجعة الكتاب القيم ، وما دون فيه من افكار واخبار .

الحاج بوبكر المالقي رجع من سفره لاروبا ، بقصد الدعاية للقضية البربرية ، وحركة المقاومة السياسية ، بعد تجوله واتصالاته ونشره للحقائق وفضح الحماة وما يبيتون لبلاد المغرب ، من مؤامرات سخيفة ، بحيث اقام ضدهم اصوات الاحتجاج في عدة مؤسسات سياسية ، وجرائد خارجية ، وعقب رجوعه للمغرب بعد شهر ونيف ، اخذته الحكومة للسجن بالرباط لمدة ثلاثة اشهر ، صدر عليه حكم بمحكمة باشا سلا ، فما كان منه رحمه الله الا ان يضرب عن الطعام لمدة سبعة عشر يوما ، بشهادة سجناء المدينتين سلا والرباط حيث كان معهم في البيت في زنزانة واحدة ، هؤلاء الرجال البررة يجب ان تسجل اعمالهم وجهادهم للتاريخ ، ونذكر مناقبهم ومواقفهم ضد العدو المشترك ، ليشهد التاريخ بامانة المؤرخ النزيه ، وتقبل تحيات اخيك والسلام .

**سلا : الحاج احمد معنينو**

---

● **دعوة الحق :**

**ترمي المجلة من نشر هذا المقال الى اثارة الحوار حول قضية هامة من قضايا تاريخنا الحديث . المتصلة بجهاد الشعب المغربي دفاعا عن اسلامه وعروبته ووحدته وعرشه .**

# من وحي الولاء للعرش

للشاعر الأستاذ قدور الورطاسي

في مساء السبت 26 جمادى الاولى عام 1403هـ الموافق 12 مارس 1983 م اقام رئيس المجلس العلمي للعدوتين فضيلة العلامة الشيخ محمد المكي الناصري حفلة شيقة بقاعة الافراح بولاية الرباط بمناسبة عيد العرش السعيد فانتدبني لالقاء قصيدة في الموضوع فهيأتها والقيتها تحت العنوان اعلاه :

صدق الولاء بعيد العرش يطرد     يا من به المثل العلياء تنفرد

فانت ـ يا ابن رسول الله ـ أسوتنا     منا الولاء ، وما في الود نقتصد

في ظل عرش جدود قد مضوا مثلا     وظل عرشك ، هذا الشعب يتحد

لاحت مفاخركم في الشعب مشرقة     كالشمس ضاحية ، والسحب تبتعد

في كل خطب لكم من عدلكم سدد     في كل صوب لكم مآثر جدد

غر موافقكم ، بيض فضائلكم     كثر مواهبكم ، لم يحصها عدد

والعدل شيمتكم ، والرفق سنتكم     والنبل سيمتكم ، وللحجى عضد

يا صاحب العرش ما لاحت شمائلكم     الا وطوقها بجيده الابد

ان الزواهر في الخضراء تحسدها     والفضل يعظم ما اصابه الحسد

هذا يناوئه بكل كائدة     والله يعصم من في ملكه سدد

قد ظل عرشكم القرون قبلتنا     والشعب في ظله من حبه رصد

والله يرقبكم دوما ، ويحرسكم     والشهب جند ، فكم تهوي ، وتحتصد

فاهنا بعرشك ، فالامال طيعة     والشعب في ظلك الضليل مستند

قد عودتك ذرى الابطال قمتها     والشعب حولك بالاخلاص يتقد

لا عيب الا الوفا ، في كل طارقة     تعشى العداة به ، فيعظم النكد

عرش تسانده الاقدار راضية ... ما شاء ، شاءت فلا يضيره احد
انا نؤكد ان الله خولكم ... من عرشه علما بالنصر ينعقد
واذ تخولكم بنصره ابدا ... من ذا يساجلكم ، والواهب الصمد
هبت اعاصير بالاخطار منذرة ... فالمرجفون على النفاق قد مردوا
والمؤمنون بنصر الله ما ضعفوا ... واستبشروا ، فانتصرتم ، والعدا بدد
اذ العروبة ، والاسلام عمدتكم ... من ذا ـ وحقك ـ بالطغيان يتعد ؟
ضلت عقول الالى خالوا تواكلنا ... والعرش في معقل الاسلام معتمد
قد عودتنا السماء وحدة خضعت ... لها الرقاب ، اذا ، تهابنا الاسد
من ذا يحاول نيلا من تواجدنا ... الا اذا ما غدا بعينه رمد
فالحرب تعرفنا ابطالها صدقا ... والسلم تعرفنا ان سالم الحرد
فالراي فينا موحد جوانبه ... بينا العداة ـ على طغيانهم ـ قدد
فالعرش عصمتنا في كل معترك ... فما يزحزحنا الاعدا ، وان صمدوا
يا ساري النجم هل الفيت من ملك ... كالوالد الحر ، بيت شعبنا أولد
يضفي عليه بسرورا غير منقطع ... ويستسيغ خلالا خانها الرشد
كذا الملوك اذا جلت فضائلهم ... يفضون طورا ، وءاخر لهم حرد
يا ايها الحسن الثاني تحية من ... بمجد عرشك كم يشدو ويعتضد
اليكها وهي من امجادكم قبس ... ما لي ـ وحقك ـ الا الود ، والنضد
حياك ربك بالتوفيق ما طلعت ... شمس ، وانت على التوفيق تعتمد
وليحيى سرك للبلاد منتهجا ... كالنهج نهجك ما تاتي وما تعد
وليغمر الله بالالطاف سائر من ... بظل دوحتك الغراء قد سعدوا

**الرباط : قدور الورطاسي**




للأستاذ محمد قشتيليو

شملت حرية الفكر فى اسبانيا كل الميادين نظرا للحياة الديمقراطية التي دخلها الشعب الاسباني من بابها الواسع ، ونحن نقتصر في هذا على المجال الثقافي مبرزين بعض نماذج منه كالذي يصدر عن اجهزة الاعلام او عن دور النشر من انتاج في ميدان البحث العلمي او الادبي او غيرهما .

فبالمناسبة كنت استمع صباح يوم الى الاذاعة الجهوية لمدينة اشبيلية فاذا بالمذيع يعقد ندوة مع احد من رجال العلم والفكر ويتعلق الامر باستاذ جامعي يدرس باحدى كليات جامعة اشبيلية . كانت اسئلة المذيع كثيرة ومتنوعة ؛ منها ما هو مجدي ومفيد ، ومنها ما هو حشو ولرثرة لا طائل من ورائها كعادة مذيعين اجهزة الاعلام ؛ ونحن نبسط هنا ما يهمنا وما نراه منطقي ومعقول بعض الشيء .

سال المذيع السيد الاستاذ عن رايه في بعض من اعتنقوا الاسلام من الاسبانيين ، كان جواب الاستاذ كله حشو واطناب وكان يتلعثم في الاجوبة خشية من التورط ، لكنه كان منطقي بعض الشيء حين قال فى النهاية : «اذا كان باسبانيا جالية اسلامية وتريد اقامة شعائرها الدينية فلها الحق في جعل مكان لها لذلك ؛ اما رايي فيما يقال من ان بعض الاسبان اعتنقوا الاسلام فهم احرار في ذلك نظرا للنظام الديمقراطي الذي اختاره الشعب وارتضاه لنفسه ؛ فكل الناس اذا ملوا من شيء فهم احرار في اختيار ما يريدونه ، كمن يذهب الى مجاهل آسيا مثلا بقصد الاطمئنان واختيار مذاهب جديدة ، ان الاماكن المقدسة فهي ملك للاسبانيين جميعا ، لا فرق بينهم في الاديولوجيات او الاعتقادات » .

فاذا كانت الناحية الدينية نالها ما نالها من حرية فما بالك بالناحية الفكرية فهي ايضا طرا عليها تغيير واصبحت هي الاخرى تتمتع بحرية تشمل الانتاج الفكري والبحث العلمي فاصبح هذا الجانب ايضا غير مقيد برقابة وخاصة من رجال الدين كما كان في الماضي ، فاصبح للبحاث والمفكرين مجالا واسعا وحرية غير مقيدة ولا مقننة يكتبون وينشرون ما يريدون وخاصة ما كان محظورا من بعض اثار علمية مما خلفه المسلمون بالاندلس وما كان نشره مقننا الا ما يرضي ذوق الكنيسة ومصالحها ، فاصبح احياء ما كان في شبه المعدوم من التراث العربي الاسلامي يبرز الى الوجود فصارت دور النشر ومعاهد الابحاث تتحفنا بين الحين والآخر ببحوث قيمة وتآليف في مواضيع نادرة تتعلق بتراث الاسلام بشبه جزيرة ايبريا على العموم واسبانيا على الخصوص، وعلى سبيل المثال فقد اتحفني البريد هذه الايام بكتيب ارسل الي من دار للنشر ببرشلونة مرقوما برسالة من مدير دار النشر يطلب مني ان اتقبل الهدية ويرجوني — بعد أن اتصفح الكتاب — ان ابعث له برايي وارتساماتي عنه ؛ اسم الكتاب « كوينطوس ذي آنس » ( قصص الجن ) لمؤلفه ادولفوخيل ،

الكتاب من الحجم الصغير ويحتوي على 64 صفحة بصورة ملونة جميلة تشخص مواضيع كل قصة ، ويضم ثلاثين قصة مع المقدمة ؛ طبعه متقنة ، ورق ابيض ناصع وحروف واضحة . لقد اعطى صاحب الكتاب للقارىء في المقدمة فكرة مجملة عن فن القصة واثره في النفس بلغة سلسة واسلوب واضح سهل ، يقول المؤلف من جملة ما يروي عن هذا الفن :

« ان العرب اسبق الناس الى فن القصة » واستدل على ذلك بكلام بعض علماء وفلاسفة عرب خص بالذكر منهم الكندي مستشهدا بكلامه الذي يقول :

« يعد – اي الكندي – ان الاصوات كمبادىء اولية للوجود ، فعندما تتحرك تشكل تموجات ، فكل صوت بامتداده الخاص وطبيعته الخاصة الغريزية ومقدرته يثير مفعولا مختلفا حسب الشيء الذي يعمل نحوه » الى غير ذلك من تحليلات وتعليلات لآراء هذا الفيلسوف العربي الفذ والنابع من قلب شبه الجزيرة العربية ، وكل قصة يفرد لها صاحبنا توطئة ومدخلا حسب نوعها وحسب الوقت المناسب لسردها وحكايتها كما ياتي بنماذج من قصص قديمة من كتب الفن في الموضوع لقصاصين وادباء مختصين في الفن القصصي ، فيروي لنا بعضها من قصص الف ليلة وليلة ، وكذا لقصاصين اسبان كقصص ثرفانطيس في كتابه الشهير ضون كيخوطي ذي لا مانشا ، ثم يبين لنا في فصل من فصول الكتاب كيف يجب ان تقص واين ، ومتى ، وفي هذا يستعرض الجو الذي يسود الناس ويصور لك حالتهم اثناء سرد القصة عليهم من طرف القصاص والجو الذي يخيم عليهم وتاثيرها في نفوسهم اثناء استماعهم لها ، والناس حول القصاص مشدوهين منصرفين اليه بقلوبهم وعقولهم وعيونهم شاخصة الى شفتيه وما ينبعث منهما من اخبار عن الجن والعفاريت ، وانباء عن شخصيات مغامرة وخوارقة للجن عجيبة ، ثم يبين لنا صاحب الكتاب في فصل آخر كيفية الدخول والخروج من القصة ، وعلى القصاص ان يختار الجمل المناسبة التي تترك السامع مشوقا وغير ممل ، ثم يذكر لنا من اين ياتي اصل القصة ومنبعه ومنشاه فيبين لنا ان مردها غالبا يعود الى حوادث واقعية يكون مصدرها احداثا سياسية وهو اغلبها – كما يقول – فقد يصبغون على شخصية ما او زعيم لموقعة حربية نوعا من البطولة فيجعلونه رمزا للقصة ، كما يكون ايضا مصدر القصة منسوبا لاشخاص يصبغ عليهم الجمهور صبغة الولاية ويكسونهم حلة القداسة فيكون مرد ذلك الى احوال سياسية او دينية يراد بها طمانة الجمهور من الناحية النفسية ، ويضرب لنا مثلا لذلك بقصة ابو عبد الله آخر ملوك غرناطة الذي غادر ملكه وكان اعتقاد الناس آنذاك انه سيعود ويسترد ملك اجداده معتمدا في ذلك المؤلف على كتاب ( برفينلك واشنطون ) « قصص الحمراء » الذي استقى ذلك من افواه اسر الغجر التي كانت تقطن ضواحي الحمراء عند جمعه معلومات لكتابه ، وكذا يعطي المؤلف مثلا لامثال هؤلاء الشخصيات بالمهدي المنتظر عند بعض مذاهب المسلمين ، وهذا الاعتقاد غير خاص بالمسلمين بل حتى النصارى كالبرتغاليين على سبيل التخصيص الذين كانوا يعتقدون ان سيبسطيان الهالك في معركة وادي المخازن لن يموت وانه قد اختفى وسيظهر من جديد لاعادة ملكه من المغتصبين الاسبان – وقد اشرنا الى هذا في بعض مقالاتنا على صفحات هذه المجلة – ثم يعطي المؤلف تحليلا شاملا ودقيقا لذلك من الناحية النفسية للاسبان حسب النواحي التي يعيش فيها والمحيط الاجتماعي الذي يكتنفه ويهيمن عليه والمستوى الثقافي الذي يصل اليه الى غير ذلك، ولا يمكن لنا ان نستعرض كل ما احتوى عليه الكتاب في هذا المقام ، وما قصدنا في هذا الا اعطاء للقارىء نبذة موجزة عنه لا لكونه يحتوي على قيمة علمية او يشتمل بحثا نادرا ، بل قيمته تكمن في كون مؤلفه استند في تاليفه هذا على اقوال ومصادر لعلماء مسلمين وفلاسفة عرب بعيدا كل البعد في عمله عن التعصب الديني والتزمت الفكري الذي عهدناه من قبل في مؤلفي وبحاث الغرب نحو كل من يمت بصلة الى علماء الاسلام ومفكري العرب الا من رحم ربك .

نكتفي بهذا القدر عن هذا المؤلف ، كما لا ادع الفرصة تمر دون ان اذكر ايضا انه وقع بيدي في هذه الايام على احدث ما اخرجته ايضا المطابع الاسبانية في مجال البحث التاريخي في حقل التراث العربي الاندلسي ، انه كتاب بعنوان : « الفن الاسلامي المدجن لمدينة تطيلة » TUDELA مؤلفه : باسيليو بافون مالدوناضو . انه كتاب صغير الحجم وان كان يفرق الاول، يحتوي على احدى وثمانين صفحة عدا بعض صفحات لصور اثرية اكتشفت حديثا ، المدينة ليست من المقاطعات الاندلسية ، وهي من اعمال سرقسطة .

ان هذا الكتاب يتحفنا مؤلفه بابحاث قيمة ومعلومات نادرة عن آثار العرب في هذه البلدة الصغيرة والتي يعدها المؤلف من المدن الاسلامية العريقة استنادا الى قول المستشرق الاسباني خايمي اوليفراسين ( حفيد المستشرق الذائع الصيت اسين بلاثيوس ) الذي يقول : ان هذه المدينة لم تكن شيئا يذكر قبل الاسلام الا ايام الحكم الاول عام 796 ميلادية الذي امر قائده عمروش عليها وقد ازدهرت في ايامه وكانت عاصمة مملكة بني قاسم الذي اتسع نفوذها في السنوات الاولى من النصف الثاني من القرن التاسع ، اما دائرة المعارف الاسبانية تقول : ان المدينة بناها الرومان بدليل اسمها فهو روماني الاصل .

ان المؤلف يروي لنا اشياء عن الفن وعن الآثار التي تركها المسلمون بهذه البلدة والتي استخرجت حديثا من العدم وهي تعطي للقارىء فكرة لما وصلت اليه الحضارة الاسلامية بالاندلس من السمو والذوق الرفيع بل خلفت لنا هذه الحضارة آثارا من صنع المسلمين لا في عصورهم الزاهرة بالاندلس فحسب، بل حتى في عصورهم المتاخرة والتي كانوا فيها في حالة اندحار ، ثم يتكلم المؤلف خاصة بتوسع عن الفن المعماري بهذه المدينة ويخص بالذكر فن النقش على الجبص والشكل الهندسي لاقواس مساجدها ، وانه رغم كونها لا تقع في مقاطعات اندلسية فهي متاثرة الى حد بعيد في هندسة بنائها وزخرفة اقواسها وجدرانها بالفن الاندلسي ، وقد ازدهر فيها الفن المعماري الاندلسي على الخصوص ايام المدجنين الذين هاجروا اليها من المقاطعات الاندلسية حيث كان ملوك النصارى الذين استردوا هذه المدينة يعتنون بالفن الاندلسي ويريدون تزيين به معابدهم النصرانية بهذه المدينة ، ثم يذكر المؤلف نظام المدينة من حيث التصميم الهندسي وتقسيم احيائها الى اسلامية ونصرانية ويهودية وكل واحدة لها طابعها وشكلها الخاص ، ثم ياتي بدلائل وبراهين تثبت ان هذه البلدة كانت تزخر بالمعابد الاسلامية التي اندثرت او طمست معالمها عمدا فاصبحت معابد نصرانية حتى صارت لا يعرف عنها شيئا من اسلاميتها ، فياتي لنا باحجار وقطع من جبص وجدت مطمورة تحت انقاض الكنائس وشكلها الهندسي وزخرفتها عربية اندلسية ويقارنها بنظيرتها في معابد اسلامية التي ما زالت قائمة وبادية للعيان كجامع قرطبة وقصر اشبيلية ليعطي بهذا الدليل على ان هذا المعبد المسيحي كان في الماضي ايام المسلمين مسجدا .

وافرد في آخر الكتاب اثنين وخمسين صفحة خاصة بالصور الاثرية من احجار منقوشة لاقواس وابنية اكتشفت حديثا على يد علماء الآثار بالاضافة الى صور اخرى داخل الكتاب مع تصميم لمدينة تطيلة وصورتها الاجمالية .

ان مؤلف الكتاب اعطى اهتماما بالغا لهذه المدينة التي كانت تعد قبل هذا من المدن العديمة الاهمية في تاريخ المسلمين باسبانيا . فاثبت ببحثه هذا العكس ، مدعما عمله : بحجج وبراهين لا تقبل الجدل .

نكتفي الآن بهذا القدر ، ولنا عودة الى الموضوع وخاصة حول ما اخرجته المطابع الاسبانية من ابحاث ومؤلفات تتناول ما اكتشف حديثا واضيف الى سجلات التاريخ العربي بالاندلس ، والله الموفق ، موا توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

**الرباط : محمد قشتيليو**



من قضاة الإسلام :

# كعب بن سور الأزدي

للدكتور فؤاد عبد المنعم

تطلب الخليفة العادل الحازم : عمر بن الخطاب فيمن يقيم امر الله بالفصل بين الناس ثلاث خصال : لا يصانع ، ولا يضارع ( اي يشبه فعله الرياء ) ولا يتبع المطامع . وقد استبان بالتجربة لعمر رضي الله عنه توافر هذه المواصفات في كعب فولاه قضاء البصرة ، وكانت احكام كعب من دليل صحتها لا يختلف فيها او عليها ، فكانت الشهادة التقديرية من عمر لكعب قوله : « نعم القاضي انت » .

**معالم حياته :**

هو كعب بن سور بن بكر الازدي من قبيلة من اهل اليمن ، لم تشر المصادر والمراجع التي بين ايدينا الى تاريخ ولادته وان اجتمعت ان وفاته كانت في موقعة الجمل سنة 36 هـ .

كان كعب مسيحيا في الجاهلية ، واعتنق الاسلام عن وعي وادراك واقتناع ؛ فكان من القلة الخيرة المؤمنة من اهل الكتاب الموصوفة من الله بقوله : « ليسوا سواء : من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات ، واولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ، والله عليم بالمتقين » . ( آل عمران : الآيات : 113 – 115 ) .

فقد آمن كعب ايمانا صادقا عميقا ، وكاملا شاملا وانضم الى الصف المسلم وقام بحراسة دين الاسلام .

لم يثبت رؤيته للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يرو عنه اي حديث ، وان عاصر كبار الصحابة ، وفقه آيات الاحكام والحديث . ويعد كعب من كبار التابعين .

مكث في القضاء اثنى عشر عاما فقد استقضاه عمر قاضيا على البصرة في سنة 13 هـ ، ولم يزل كعب قاضيا لعمر حتى استشهد عمر رضي الله عنه في عام 23 هـ ، وفي عام 29 هـ ولى عثمان بن عفان على البصرة عبد الله بن عامر فاعاد ابن عامر كعبا على القضاء ، فلم يزل حتى استشهد .

**كيف ولى عمر كعبا قضاء البصرة ؟ :**

يحدثنا الشعبي : ان كعب بن سور كان جالسا فجاءت امرأة فقالت : يا امير المؤمنين : ما رأيت رجلا قط افضل من زوجي انه ليبيت ليله قائما ، ويظل نهاره صائما في اليوم الحار ما يفطر ، فاستغفر لها واثنى عليها ، وقال : مثلك اثنى الخير ، وقال : واستحيت المرأة فقامت راجعة .

فقال كعب يا امير المؤمنين ، هلا اعديت للمراة على زوجها ان جاءتــك تستعديــك ؟ قال : او ذاك ارادات ؟ قال : نعم .

فردت ، فقال عمر : لا باس بالحق ان تقوليه ، ان هذا زعم انك جئت تشكين زوجك ، انــه يجتنــب فـــراشك .

قالت : اجل اني امراة شابة ، واني انتبع مــا يتبع النســاء .

فارسل الى زوجها فجاءه ، فقال لكعب : اقضي بينهما ، فانت فهمت من امرهما ما لم افهمــه . فقال كعب : امير المؤمنين احق ان يقضي بينهما ، فقال : عزمت عليك لتقضين بينهما .

قال : فاني ارى كانها امراة عليها ثلاث نسوة هي رابعتهن فاقضى له بثلاثة ايام ولياليهن يتعبد فيهــن ، ولها يوم وليلة ليس له فيها الا اداء الفريضــة ، فقال عمر : والله ما رايك الاول باعجب من الآخر ، اذهب فانت قاض على اهل البصــرة .

وفي رواية اخرى طريفة عن المدائني تتفق معها في المعنى وتتفرد بانها تصور حجج الخصوم وادلتهم بصياغة شعرية .. فالمراة التي اتت عمر بن الخطاب تثني على زوجها ، فقال له كعب بن سور انها تشكوه فقال عمر : اقض بينهما .

فتكلمت المراة فقالت :

يا ايها القاضي الحكيــم رشده
الهى خليلي عن فراشي مسجده

ولست في امر النساء احمــده
فاقض القضاء يا كعــب لا تردده

فقـــال الــزوج :

اني امرءا اذهلني ما قــد نــزل
في سورة النور وفي السبع الطول(1)

زهدني في فرشها وفي الحجــل
وفي كتاب الله تخويــف جلــل

فحثها في ذا عن حسن البعل

فقـــال كعـــب :

ان احق القاضيين من عقــــل
ثم قضى بالحق جهدا وفصــل

ان لها حقا عليـــك يا بعــــل
نصيبها من اربع لمن عــــدل

فاعطيها ذاك ودع عنك العلــل

**كعب يراجع عمر في قضائه في عين ماء :**

ذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى : ان صاحـــب عين أتى عمر ، وعنده كعب ابن سور ، فقـــال : يا امير المؤمنين ان لي عينا فاجعل لي خراج ما تسقـــي .

فقال : هو لك ، فقـــال كعـــب : يا اميـــر المؤمنين ليس ذاك له .

قال : ولم ؟ قال : لانه لا يفيض ماؤه عن ارضه فيسقي الناس ، ولو حبس مــاءه في ارضـــه لغرقت ، فلم ينتفع بمائه ولا بارضه ، فمـــره فليحبس ماءه عن ارض الناس ان كان صادقا .

فقال له عمر : اتستطيع ان تحبس ماءك ؟

قال : لا . قال عمر : هذه لكعب مع الاولى . وذلك لان موقف كعب تطبيقا لقاعده اسلاميـــة مكية هي : « الخراج بالضمـــان » ، ومعنـــى الخراج ، ما يخرج من الغلة والنتاج والمنفعــة ، ومعنى الضمان : ما يصرف من النفقـــات او يتحمل من الاضرار .

**تقيىء كعب الهدية لانها سحت ورشوة :**

حدث المدائني قال : قالت بنت كعب بن سور: الطفنا بعض الحي بلطف ( الهدية ) فدخل ابـي

(1) يروى ان ابن عباس قال ان السبع الطول هي سورة : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائــدة ، والانعام ، والاعراف ، والكهف ، وذكر السيـــوطي في الاتقان اولها البقرة وآخرها براءة .

فرآه فادیناه الیه ، فاكل ثم قال : من این هذا لكم ؟ فقالت له : اهداه لنا فلان فتقیاه ... لان الهدیة اذا دخلت بیت القاضي دفعت الى الطمع منه والشبهة فیه ، فقد كانت تعالیم عمـــر بن الخطاب الى عماله – من جــراء تجربتــــه ان الهدایا هي الرشا .

فقد روى لنا الشعبي ان رجلا كان یهدي الى عمر بن الخطاب كل عام رجل جزور ( صغیــــر الناقة ) خاصم الیه یوما ، فقـــال یـا امیــر المؤمنین : اقض بیننا قضاء فصلا كما یفصــل الرجل من سائر الجزور ، فشعر عمر بثقـــل هذا القول واثره على نفس القاضي الذي قـــد یحید به عن وجه الحق في الدعوى ، وقد قضى على الرجل لان الحق لم یكن معه . وكتب الى عماله : الا ان الهدایا هي الرشا فلا تقبلن مــن احد هدیة ، انه تطبیق حي من كعب لتعالیــم ولي الامر العام .

### من قضایـــاه واجتهـــاده :

اختصم الى كعب رجلان ، باع احدهما صاحبه ورقا على ان یقطع برشاه ، فجعل یاتیه بالادیم ( الة القطع ) فیقول له : اقطع لي من وسطـــه ورقة ودع باقیه ، فقال كعب : اما ان تقطعـــه كله او لا تفسده علیه ، والا فخذ دراهمـــك ، وذلك من كعب تطبیقا للمبدا الاسلامـــي : « لا ضرر ولا ضرار في الاسلام والضرر یـــزال » اساس نظریة التعسف في استعمال الحق في الفقـــه الاسلامـــي .

اشترى رجل من رجل ارضا فوجدها صخرة ، فاختصما الى كعب بن سور ، فقال كعـــب : ارایت لو وجدتها ذهبا ، اكنت تردها ؟ قال : لا قال فهي لك . لقد استدل كعـــب بن سور الى معیار الشخص العادي في تقدیـــر العیـــب المالوف ، وطبق قاعدة : العزم بالغنم ، یعني ان من ینال نفع شيء یتحمل ضرره .

حدث الرواة ان امراتین رقدتا ومع كل واحدة ولدها ، فانقلبت احداهما على احد الصبییـــن فقتلته واصبحتا وكل واحدة منهمـــا تدعـــي الباقیة فاختلفا الى كعب بن سور فبعث الـــى القافة فاوطوا .. ( القافة : من یقتفي الاثـــر ، اوطوا : الصقوا ) فالحق الشبه باحدى المراتین، فقال كعب : اني لست بسلیمان ابن داود ، ولم اجد شیئا افضل من اربعة مـــن المسلمیـــن شهودا . ان اجتهاد كعب في المسالة المعروضة علیه ، وكل من طرفیها مدع ومدع علیه في آن واحد ، والتجائه الى خیرة رجال الاثر والالصاق بالشبه مقرونة بتعددهم وعدالتهم لهو دلیـــل ظني مفضي في الغالب الى الیقین ، وما التحلیل الدموي للطفل والمنسوب الیها في العصـــر الحدیث من الوقوف على الفصائل الدمویة الا الحاق للشبه وبناء عن الظن القریب من الیقین ایضـــــا ..

### موقف كعب بن سور من الخارجین على الخلیفتین : عثمـــان وعلـــي :

بعث الخلیفة عثمان بن عفان رضي الله عنه الى كعب بن سور وذوي الشوكة والولاة في الامصار ان ینصروه ویحثوا الرعیة على طاعته ، بعـــد ظهور الفتنة والتفاف اهل الشغـــب بـــداره مطالبینه بان یخلع نفســه من الخلافة بمقولة ان عماله من اقاربه دون الكفاءة والامانة المسندة الیهم ویستبدون بالامر من دونه . وان كـــان الواقع ان وراء هذه القوى اید خفیة معادیـــة للاسلام دخلة بقصد الافساد والقضـــاء علـــى دولته ورجاله ، وكانت تبث سمومها ورسائلهـــا المزورة الى الامصار على لسان كبار الصحابـــة تدعوهم فیها الى الخروج على عثمـــان ، وفي مقدمة هؤلاء الیهودي عبد الله بن سبأ ، وكان الغرض ان یتكاثر الخارجین على عثمان وتزداد المطالبة بحقـــه .

وقد قام كعب بحق ولي الامر وحث اهـــل البصرة على نصرة الخلیفة عثمـــان وطاعتـــه ... ومضى كعب الى عثمان بناء على طلب الاخیر ، واكـــد له ان البصرة عامة والازد خاصة في طاعته ونصرته وذلك في سنة 35 هجریة ، ولكن الاحداث تصاعدت بعد ذلك وتمكن بعض رجال الشغب من اقتحـــام دار عثمان وقتله والمصحف في یده ، واصبحت البـــلاد وقد استشهد رئیسها والثوار واهل الشغـــب كادوا ان یملكوا الزمام في حاجة الى الامام الذي یدرك ان الحكم مسؤولیة وتضحیة ، وقد اتفق الجمیـــع في

الظاهر بما فيهم الثوار على بيعة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وان كان طلحة والزبير قد بايعاه كارهين لانهما طلبا منه ان ينصبهما في ولايات معينة وان يبدأ بالقصاص من قتلة عثمان ، ولم تكن الظروف لتسمح بذلك ، لذلك فقد مضى طلحة والزبير الى ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كان لها موقفا خاصا من ولاية الامام علي بن ابي طالب ، ومضوا جميعا الى البصرة مطالبين بثار عثمان او خلع الامام علي ، وقد بعث طلحة والزبير الى كعب بن سور برسالة بقصد استقطابه نصها : « اما بعد ، فانك قاضي عمر بن الخطاب ، وشيخ اهل البصرة ، وسيد اهل اليمن ، وقد كنت غضبت لعثمان من الاذى فاغضب له من القتل والسلام » . فاجابهما : « اما بعد ، فانا غضبنا لعثمان من الاذى والغير باللسان ، وجاء امر الغير فيه بالسيف ، فان يكن عثمان قتل ظالما فما لكما وله ، وان قتل مظلوما فغيركما اولى به ، وان كان امره اشكل على من شهده ، فهو على من غاب عنه اشكل » .

وقد كان موقف كعب في البداية الاعتزال عن الحرب ويحث الناس على ذلك في المساجد ويقول : ويلكم اطيعوني ، اطيعوا هذه النطفة ( الماء القليل ) وكونوا من ورائها ، وخلوا بين هذين الغاويين ، فو الله لا يظهر طائفة منهم الا احتاجوا اليكم ، فتصدى له صبرة بن شيمان سيد الازد وقال له : اسكت انما انت نصراني صاحب ناقوس وصليب وعصا ... فرجع كعب الى منزله في دار عمرو بن عوف فامر بزاده ليخرج من البصرة ، فبلغ الخبر ام المؤمنين عائشة وقيل لها : ان اتبعك كعب بن سور خرجت الازد كلها معكي ، فجاءت اليه على بعيرها ولم تزل تقنعه بان غايتها الاصلاح دون قتال حتى خرج معها وراية الازد معه ، ولما نشب القتال بين فريقها وفريق علي كان كعب ممسكا بزمام جملها « عسكر » فكلفته عائشة بقولها : خل يا كعب عن البعير ، وتقدم بكتاب الله عز وجل فادعهم اليه ودفعت اليه مصحفا ، فمضى يحث القوم على العمل بكتاب الله بيد ان سهما غرب فاصابه ، فكان اول مقتول بين يدي عائشة واهل الكوفة ..

وقيل انه اصيب مع كعب ثلاثة اخوة او اربعة فجاءت امهم فوجدتهم في القتلى فقالت :

ايا عين جودي بدمع سرب
على فتية من خيار العرب
فما ضرهم غير جبن النفوس
اى اميري قريش غلبا

ونختم مقالتنا بكلمة للامام علي بن ابي طالب وقد مر على اثر المعركة في القتلى فوجد كعبا بن سور وهو قتيل ، فقام عليه ( صلى عليه ) وقال : والله ما علمت ان كنت الا لصلبا في الحق ، قاضيا بالعدل ، واثنى عليه على ما ذكره وكيع في اخبار القضاة .




هذه قصة واقعية ..

لا فضل لي الا في نقلها الى القراء الاعزاء ..

وهي انذار الى كل اب و ام وفتاة في وضع نادية وسنها الفتية !

لم تكن نادية تدري انها تخطو اول خطوة داخل فم الوحش !

نادية في الرابعة عشرة من عمرها . جميلة كالوردة الندية ..

كانت قد استحمت في الليلة السابقة ، وجمعت ملابسها المفضلة في غفلة من امها المطلقة واخوتها ، ووضعتها داخل حقيبتها المدرسية القماشية .

وعلى باب غرفة المطعم القت نظرة وداع اخيرة على امها واخوتها ، وهم لاهون عنها بمائدة الفطور ، وخرجت ..

دق قلبها ، وهي تقفل باب الدار خلفها ، واحست بشحوب وجهها المفاجىء رغم انها لا تراه ..

قصدت محطة سيارات الاجرة ، وركبت احداها الى محطة الحافلات بشارع الحسن الثاني بمدينة الرباط . وهناك وجدت ليلى تنتظرها صحبة السعدية ومريم ..

ليلى في الثامنة عشرة ، ذات شعر فاحم طويل، وجلد خمري ، وعينين شهلاوين . وهي زعيمة الاربعة .. السعدية بيضاء مكتنزة قليلا ، تفرق شعرها الاوسط ، وهي في السادسة عشرة .. اما مريم ، فهي اطولهن ، رغم انها ما تزال في الخامسة عشرة ، وهي سمراء نحيفة القوام ، أنيقة دون تكليف ..

تصافحت الايدي ، وتلامست الخدود . وانتحت بهن ليلى ركنا قصيا ، وفتحت حقيبة يدها ، واخذت توزع عليهن تذاكر الحافلة الى (أكادير) .

ورغم ارتياح ليلى الظاهر لوصول الجميع في الميعاد ، فقد ظلت عيناها قلقين حذرتين مفتحتين من خلف النظارة السوداء على وجوه الناس من حولها واصواتهم ، وحركاتهم ، وكأنها تخشى ان ترى احدا يعرفها او تعرفه ، او كأنها تريد ان تراه قبل ان يراها ..

وانفتحت ابواب الحافلة الضخمة ، فدخل الاربعة ، وجلسن في صف واحد ..

نادية تسافر لاول مرة دون احد من عائلتها .. لم تسافر منذ ان طلق ابوها السي ( مسعود الميموني) امها ( حفصة ) منذ اربع سنوات ..

وتحركت الحافلة خارجة من المحطة نحو الطريق الجنوبي .. واشارت ليلى اليهن ان يخفين وجوههن بطريقة او باخرى عن عيون اهل المدينة .. فقد تراهن تلميذة من مدرستهن او احد من عائلاتهن في الحافلة وينكشف امرهن ..

اما نادية فكانت مطمئنة من ان يراها احد — جميع اخوتها واخواتها في مدارسهم الآن — امها موظفة — وابوها لا تراه الا مرة او مرتين في الشهر ، حين يأتي لالقاء نظرة خاطفة عليهن بدافع من الواجب الذي ما يزال يشعر به نحو أطفاله من زوجته القديمة — هو الآن متزوج بفتاة في نصف عمره وهو فوق الستين ، وقد بدأ معها عائلة جديدة . وولدت له طفلين .

نادية لم تحسب حساب عمها محمد الذي جاء من القنيطرة لقضاء حاجة في الرباط . كان يخرج حقيبته من صندوق سيارة الاجرة ، حين مرت الحافلة امامه ، فراى وجه نادية بوضوح دون ان تراه ..

وخرجت الحافلة من حواجز اضواء المدينة الحمراء ، وانطلقت بحمولتها البشرية نحو الدار البيضاء .

كانت ليلى في وسط الصف توزع بين زميلاتها الابتسامات ، وقطع الحلوى والعلك ، والاحاديث المسلية عما ينتظرهن في ( اكادير ) من اعمال في مكاتب احدى الشركات العصرية المصدرة للاسماك المعلبة الى الخارج .. سيعشن معا في شقة واسعة مفروشة حيث سيكون لكل منهن غرفة مستقلة .. وسيستاجرن خادمة تقوم عنهن باعمال البيت كلها ، وسيفيض من اجورهن ما يشترين به ما يليق بمقامهن من ملابس وحلي ، وما يدخرنه للسفر الى الخارج اذا اردن .

ستكون حياتهن السعادة بعينها . وسيعشن معا ، ولن يفترقن ابدا ، ابدا حتى يفرقهن الزواج او الموت !

وطالت الطريق ..

وعلا صوت المحرك الرتيب على اصوات البنات العصفورية الشابة حتى اسكتها .

ومالت نادية براسها الى الوراء واغمضت عينيها ، فقفز الى مخيلتها وضعها الراهن الغامض ، ومصيرها المجهول .. واستعرضت أوجه زميلاتها وجها وجها فادركت انها ، في الحقيقة ، لا تعرفهن ..

وعادت بذاكرتها الى المراحل التي انتهت بها الى ما اقدمت عليه من هروب من المدرسة اولا ، ثم من الدار والمدينة في النهاية .

كانت مريم هي حلقة الوصل بينها وبين البنات. كانت تكبرها بسنة . لحقت بها نادية في القسم قبل سنتين . وقعدت مريم أولا الى جانبها وخرجن بعد الدرس معا الى ساحة المدرسة . وهناك تبادلن الحديث عن عائلاتهن ، فعلمت نادية أن مريم ، مثلها ، بلا اب .. وان امها مطلقة وموظفة ، فكان ذلك السبب في التقارب بينهما ..

وعرفتها مريم على السعدية اولا ، ثم على ليلى .. وتطورت العلاقة بين الاربعة حتى صرن لا يفترقن .

وتزعمت الجماعة ليلى لكبر سنها وسعة تجربتها الاجتماعية . فقد كان حديثها لا يشبع ، ومعارفها من الجنسين كثيرين .

وتذكرت نادية اليوم الذي حكت لها مريم عن سهرة في منزل عمة ليلى ، وعن الفيلم العربي المطول الذي رأوه على الفيديو ، وعن اولاد عمة ليلى المؤدبين المحببين ، فاحست نادية بالغيرة من زميلتها ، وتمنت علانية لو استطاعت الحضور معهم . ووعدتها مريم بأن تطلب ذلك من ليلى وتتوسل اليها، فسن نادية لا يسمح لها بالسهر مع الشباب ، ثم ان والدتها قد لا توافق على ذلك .

ولكن نادية توسلت اليها وقالت لها انها تكاد تبلغ الثالثة عشر — وجسمها اكبر في الحقيقة من

سنها . اما والدتها فلا تعود من عملها الى البيت الا بعد السابعة مساء ، وسهرات دار عمة ليلى نهارية . .

وفعلا وافقت ليلى ، وذهبت نادية ، وهي فـي الثانية عشرة الى بيت عمة ليلى . . وكان البيت يعج بخليط من الذكور والاناث – ولم تفهم نادية الصغيرة شيئا مما كان يروج حولها ، فقد كانت بريئة عديمـة التجربة ، تقبل كل شيء على انه واقع الحياة . .

في نفس الفترة كانت تقاتل نفسيا على شتـى الجبهات ـــ كانت تشعر بتغيرات سريعة تطرأ على جسدها الغض ، ومعها تحولات في انفعالاتها الداخلية . . لم تكن تدري ، ولم يهتم احد ان يشرح لها انهـا تمر بمرحلة المراهقة ، وبانها تتحول من طفلـة الى امـراة . .

وفي البيت كانت تحاول عبثا ان تفهـم لمـاذا تركهم ابوها ، وهم ستة ، وتزوج امراة اخـرى في سن اختها الكبيرة ؟

لماذا ترك امها وهي التي كانت تحبه ولا ترفض لـه امـرا . .

كانت نادية تنظر ابيهما على انهما جبلان عاليان لا يمكن ان يتزعزعا او يفترقا او ينحسر عنهم ظـل احدهمـا !

وكانت تتعرض لتساؤلات اختها الصغرى عـن غياب ابيهما الطويل . . وتحس افتقار الصبيـة الى حنان الاب الذي طالما حملها بين ذراعيه ورفعها في الهواء ، وضمها الى صدره ، وذغذغها واضحكهـا ، وفاجاها بالهدايا ، وقطع الحلوى واللعب . .

اين ذهب كل ذلك ؟

لمـاذا ذهـب ؟

هل يتغير الناس بهذه الطريقة ، وفجاة ؟

وحتى الآباء والامهات ؟

ماذا لو تغيرت امهـم ؟

ماذا لو اختفت هي الاخرى او ذهبت مع رجل آخر ؟ ماذا سيكون مصيرهم ؟

كانت نادية تضم اختها الصغيرة اليها ، وتحاول تسليتها بقدر ما تستطيع .

ولكن ما كان ابعدها ، وهي الطفلة الصغيـرة ، عن تمثيل دور الام ، وما كان احوجها هي الاخرى الى حنان امها ، والاحساس بالامن الذي يشبعه وجـود الوالد الدائم بالبيت !

لذلك كانت اسئلة الاخت الصغيرة البريئـة تمزقها من الداخل . . كانت تتردد في اعماقها مـدة طويلة بعد ان تنام الاخت الصغيرة على صدرها . .

وكان اخوها الاكبر الذي كان يمكن ان يعوضها عن والدها قد هاجر الى الخارج للعمل . وكذلـك اختها الكبرى التي تزوجت من عامل بالخارج ، والتي كان يمكن ان تملأ الدار في غياب الام الموظفة . فقد كانت هذه تعود الى المنزل مرهقة ، ضيقة الصدر ، غير قادرة على القيام بدور الام الرؤوم في البحث في شؤون صغارها ومراقبة احوالهم الشخصية وواجباتهم المدرسيـة .

وجاءت مريم ، زميلتها التي قدمتها الى ليلـى الجميلة الناعمة الكلمات ، لتخرجاها مـن عالمهـا القاتم العابر بالحيرة ، والقلق ، والغضب الصامـت ضد نحس الطالع . .

واحست نادية بسعادة عارمـة في العالـم الجديد الذي ادخلتها اليه ليلى ، وشعـرت نحوهـا بعاطفة الاخت الصغرى نحو اختها الكبرى الحنون . .

ومرت الايام ، والاسابيع والشهور ونادية غارقة في ملذات المجتمع الجديد ، والعائلة الجديدة التي تبنتها . . وطالت فترات غيابها عن المدرسة ، حتى امتدت الى اسابيع متواصلة ، وامهـا لا تعلـم لان المدرسة الثانوية الكبيرة لا ترى من واجبها اخبـار الوالدين بتغيب ابنائهم . بل ان هناك قانونا داخليـا يحـرم ذلك !

وجاءت امتحانات نهاية السنة ، فكانت نتائج نادية مخجلة للغاية ..

واخفت ذلك عن امها التي اكتفت بسؤالها مرة سؤالا عابرا ، ولم تنتظر لتسمع الجواب عنه .

اما ابوها فلم يكن وقت زياراته القليلة والقصيرة لهم يسمح له بالسؤال عن مثل هذا الموضوع الثانوي ، بله الذهاب الى المدرسة للتحدث مع معلمي ابنائه .. كان مشغولا عن داره القديمة بالدار الجديدة ، والعروس الشابة ، والاطفال الجدد الذين جددوا شبابه ، وانسوه الماضي بكل ما فيه ..

ومرت السنة الثانية بيضاء ناصعة .. بل وانصع من سابقتها . فقد كان ما تبقى من حرص نادية على الذهاب الى المدرسة قد تبخر تماما باهمال ابويها من جهة ، وتعدد جلسات الانس في دار عمة ليلى ، واشرطة الفيديو التي كانت تزداد كل يوم غرابة وجراة !

* * *

وكما كان متوقعا فقد سقطت نادية في امتحان اخر السنة ، مرة اخرى ، وطردت من المدرسة ..

وتركتها ليلى ، ومريم ، وبقية الفتيات ، يوما كاملا احست فيه نادية بذعر شديد واسودت الدنيا في عينيها — فلا بد ان امها وابها سيعلمان بسقوطها فماذا سيكون مصيرها — .

وبدات تفكر في وسائل الخلاص من ورطتها ، فلا تجد ..

وقبل ان يدفعها الخوف الى تصرف احمق جاء الانقاذ من ليلى .. الاخت الكبرى الحنون — جمعت البنات الثلاث وخاطبتهم بصراحة .. عاتبتهن اولا على سقوطهن كانها لم يكن لها فيه يد على الاطلاق .. قالت انها كانت تظن انهن يتابعن دراستهن ليلا بعد جلسات الفيديو ، والسهرات النهارية !

ولكن . !

والآن ؟ ما العمل )

وفكرت ليلى قليلا ثم قالت :

— الحل الوحيد في نظري هو ترك البلد ..

وجاء سؤال البنات الثلاث ، ثلاث شهقات ، وثلاث ضربات على الصدور .. ثم :

— ماذا ؟ والى اين ؟ وماذا سنفعل ؟

وتدخلت ليلى :

— دعوا لي تدبير ذلك — ساجد لنا عملا في شركة اعرف مديرها في اكادير — .

وسالت السعدية :

— واذا بحثوا عنا ؟

— لن يعثروا علينا !

— كيف ؟

— سنغير هوياتنا .

— كيف ؟

— سنغير بطائق المدرسة ، ونتسمى باسماء اخرى ، حتى اذا بحثوا عنا لن يعثروا لنا على اثر !

— وكيف سنغير البطائق ؟

— دعوا ذلك لي .. انا اعرف احدا بادارة المدرسة سيقدم لي هذه الخدمة مقابل هدية !

* * *

ولم يمض يومان حتى كان البنات الثلاث على متن الحافلة المتوجهة جنوبا نحو اكادير ..

وفي الرباط لقي محمد الميموني اخاه السي مسعود ، والد نادية ، صدفة ، وهو ذاهب لقضاء مصلحة . تصافح الرجلان ، وسال كل منهما الاخر عن احوال عائلته .. وقبل ان يفترقا تذكر محمد انه راى نادية في الحافلة فعلق لاخيه :

— نادية ، ذهبت في رحلة مدرسية ؟

— لا .. لماذا تسأل ؟
— رأيتها في الحافلة الذاهبة الى اكادير .

— اكــاديــر ؟

وبانت الدهشة على وجه السي مسعــود .. فسال اخـــوه :

— الم تخبرك بسفرهـــا ؟

— كـــلا !

— وهل انت متاكد من انها نادية ؟
— وهل تخفى على نادية ؟

— نادية لا يمكن ان تسافر دون علمي !

واستسمح اخاه ليذهب الى مقر عمل زوجته السابقة ( حفصة ) ليستفسرها عن الخبر — ولكن اخاه اصر على مرافقته ليطمئن على الفتاة التي كان يعطف عليها كثيرا —

وفوجئت ( حفصة ) بالخبر ، وكادت تفقد اعصابها ، وتصرخ في وجه زوجها السابق وتحمله مسؤولية اهمال ابنته — ولكن محمدا تدخل :

— المهم الآن هو ارجاع البنت قبل فوات الاوان ..

وتوجهت اليه المراة متوسلة :

— كيف ؟ وماذا ستفعل ؟

وفكر محمد قليلا ثم قال :

— لنا اخ في مكتب شرطة اكادير .. هـــل عندك تلفـــون ؟

— نعـــم — تفضـــل —

ومن مكتبها طلـــب محمد اخـــاه مفضـــلا في قسم الشرطة باكادير ، فلم يجده ، وطلـــب عميـــد القسم فوجده ، واخبره بوجود نادية على الحافلـــة .

وطمانه العميد الى انه سيقوم بالواجب . وطلب منه رقم تلفونه ليتصل به في حالة العثور عليها .

— وهل انت متاكد من انها نادية ؟

* * *

وفي مكتب عميد الشرطة باكادير وقف مفضل، عم نادية ، يستمع الى خطة العميد :

— اذا لم تكن نادية آتية اليك ، فاني اريد أن اعرف الى اين جاءت .. وهل هي وحدها ام مع احد .. اعني كل شيء عن هذه المغامرة الصغيرة .

واقتبس مفضل تعبير رئيسه الخاص بهـــذه الحـــالات :

— تريد الشجرة بجذورها !

— تمـامـــــا ..

وهم مفضل بالخروج ، فاستدرك العميد :

— اخبرني حال عثورك عليها حتى اطمئـــن اخـــــاك .

* * *

وفي محطة الحافلات باكادير نزل البنات الاربع مرهقات من طول الطريق وقد تخدرت اطرافهـــن .. وقادتهن ليلى الى محطة سيارات الاجـــرة حيـــث انطلقت بهن سيارة الى عمارة قرب الميناء ، مواجهة للبحـــــــر .

ووقفت سيارة بالية على مسافة مـــن العمارة ، وبداخلها ثلاثة رجال يتقدمهم مفضل بنظارة سوداء . رفع سماعة الراديو ، ونادى العميد .

وصعدت الفتيات الى شقة في الطابق الرابـــع والاخير في صمت .. فقد كن متعبات من جهـــة ، وكانت ليلى تحضهن على الهدوء من جهة اخرى ..

وفتحت لهن الباب فتاة في سن ليلى ، لمعت عيناها سرورا حين رأتهن ، وكأنها كانت تعرفهن ..

وقدمتها ليلى لهن على انها صديقتها القديمة « فوزية » ، وانها موظفة في شركة التصدير منذ مدة، وانها هي التي شجعتها على القدوم الى اكادير حين علمت بان الشركة تبحث عن موظفات متعلمات !

ورحبت فوزية بهن بحرارة قائلة :

— سيكون هذا مقر لكن حتى تجدن شقة تناسبكن ..

واخذتهن الى غرفة مفروشة بالفراش المغربي ، وجالت بهن على مصالح الشقة من حمام ، ومطبخ ، وتركتهن ليغتسلن ويسترحن ، وذهبت هي وليلى الى المطبخ لاعداد العشاء والحديث بصوت خفيض ..

ودق جرس الباب ، والبنات حول مائدة العشاء، فطمأنتهن فوزية الى ان القادم خطيبها عبد الجليل .. وفتحت الباب فدخل شاب في الثلاثينيات ، وسيم طويل وذو جسم رياضي ، يلبس ملابس البحارة ..

— خطيبي عبد الجليل .. يعمل قائد قارب بخاري تجر السفن الكبيرة بالمرسى .

وسلم على ليلى بقبلة على خدها ، وصافح الفتيات الثلاث ، وجلس معهن على المائدة ، وتناول تفاحة اخذ يلعب بها بين يديه الكبيرتين ، ويتحدث عن عمله ، وعن البحر ..

واعجبت نادية وزميلاتها بخفة روح الشاب ولطفه ، واحسسن بالاطمئنان اليه في الحال ..

وحكت ليلى لصديقاتها عن نزهة بحرية اخذهما فيها عبد الجليل هي وفوزية رأت فيها ميناء اكادير ، ومشهد المدينة ، والمرتفعات المحيطة بها من ناحية البحر :

— كان مشهدا باهرا .. وخصوصا في المساء حين اشرفت الشمس على الغروب ، ولونت المباني البيضاء ، وصفحة الماء ، وجوانب البواخر الضخمة الراسية بالوانها الذهبية والبنفسجية والقرمزية الداكنة ..

ووضعت يدها الطويلة الاصابع على ركبة عبد الجليل ، وسالت بدلال :

— متى تاخذنا في نزهة اخرى ، يا عبدو ..؟!

فرفع ذراعيه الطويلتين متظاهرا بالاحتجاج :

— آه — المركب ليس لي — انه ملك الدولة، تستعمله في جر السفن وتموينها ، وليس في تنزيه البنت وقت الاصيل !

فوقفت ليلى تستعطفه ، ومدت يديها ممسكة بوجهه تقبل جبينه :

— عافى سيدي .. الله يرضي عليك .. ليس من اجلنا نحن ، ولكن من اجل البنات اللواتي نزلن ضيفات عليكم في اكادير .. اين ضيافة اهل سوس ؟

ولم تتركه حتى وافق على ان تكون النزهة بعد غد الاحد ، حيث يتغيب رئيسه عن الميناء بعد الظهر ..

وهتفت ليلى فرحا ، وقبلته مرة اخرى ، واضاف هو :

— واذا كان لنا حظ فسترين باخرة من البواخر الضخمة الراسية في الميناء .

وشهقت ليلى حبورا :

— حقا ؟

— هناك باخرة تسمى « هونغ كونغ » تعرفت على ربانها في آخر مرة رست فيها هنا لتتزود بالماء والمؤونة . اذا كان هو ربانها اليوم فسياذن لنا بزيارتها .

وفرحت البنات ، وسرى اللغط بينهن .. اما فوزية فابتسمت في هدوء .

دخلت سيارة عبد الجليل المرسيديس الكبيرة ميناء الصيد في ظهر ذلك الاحد الهادىء دون ان تثير انتباه احد .. وتوقفت وراء احد مباني المرفا الخشبية ، ونزل منها البنات الاربع ، واقفل عبد الجليل باب السيارة وقاد الفتيات الى حيث يرسو قاربه البخاري في منطقة بعيدة عن مراكب الصيد الصغيرة .

ووقفت الجماعة تنظر اليه وعبد الجليل يمسح بعينين قلقتين المكان وكانه يتوقع ان يرى شيئا لا يعجبه ..

وحين تاكد من خلو المكان وقف على حافة الرصيف وخطا خطوة واسعة الى داخل القارب ، ووقف يمد يده الى البنات يساعدهن واحدة واحدة على النزول ..

وحين نزل الجميع قادهن الى غرفة القيادة حيث اجلسهن ، وطلب منهن عدم الظهور او الاكتفاء بالتفرج من الداخل حتى يبتعد القارب عن عيون الفضوليين ..

وكان البحر هادئا فانطلق القارب يشق صفحته الفضية بنعومة متوجها الى داخل المحيط .

ولاحت سفينة عظيمة امامهم فقال عبد الجليل :

— ها هي الـ « هونغ كونغ » !

ارجو ان يكون ربانها هو ( مارتينيز ) .. سيكون منظر المدينة وضواحيها من فوقها اجمل بكثير مما تظهر لنا من هنا ..

وبعد ما يقرب من نصف ساعة من الابحار اقتربت الباخرة جدا فبدت للبنات اضخم كثيرا مما توقعن .

ودار عبد الجليل حولها بقاربه حتى احتجبت عنهم المدينة بذلك الحائط الفولاذي الشاهق . قال عبد الجليل :

— هذه ناحية السلم ..

واخرج بوقا يدويا ، وخرج من الغرفة ، وصاح بداخله :

— كابتان مارتينيز !

وبعد بضع دقائق ، وعدد من الصيحات بالبوق اطل رجل بملابس قبطان البحر ، ولوح بيده لعبد الجليل ، فلوح هذا مجيبا بالاسبانية :

— كيف حالك ؟

— انا بخير .. اصعد !

— معي ضيوف .

— ليصعدوا معك .. مرحبا بهم ..

واقترب عبد الجليل بالقارب من السلم النازل بشكل مائل على جانب الباخرة ، ورمى بالحبل لبحار نزل لمساعدته ، وقال للفتيات :

— امسكن بيد البحار اولا ثم اصعدن الى مصطبة السلم ..

ووقف هو يشرف على عمليات انتقالهن حتى صعدن ، ونزل البحار الى القارب لحراسته حتى يعودوا .

وعلى سطح الباخرة قابلهم الربان ( مارتينيز ) بابتسامة مضيئة وحياهن نازعا قبعته البيضاء الناصعة، كاشفا عن شعر اشقر لماع ، وعبد الجليل يقدمهن اليه ، كل واحدة باسمها المستعار .

قال الربان :

— جئتم في الوقت المناسب ، وقت شاي المساء ...

ونظر الى ساعته ثم اضاف :

— سنشرب الشاي والكعك على السطح الاعلى لنستمتع بمنظر المدينة قبل ان تغرب الشمس .. وبعد ذلك نقوم بجولتنا ..

وصعدت الجماعة الى حيث كانت مائدة كبيرة مستديرة على راسها بحار غارق في البياض يهيىء الشاي ، فساعد الفتيات على الجلوس ، واخذ يصب لهـن الشاي ..

وسال الربان الفتيات :

ـــ اهذه اول مرة تركبن فيها باخرة كبيرة ؟ فكان الجواب واحدا بالايجاب ..

فاضـــاف :

ـــ في هذه الحالة لي نصيحة .. وهـي ان تتناولن اقراص منع دوار البحر قبل القيام بالجولة .. فالدوار يفسد متعة النزهة البحرية ..

واخرج من جيبــه حقا فضيــا واداره على الفتيات فتناولن منه حبات بيضاء شربنها بالشاي . واحتفظت ليلى وفوزية بالحبتين في يديهما حتـى اودعاهما في حقيبتي يديهما .

ولم تمض دقائق حتى احست الفتيات الثلاث بنوم لذيذ وثقيل جدا يسبل اجفانهن ويرخي ابدانهن على الكراسي المريحة تحت سماء زرقــاء وهـــواء نـاعـــم ..

وجاء ثلاثة بحارة اقوياء فاخذ كل واحد منهـم واحدة على كتفه ونزل بها غرفـــة بها ثلاثـــة اسرة وضعوهن فوقها واقفلوا الباب الثقيل ، وصعدوا ..

وسلم الربان مارتينز لعبد الجليل حقيبة جلـد فتحها هذا ونظر الى رزم العملة الدولية بداخلهــا وسال دون الحاح :

ـــ المبلـــغ كامـــل . ؟

ـــ لا حاجة بك الى عده !

ومد يده اليه مصافحا ثم الى الفتاتين ، وقال :

ـــ اخبرني بالشحنة القادمة .

ـــ قـريبـــا ..

ونزل الثلاثة الى القارب ، وابتعدوا عن الباخرة التي اخذت تستعد للاقلاع ..

* * *

ولم يكد يدور حولها ليواجه المدينة حتى بدت له عدة ضافرات لحرس الشواطىء المغربية بمدافعهم موجهة نحو الباخرة ، وهم يحيطون بها احاطة كـلاب الصيد بوحش كبير ..

وبدات الابواق ترسل نداءاتها محذرة الربان من القيام باية حركة غير عادية ..

وصعد عدد من الجنود البحريين ببنادقهم على ظهر الباخرة حيث اخرجوا جميـــع البحـارة الى السطح ،وانتشروا داخلها يبحثـــون عن الشحنـــة المشبوهة ..

ومن بين فرقة التفتيش كانت طبيبة الميـنـــاء التي انعشت الفتيات الثلاث وفحصتهن بدقة ، ثـم اذنت لهن في النزول الى البر .

* * *

وحجزت الشرطة الباخرة ومن عليهـا رهـــن التحقيـــــق ..

وتبين من استنطاق الربان واصحابه منفردين انهم طرف من شبكة دولية للمتاجـــرة في الرقيـــق الابيض ـ وان هذه ليست اول شحنة خرجت مـــن المغرب ، وان منطقة التجميع والتوزيع لهؤلاء الضحايا المساكين هي جزر الكنار .

وهكذا اتصل الامن المغربي بالامن الاسبانـــي واستطاع الطرفان ان يضعا اليد على راس العصابة . وبدات عملية تتبع المتاهات ، والاركان المظلمة التي انتهت اليها تلك الضحايا البريئة ، ضحايا الاوضاع الاجتماعية الماساوية ، وتغرير المجرمين والمجرمات بالفتيات الصغيرات ليطعمن باجسادهن وحش سوق الرقيق الابيض الذي لا يرحم .

* * *

ووجدت نادية امها واباها وعميها ينتظرون على الرصيف .. واحتضنتها امها وبكت بحـــرارة .. وضمها ابوها الى صدره وانتحب معها .. لم يكـن يبكي ضياع نادية ، ووصولها الى الحضيض الـــذي وصلت اليه ، بل كان يبكي قلبه الـــذي مـــات .. قتلته الشهوة الفاتكة حين دفعته الى تطليق زوجتـه الاولى ، وهجر اطفاله الستة ، وترك سفينتهـم الى مصيرها المجهول ..



909 - 897

للأستاذ عبد القادر زمامة

897 — فكلمه بلغتهم ... !

وجدت في رحلة ابي العباس الناصري ج 1 ص 120 عند كلامه على شيخه ابي الحسن ازعتري في القاهرة . الذي سبق له ان قرا كتابين على والد ابي العباس الناصري عند مروره بالقاهرة في حجة سنة 1076 هـ :

« واخبرني انه يوم ختم احد الكتابين عليه ، اراد ان يقول له : يا سيدي التحقيق انقطع بهذه المدينة ، واطلب منك ان تجاور عاما ليستفيدوا الناس منك ... ! قال : فجاءه انسان فكلمه بلغتهم ... ! فقلت في نفسي : ان فرغ هذا من كلامه اكلمه بما في نفسي . فلما فرغ المتكلم واردت ان اتكلم ، بادرني الشيخ بقوله : « ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها » .

فسكت ، ولم ازد شيئا ... !!! »

898 — كتاب الكفاية والغناء — في احكام الغناء —

وجدت في كتاب تخريج الدلالات السمعية لابي الحسن الخزاعي ص 774 ط. القاهرة 1980 م عند كلامه على الدف : « وقال محمد بن عمر بن محمد السبتي المعروف بالدراج في كتابه الذي سماه : ( بالكفاية والغناء في احكام الغناء ) ويسميه الناس : ( الطار ) ... !

وانشد لابن حمديس الصقلي :

وراقصة لقطت رجلها
حساب يد نقرت طارها

قلت : وهو المستعمل الآن عند المغنين في الاعراس في عصرنا هذا وفيه قطع من الصفر مستديرة مركبة في جوانب مجاورة يسمع لها عند تحريكه وقرع بعضها بعضا تصويت وجلجلة ... » .

899 — اسكور ... !

وجدت في بعض المقيدات ان الفندق المعروف بمدينة سلا باسم اسكور ، كان في الاصل مدرسة اسسها السلطان ابو عنان المريني ، ويقال انها كانت مخصصة لدراسة فنون الطب والعلاج ... !

900 — ابو عنان يفتدي طرابلس ... !

وجدت في رحلة العياشي ج 1 ص 66 عند حديثه عن مدينة طرابلس ...

« ... ان البلد قد تداولته ايدي المسلمين والنصاري مرارا عديدة .. ! فقد ذكر ابن بطوطة في رحلته ، ان النصاري استولوا عليها في ايام السلطان

ابي عنان وافتداها منهم بخمسة قناطير من الذهب العين فحد ذلك من مآثره ... !!!! »

901 — اهـل المغرب يسمون ... !

وجدت في كتاب : ( الغيـث المجسم في شرح لامية العجم ) ج 2 ص 245 ط بيروت 1975 م :

« ... واهل المغرب يسمون زحل : المقاتل ، والمريخ : الاحمر ، وعطارد : الكاتب ... ! » .

902 — من شعر ابن الاحمر ... !

وجدت في كتاب : ( الغيث المجسم في شرح لامية العجم ) ج 2 ص 369 . ط. بيروت .

« وانشدني من لفظه الشيخ الامام العلامة اثير الدين ابو حيان الاندلسي ، للسلطان ابي عبـد الله محمد بن يوسف يعرف بابن الاحمر ملك الاندلس ... قال : رايته مرارا بغرناطة وانشدته شعرا . وحضرت عنده انشاد الشعـر . وكان رجلا جميـلا حسن السياسة متظاهرا بالدين ... !

ايا ربة القرط التي (حسنت هتكي)
على اي حال كنت لا بد لـي منـك

فاما بذل وهو اليـق بالهـوى
واما بعز وهو اليـق بالملـك »

903 — لـو عرفنـاك ... !

وجدت في كتاب يتيمة الدهـر للثعالبـي ج 1 ص 294 :

« وقال : وسمعت الشيخ الامام ابـا الطيـب يحكي ان المرواني صاحب الاندلس كتب اليه صاحب مصر كتابا يسبه ويهجوه فيه . فكتب اليه : اما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ... ! ولو عرفناك لاجبناك .. ! والسلام .. »

904 — من عادات المقري في الافتاء

وجدت في رحلة العياشي ج 1 ص 23 :

« فقد ذكر لي بعض مشايخنا ان سيدي احمد المقري لما ولي الفتوى بفاس كان لا يجيب في نازلة قد تقدم له جواب عنها بما يخالف مقتضـى السؤال الثاني ويقول : ان ذلك مما يوجب الطعن في المفتـي عند كثير من الناس . فربما يقذف من اجـل ذلـك بالسنة الذم ... ! ويلحف برداء الحيف ... !!! » .

905 — وقـد اعطينـاك الخيـار ... !

وجدت في رحلة العياشي ج 2 ص 252 نقلا عن رحلة ابن رشد السبتي :

« اراد ابو الحسن الرعيني سفرا فشيعه الوزير ابو الحسن سهل بن مالك ، فمر معـه على بعـض حدائقه فقدم له خيارا ... فلما اراد القيام قال له :

— الم تسمع قول الشاعر :

ولو نعطي الخيار لما تفرقنـا
ولكن لا خيـار مع الزمـان

وقد اعطيناك الخيـار .... !!!!! »

906 — الشيء بالشيء يذكـر ... !

وجدت صلاح الدين الصفـدي في الغيث المسجم في شرح لاميـة العجـم ج 1 ص 12 ط. بيـروت 1975 م . يقـول :

« وما اليق هذا المقام . بقول ابن عميرة لمـا جعل البرق سميره :

تعرض مجتازا وكان مذكـرا
بعهد اللوى .. والشي بالشيء يذكر »

907 — يا زيـرورة ... !

وجدت في رحلة العياشي ج 1 ص 44 :

« ... وفي اليوم الرابع جئنا الى ماء يقال له : زيرارة ... ! وهي بير طويل جدا متوحد في بسيط من الارض بين جبلين . احدهما من رمل ... وماؤها

حلو جدا .. وفيه يقول اعراب ذلك البلد : ما احلى ماءك وما ابعده يا زبررة ... !!! »

**908 — وصف العياشي للكعبة ... !**

وجدت في رحلة العياشي ج 1 ص 191 :

« وشاهدنا البيت العتيق الذي تزيح انواره كل ظلام . وقد تدلت استاره واشرقت انواره . وقد شمر البرقع عن اسافله حتى لا يكاد الطائف يناله بانامله ، يفعلون ذلك به من اول ما تقدم الوفود ، ولا يطلقون الاستار حتى تعود ، وقد قلت في هذا المعنى، وابديت فيه تشبيها غريب المبنى :

فكأنه لما بدا متشمرا
والطائفون به جميعا احدقوا

ملك همام ناهض للقاء من
قد زاره . وله اليه تشوق

فبادر الغلمان رفع ذيوله
حتى اذا رجعوا جميعا اطلقوا»

**909 — طاق . طاق ... !!**

وجدت في كتاب ( الرحلة العياشية ) ج 1 ص : 58 :

« ثم ارتحلنا غدا . وعادت الابل الى عادتها الامسية من النفور حتى كانها ليست من الانعام الانسية ، وكان المحل كثير العشب بين الشجر البرواق . فاذا مشت الابل فيه لا تسمع الا طاق .. طاق ... »

**فاس : عبد القادر زمامة**

في كلمة السيد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية
في حفل تأبين العلامة عبد الله الجراري :

# ● فقدنا في المرحوم عبد الله الجراري العالم الكفء والمفكر المسؤول والكاتب القدير والداعية الملتزم.

**●● اقام المجلس العلمي للعدوتين حفل تابين للعلامة المرحوم الاستاذ عبد الله الجراري حضره علماء المملكة واساتذة الجامعات وجمهور كبير من المثقفين ومحبي الفقيد العزيز . وقد القيت بالمناسبة عدة كلمات وقصائد ابرزت خصال الفقيد وسجاياه ومواقفه في الدفاع عن الاسلام واللغة العربية و المقدسات الوطنية . وكان في مقدمة الكلمات الكلمة التالية للسيد الهاشمي الفلالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ●●**

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات السادة الكرام :

يعز علي ان اقف امامكم اليوم مؤبنا اخا عزيزا وزميلا كريما عرفه المغرب منذ نحو اربعين سنة مجاهدا بالكلمة المؤمنة والسيرة الحسنة والقدوة الطيبة والسلوك المترفع ، لا يتردد في نشر العلم والعرفان ، والدفاع عن الاسلام والايمان ، وتنشئة الاجيال على اقوم ما تكون التنشئة الصالحة دينا وتربية وتكوينا وتعليما .

لقد كان المرحوم الاستاذ العلامة السيد عبد الله الجراري من طراز رجال الفكر والثقافة والقلم والعلم والدعوة الاسلامية والمشاركة الواسعة الشاملة في حقول المعرفة والنشاط الثقافي العام . له في كل ميدان حظ موفور من الجهد والعطاء ، وعرفته المحافل الادبية والثقافية والتعليمية رجلا يخلص اشد الاخلاص في اداء رسالة العالم المسؤول الواعي بثقل المهمة المنوطة به والمدرك – في احساس مرهف – للواجبات الملقاة على عاتقه . فلم

## ● من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

يضن قط بعلمه الغزير وثقافته الموسوعية في سبيل ازدهار الحياة الفكرية في هذه البلاد . فاستحق بذلك ان يكون من طليعة الرواد الاوائل الذين ابلوا البلاء الحسن المتواصل الدؤوب سواء في عهد الحماية والحجر حيث كانت جميع السبل مقفلة امام النخبة العالمة المثقفة او في عهد الحرية والاستقلال، بعد عودة الحق الى نصابه حيث احتل موقعه في وزارة التربية الوطنية كاحد كبار مفتشيها والمخططين لبرامجها والساهرين على وضع سياسة تعليمية تقوم على اساس العقيدة الاسلامية واللغة العربية والانسية المغربيـــــة .

ولعل الدور الكبير الذي اضطلع به فقيدنا العزيز الاستاذ عبد الله الجراري في حقل التربية والتعليم من ابرز الادوار التي قام بها في حياته العلمية . مما يقوم شاهدا على علو منزلته ، وسمو درجته ، وسعة فضله في هذا الميدان الوطني الهام الذي مارس فيه مسؤوليته العلمية والوطنية من خلال الدفاع المستميت عن المقدسات والتصدي لمحاولات المسخ والتشويه والغزو والوقوف - بالحكمة والتعقل والانضباط - في وجه ما اعترض مسيرتنا التعليمية والفكرية والثقافية من خطر الانتكاس وآفة الانحراف . وهو جهاد مشكور يسجله تاريخ المغرب بالفخر والتقدير .

حضرات السادة الكــرام :

فقدت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في وفاة الفقيد العزيز الاستاذ عبد الله الجراري احد اعضاء اسرتها الكبيرة التي تشمل العلماء ورجال الفكر الاسلامي والدعوة الاسلامية واقطاب الثقافة والدراسات الادبية والتاريخية . فلقد كان الفقيد من خيرة العلماء الذين تعتمد عليهم الوزارة في اداء رسالتها سواء بالمشاركة في الحديث الديني او الندوة الاسلامية او المحاضرة التوجيهية او الانتاج الثقافي في مجلتيها ( دعوة الحق ) و ( الارشاد ) اللتين سايرهما صدورهما المبكر .

لقد فقدت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في المرحوم الكبير العالم الكفء والمفكر المسؤول ، والكاتب القدير ، والباحث المتعمق ، والداعية الملتزم البصير بفقه الدعوة وشروط الداعي الى الله . ولذلك ، فاني اشعر بفداحة المصاب شعورا لا يخفف من وطأته الا يقيني في الله وايماني بقدره المحتـــــوم .

اما بالنسبة لي شخصيا ، فقد كان الفقيد صديقا وزميلا في الكفاح الوطني متعدد المناحي سواء في حقل التعليم او في الميدان السياسي حيث كانت تجمعنا مبادىء مشتركة تبلورت في النضال الذي خاضه جيلنا ، كل في موقعه الذي اختاره له قدره ، على نصف القرن ، انطلاقا من احداث الظهير البربري الذي كان للفقيد دور بارز في مقاومته والتصدي له هنا بالربـــاط .

حضرات السادة الكــرام :

باسم حكومة صاحب الجلالة ، وباسم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وباسمي الخاص اجدد لعائلة الفقيد العزيز احر التعازي مع خالص الدعاء له بالرحمة والمغفرة جزاء ما قدم لدينه ولغته ووطنه من جليل الخدمات . والله المسؤول ان يرزق ذويه الصبر والسلوان . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاتـــه .

# المسابقة الوطنية لحفظ وتجويد القرآن الكريم

●● فاز خمسة عشر مرشحا بجوائز قيمة في ( المسابقة الوطنية لحفظ وتجويد القرءان الكريم ) ؛ التي نظمتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بقاعة المحاضرات بوزارة الشؤون الثقافية ، ويلاحظ ان من بين الفائزين طفل نال الجائزة الثانية ، لايتجاوز عمره 12 سنة .

وكانت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية قد اجرت مسابقة اولى بقاعة علال الفاسي بالرباط تقدم لها 60 حافظا وقارئا للقرءان الكريم وتم اختيار 15 مرشحا من هؤلاء للمسابقة النهائية .

وتأتي هذه المسابقة القرآنية الوطنية التي نظمتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في اطار احتفالاتها بعيد العرش السعيد تاكيدا للخطة التي اعتمدتها الوزارة لنشر الوعي القرآني وتشجيع الناشئة المغربية على حفظ وتجويد كتاب الله .

وتعد هذه المسابقة الاولى من نوعها بهذا المستوى من التنظيم والاعداد واستقطاب عناصر شابة من مختلف اقاليم المغرب .

وفيما يلي اسماء الفائزين في المباراة الاقصائية :

1 ) مصطفى غربي « الدار البيضاء »
2 ) احمد خجو « وجدة »
3 ) علي البلال ( 12 سنة ) « ناحية مراكش »
4 ) محمد لطفي « الصويرة »
5 ) احمد الحسوني « فاس »
6 ) احمد محمد حمدان « الخميسات »
7 ) الحاج احمد المسطاسي « مكناس »
8 ) محمد المصدر « فاس »
9 ) حميد بابيه « مراكش »
10) احمد علي الهبطي « تطاون »
11) عبد الله جيدا « الدار البيضاء »
12) الحسين ابن بجة « مراكش »
13) حسن محمد اخيار « تطوان »
14) محمد بن عيسى ناجد « سلا »
15) عبد الفتاح اللمطي « من كلميم — طالب بتارودانت » .

وقد القى بهذه المناسبة السيد محمد المرابط الكاتب العام لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الكلمة التالية باسم السيد الوزير :

**أيها السادة الكرام .**

**السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .**

**يسعدني أن ارحب بكم في هذا اللقاء الكريم شاكرين لكم تكرمكم بالحضور ومشاركتنا الغبطة بهذه المناسبة التي اردناها ان تكون لقاء في الله لتلاوة كتاب الله وحث ناشئتنا على التعلق بكتاب ربهم العزيز .**

ان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وهي تنظم اليوم ( المسابقة الوطنية لحفظ وتجويد القرءان الكريم ) تضع نصب اعينها غاية محددة ترى انها من الزم الواجبات الملقاة على عاتقها ، وهي العمل على تشجيع حفظة القرءان الكريم وفتح سبل المنافسة الشريفة امامهم وخلق فرص لابراز مواهبهم والتعبير عن استعداداتهم واظهار ميولهم في هذا الضرب من الفن الرفيع تجويداً للآيات البينات ، والمعرفة الشرعية بقواعد ذلك كله .

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ادراكا منها للسياسة الاسلامية الرشيدة التي ينهجها ويدعو اليها مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله ، وشعورا بمسؤوليتها تجاه كتاب الله العظيم تعلم ان مثل هذه المسابقات القرآنية من شانها ان تشيع الوعي القرآني في بلادنا وتخلق جوا علميا تتبارى فيه ناشئتنا في هذا الميدان تطلعا الى الاتقان والجودة والابداع ، ونشدانا للتمكن والبروز والتفوق، وبذلك ولا شك تزدهر علوم القرءان من جهة ، وينشط الاقبال على التجويد والترتيل والتلاوة الشرعية الموثقة بقواعد العلم وشروط الفن من جهة اخرى ، وفي ذلك كله من المزايا والفضائل ما لا يخفى عليكم، خاصة ونحن متطلعون الى نهضة اسلامية شاملة ونقف على راس المرحلة الاولى من الصحوة الاسلامية المباركة .

ان امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني اعز الله امره ، الذي يقود هذه الصحوة الايمانية ، ما فتىء يدعو الى تلاوة كتاب الله وتدارسه والتفقه فيه باعتباره اساس كل تقدم ينشده المسلمون ويسعون من خلاله الى استئناف رسالتهم الحضارية اشعاعا وتنويرا وهداية للبشرية جمعاء .

لقد كانت السنة الحميدة التي سنها مولانا المنصور بالله في شهر رمضان المنصرم بالدعوة الى التلاوة الجماعية للقرءان الكريم بواسطة اجهزة الاعلام السمعية والبصرية من الدلالات القوية على تمسكنا بالقرءان الكريم دستورا ومنهجا وكتابا يهدي للتي هي اقوم .

ولقد وعى شعبنا المؤمن المعنى من هذه الدعوة الملكية السامية ، على اساس انها تاكيد جديد لاصطباغ مسيرتنا بالصبغة القرآنية وقيام كياننا كله على اساس قراني واجتهادنا الدائم من اجل ان تتكيف حياتنا بالقرءان سلوكا وممارسة وتسييرا .

واستحياء من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لهذه المعاني السامية ، ووعيا منها لهذه الدلالات القوية ، اتجهت عنايتها الى الاعداد لهذه المسابقة الوطنية لحفظ وتجويد القرءآن الكريم التي نامل ان تكون نواة لمسابقات قادمة اكثر شمولا وابعد اثرا واعمق تاثيرا .

واننا اذ جعلنا موعد هذه المسابقة متقاربا مع عيد العرش المجيد ، فمن اجل ان ترتبط الذكرى السعيدة بهذا المعنى الشريف ، انطلاقا من ان عرشنا انما هو عرش القرءان ، وفي سبيل القرءان يستمد ويقتبس منه ، ويستلهم ويهتدي به .

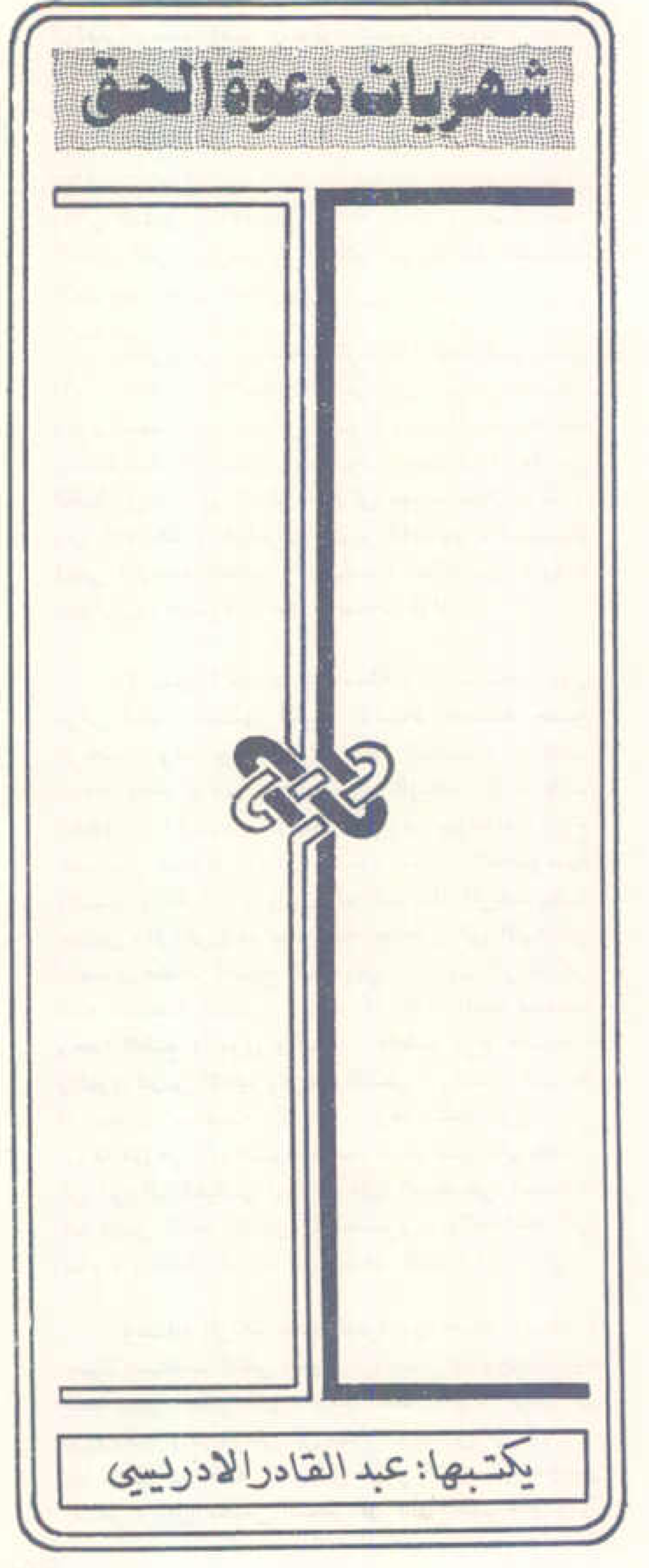
حضرات السادة الكرام :

اجدد لكم ترحيبنا بكم ، وشكرنا لكم . وانني اذ اهنىء اصالة عن نفسي ونيابة عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وباسمكم جميعا السادة الفائزين في هذه المسابقة ، اتمنى للذين لم يسعفهم الفوز في هذه المرة حظا سعيدا في مرات مقبلة . ويكفيهم شرفا انهم تحملوا عناء الحضور والمشاركة .

ولا اود ان اختم قبل ان اتوجه بخالص الشكر الى السادة العلماء الاجلاء اعضاء لجنة التحكيم على ما بذلوه من جهد ونصح وتوجيه . واتوجه بالشكر كذلك للمصلحة الاجتماعية بالوزارة ولنظارة الرباط على السعي الملحوظ والجهد الملموس لانجاح هذه المسابقة .

وفقنا الله لخدمة كتابه العزيز . وحفظ جلالة الملك الحسن الثاني بما حفظ به القرءان الكريم . وابقاه قائدا لبعثنا الاسلامي ورائدا لصحوتنا الايمانية وحاميا لنهضتنا القرآنية ، واقر عينه بولي عهده الامير سيدي محمد وبصنوه الامير مولاي رشيد وكافة افراد اسرته الشريفة .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .




## 1 عبد الله كنون

●● الوسام الفكري السامي الذي ناله الاستاذ الكبير عبد الله كنون في مصر بمناسبة الاحتفال بالعيد الالفي للازهر يجعلنا جميعا في موقف التنويه والشكر للبلد الشقيق الذي اختار فيمن يكرم المغرب فأحسن الاختيار . ذلك أن عبد الله كنون ، وكما نعرف جميعا ، من ابرز اعلام الفكر والادب والدين والعلم في المغرب . وهو رجل جهاد ثقافي امتد ازيد من نصف قرن دفاعا عن قيم المغرب ومقدساته ومقوماته ، فكان له من ذلك كله حصيلة غنية من العطاءات والتجارب والمواقف التي تشهد على علو كعبه وسمو منزلته ونبوغه وتفوقه .

ان الدور الذي اداه عبد الله كنون في الثقافة المغربية العربية الاسلامية يستحق من الاجيال المتعاقبة أن تقف امامه دارسة محللة متفهمة مستوعبة . وما أحرانا اليوم بمراجعة شاملة لحياة عبد الله كنون الحافلة بالنور والاشعاع ، وان مؤلفات عبد الله كنون التي تربو على الثلاثين كتابا تمثل اضافة متميزة وعطاء متفردا واسهاما له خصوصيته .

ويكفي ان يكون عبد الله كنون علامة المغرب وعلمه البارز وسفير الثقافة المغربية في البلاد العربية الاسلامية .

اطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية .

## 2 الزيات والرفاعي ورسالتهما

●● اما الزيات فهو اديب العربية الاكبر ، وامير البيان في العصر الحديث . المرحوم احمد حسن الزيات أحد بلغاء القرن الرابع عشر الهجري

في مصر والوطن العربي . واما الرفاعي فهو الاستاذ عبد العزيز الرفاعي الكاتب والاديب والمحقق الكبير احد نبغاء المملكة العربية السعودية وصاحب ( دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ) ، واما رسالة الاول ، فهي مجلة ( الرسالة ) التي كانت وحدها ( جامعة للدول العربية ) قبل انشاء الجامعة الحالية بعقد ونصف من الزمن والتي تخرج منها معظم ادباء وشعراء وكتاب اللغة البارزين من جيل الرواد في البلاد العربية جميعها دون استثناء . واما رسالة الثاني ، فهي الداب المستمر على نشر المؤلفات القيمة واتاحة الفرصة امام الاجيال الجديدة للوقوف على تراث آبائهم واجدادهم ناصعا مشرقا ممهدا للقراءة والاستيعاب والفهم والاقتداء به في حياتهم الجديدة. وهي رسالة الناشر المثقف الواعي لمسؤوليته المدرك لامانة الفكر والقلم والعلم المقدر لحاجة الناس الى الكتاب القيم النفيس الذي فيه غذاء العقل والقلب والروح .

ولقد تلقيت، من الاستاذ الجليل عبد العزيز الرفاعي الكتاب الاول من السلسلة الجديدة التي بدا في اصدارها والتي تحمل عنوان ( دراسات في الصحافة الادبية ) وهو للمؤلف الدكتور محمد سيد محمد وموضوعه ( الزيات والرسالة ) . والكتاب جد نفيس ومثير للفضول العقلي ، فيه من الجدة والجدية والجهد العلمي الرصين القدر الوافي ، وله من القيمة والنفاسة الحظ الوافر . ويقع في 225 صفحة من القطع الكبير ، ويستمد الكتاب اهميته من الموضوع الذي يعالجه ، فهو دراسة تحليلية معمقة لمجلة كانت رائدة في الصحافة الادبية ومدرسة قل نظيرها تخرجت منها اجيال متعاقبة من حملة الاقلام الذين كان لهم الفضل الكبير في اثراء الحياة الادبية والفكرية في البلاد العربية ، وعلى مائدتهم نعيش اليوم سواء اعترفنا بذلك ام لم نعترف .

لقد كانت مجلة ( الرسالة ) لصاحبها احمد حسن الزيات رحمه الله نمطا فريدا في الصحافة العربية . واعتقد ان ذلك يعود الى طبيعة الجيل الرائد الذي ساهم في انشائها وواكبها بانتاجه الغزير . فقد كتب في ( الرسالة ) : العقاد وطه حسين والمازني واحمد امين وزكي مبارك وعبد الحميد يونس ومحمود محمد شاكر وتوفيق الحكيم ومحمد عبد الله عنان وسعيد العريان ومصطفى صادق الرافعي وسيد قطب ومحمود تيمور ومحمد فريد ابو حديد وعبد الوهاب عزام وعبد الرحمن شكري ومصطفى عبد الرازق ومصطفى مشرفة والعوضي الوكيل وعلي محمود طه ومحمد عوض محمد ومحمد خلاف . وهؤلاء كلهم رواد يشهد لهم بالسبق والفضل والاثر العميق في الادب والثقافة والفكر ، وهم اساتذة الاجيال التي ترعرعت في البلاد العربية منذ الثلث الاول من القرن العشرين .

وتخرج من مدرسة ( الرسالة ) عدد كبير من الادباء والكتاب والاساتذة الكبار مثل : دريني خشبة، وانور المعداوي ، وعباس خضر ، وعبد المنعم خلاف، ومحمد عبد الله عنان ، ومحمود الخفيف ، وعلي الطنطاوي ، وانور العطار ، وزكي نجيب محفوظ . ومن الاديبات والشاعرات سهير القلماوي ، اسماء فهمي ، زينب الحكيم ، جميلة العلايلي ، وداد سكاكيني ، ميسرة توفيق ، نعمات فؤاد .

ولا يمكن الحديث عن مجلة ( الرسالة ) دون عرض لحياة منشئها الكبير الاستاذ احمد حسن الزيات . وقد اوفى المؤلف هذا الجانب من الكتاب حقه ، فقدم ترجمة شاملة لحياة الزيات ( 2 – 4 – 1885 ) ( 11 – 6 – 1968 ) وعرف بمؤلفاته وشرح خصائص اسلوبه ( وكان اسلوبا شديد الخصوصية والتميز والتفرد ) . وابرز المؤلف صلة الزيات بطه حسين والزناتي وهم بعد طلبة يختلفون الى الازهر لحضور حلقات الشيخ المرصفي . ويقول الزيات عن هذه الصحبة المثمرة ( ... كنا ثلاثة الفت بيننا وحدة الطبع والهوى والسن ، فالطبع مرح فكه ، والهوى درس الادب وقرض الشعر ، والسن فتية لا تتجاوز السادسة عشرة ) . وقد تتلمذ الزيات في اروقة الازهر على الشيخ محمد عبده حين كان يدرس في الرواق العباسي ودرس على الشنقيطي المعلقات كما درس كتاب المفصل للزمخشري ، والحماسة لابي تمام ، والكامل للمبرد في حلقات الشيخ المرصفي .

ويصف الزيات هذه الفترة من حياته وصفا جميلا يستلفت النظر فيقول : ( ... اما وجه الشبه بيننا وبين الطائر فان حياتنا كانت كحياته تردد الى كل روضة وتغريد على كل شجرة وتحليق في كل جو، كنا ننتقل من حلقة العلم الى درس الادب الى مجلس الشعر ، ومن مجلس الشعر الى دار الكتب ، ومن

دار الكتب الى الجامعة المصرية القديمة ، ومن الجامعة الى ادارات الصحف تعرض عليها ما كنا نسميه يومئذ شعرا ، ثم ننتهي الى دار احدنا نتدارس ما حصلناه من علم ونتذاكر ما حفظناه من أدب ونتنادر بما سمعناه او رويناه من سخف ) .

حياة سعيدة ، وتكوين متين هو الاساس في الشخصية الادبية الشامخة التي اكتسبها الزيات وخلياه ، واثمرت ( الرسالة ) كتابا تتلمذوا عليها جيل في اثر جيل ، ولا نزال نحن الى يوم الناس هذا نتتلمذ عليها ، ولا نزال نجد فيها المعرفة والفائدة واللذة والمنفعة وشفاء للغليل .

ولهذا هششت لكتاب ( الزيات والرسالة ) وحمدت للاستاذ المهدي صاحب دار النشر صنيعه مرتين ، المرة الاولى اذ اخرج هذا الكتاب الهام الذي سد فراغا في المكتبة العربية ، والمرة الثانية لتكرمه مشكورا باهدائي نسخة منه ، ولولا ذلك لما وصل الي الكتاب لسبب بسيط ، وهو ان المطبوعات السعودية لا تصل الى الاسواق المغربية باستثناء الصحف والمجلات ، وهذه قضية اخرى ليس هذا مجل التطرق اليها .

قسم المؤلف الدكتور محمد سيد محمد الدراسة الى عدة فصول ، فبعد ان افرد الفصل الاول لحياة الزيات تحدث في الثاني عن مراحل ( الرسالة ) وقسمها الى اربع مراحل حسب نوعية الصدور ، وهي ( الرسالة ) نصف الشهرية ، و ( الرسالة ) الشهرية ، و ( الرسالة ) أيام الحرب ، و ( الرسالة ) في مرحلتها الاخيرة . وقد صدر العدد الاول منها في 15 يناير سنة 1933 ( اي منذ نصف قرن بالضبط ) ، بينما صدر العدد الاخير بتاريخ 23 فبراير سنة 1953 ، ويحمل رقم : ( 1025 ) .

غير ان الدارس لم يذكر شيئا عن ( الرسالة ) التي اصدرها الزيات في الستينات عن وزارة الثقافة وقد اغفل المؤلف هذه المرحلة نهائيا ، وكنت اود لو ان الدكتور محمد سيد محمد افرد حيزا من صفحات الكتاب للحديث عن هذه المرحلة الهامة خصوصا وانها تميزت بمعارك ادبية لعل اهمها المعركة التي قادها الاستاذ محمود محمد شاكر ضد د. لويس عوض .

وفي الفصل الثالث استعرض الدارس ابواب ( الرسالة ) وتحدث عن كتابها وانتهى الى ذكر المعارك الادبية الشهيرة التي جرت على صفحاتها . وهذا فصل في غاية المتعة الادبية .

وفي الفصل الرابع تحدث المؤلف عن قضايا ( الرسالة ) ، وقسمها الى ( قضية الاسلام ) ، و ( قضية العروبة ) ، و ( قضايا المجتمع المصري ومشاكله ) و ( قضايا الفنون والآداب والعلوم والفلسفة ) باعتبارها زادا انسانيا وحضاريا .

وخصص المؤلف الفصل الخامس للاخراج والادارة والتوزيع والاعلان .

وفي الفصل الختامي قام المؤلف بتحليل وتقييم دور ( الرسالة ) واثرها في الحياة الادبية والفكرية في المجتمع . ويهمنا ان نذكر هنا ان مجلة (الرسالة) تعتبر :

( أ ) مصدرا لتاريخ الادب ولدراسته .

(ب) انها نشرت الادب وتابعته بالنقد والتقييم .

(ج) انها كانت مدرسة لتخريج الادباء .

( د ) انها كانت نافذة للادب العالمي .

(هـ) انها خلقت عشاقا للتعبير الادبي السليم .

وعندي ان اهم ميزة تنفرد بها ( الرسالة ) في الصحافة الادبية العربية انها دافعت عن البيان العربي والحرف العربي في وجه حملات المسخ والتشويه والغزو الفكري ، وانها انشأت ارضية للثقافة العربية الاسلامية . هي هذه التي نقف عليها اليوم في ثبات نسأل ان يتوطد ويتقوى ●●

## 3 آفة الصحافة ...

« الحمد لله

الاخ الكريم

حفظك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد اطلعت على العدد الاخير لشهر مارس الفارط من مجلة دعوة الحق ، فوجدته بحق عددا ممتازا تستحق عليه كل تهنئة وتقدير .

واسمح لي بعد هذا ان الفت نظر اخوتك الى بعض الاغلاط المطبعية في الموضوع الذي تكرمت بنشره حول الاشعاع الفكري والحضاري لمدينة تطوان ، وانني لا احملك مسؤولية الاخطاء المطبعية ، فانا مارست المطبعة والصحافة اعواما طويلة واعرف اتعابهما واهوالهما . غير ان بترا وقع في اول الموضوع المذكور اقلقني ، لانه بكل بساطة شوه فقرة كاملة من المقال وازرى بها . زيادة على حذف ارقام الفقرات وهي بمثابة عناوين صغيرة عند الكاتب . واذا اغتفرت حذف الارقام الفاصلة ، فاني آسف لبتر جملة تاريخية هامة غيرت معنى الكلام ، والقراء لا يرحمون كما لا يخفاك ، ولذلك ارجوك اخي ان تنشر التصويبات التي تصلك طيه في آخر القسم الثاني من الموضوع . اما القسم الثالث والاخير فسيصلك قريبا ان شاء الله .

**تطوان : محمد العربي الشاوش »**

**دعوة الحق** : نعتذر للكاتب الفاضل . والقراء على موعد مع القسم الثاني من مقاله الهام في العدد القادم ان شاء الله .

وفيما يلي جدول بالاخطاء مع التصحيح :

| الصفحة | خطأ | صواب |
|---|---|---|
| 217 | وقع هذا التحديد طبقا للفصل الخامس من معاهدة باريس الاسبانية الفرنسية المؤرخة في 27 نونبر 1912 . | وقع هذا التحديد طبقا للفصل الخامس من معاهدة باريس الاسبانية الفرنسية المؤرخة في 3 اكتوبر 1904 وطبقا للفصل الثاني من اتفاقية مدريد الفرنسية الاسبانية المؤرخة في 27 نونبر 1912 . |
| 220 | وفوزا برضى من رفع على الانبياء مكانه . | وفوزا برضى من رفع الله على الانبياء مكانه . |
| 220 | تيطون . | تطاون . |
| 222 | وقالوا بي ... ( شعر ) . | وقالوا به .... |
| 222 | واريد بها هلاكه . | واريد بها كله |
| 222 | وفي صراع عنيف بين الفاطميين والامويين والاندلسيين . | وفي صراع عنيف بين الفاطميين والامويين الاندلسيين . |
| 223 | آخر ملوك بني الاومر بغرناطة . | آخر ملوك بني الاحمر بغرناطة . |
| 223 | جددت في القرن الثاني عشر الهجري والثاني عشر الميلادي . | جددت في القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي . |
| 224 | امر عامله وابن محمد القائد ... | امر عامله وابن عمه القائد ... |
| 225 | فخانه ابن اخيه . | فخلفه ابن اخيه . |
| 226 | من ان المنصور الذهبي ... | من ان ام المنصور الذهبي ... |

# العلامة الأستاذ عبد الرحمن الدكالي في ذمة الله

رزيء المغرب في العلامة الكبير الاستاذ المحدث السيد عبد الرحمان بن شيخ الاسلام ابي شعيب الدكالي رئيس المجلس العلمي الاقليمي بالجديدة وعضو اكاديمية المملكة المغربية .

وكان الفقيد العزيز قد زار الاراضي المقدسة لاداء العمرة ، وبينما هو في رحاب المسجد النبوي الشريف بعد صلاة الفجر قبض الله روحه في وقت يستجاب فيه الدعاء وفي مكان هو اطهر بقعة في الارض بعد الحرم المكي الشريف .

وقد خلفت وفاة الاستاذ الدكالي اصداء حزن وتأثر بالغين في المغرب والمشرق . واصدرت وزارة القصور الملكية والتشريفات والاوسمة بلاغا نعت فيه الفقيد وعددت خصاله وسجاياه وابرزت مواقفه واخلاصه للعرش وللمجالس عليه . واستماتته في العمل الوطني والديني لما فيه رفعة المغرب وعزة اهله .

وكان الفقيد عبد الرحمان الدكالي من طبقة المحدثين النبغاء ، ورث العلم والاشتغال بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن والده الذي يعتبر مجدد الاسلام وباعث نهضته ورائد سلفيته .

وسبق للفقيد ان تقلد منصب الكاتب العام لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والمرشد العام للقوات المسلحة الملكية .

رحم الله العلامة عبد الرحمان الدكالي واسكنه فسيح جنانه والهم اهله وذويه الصبر والسلوان . وانا لله وانا اليه راجعون .

# فهرس العدد 228

## جمادى الثانية / رجب 1403 - ابريل 1983




مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب

رقم الايداع القانوني 1981/3

# رؤية ثالثة

رأيتُ النّاسَ تصفُو في السّلامِ ... وتفْسُدُ في الخِلافِ وفي الخِصامِ

وتركَنُ في جِنانٍ من سَرابٍ ... وَتسكُنُ في عُروشٍ من كلامِ

وتعْشَقُ أن تُساقَ إلى رِغابٍ ... مُوشّاةٍ بأضْغاثِ المَنامِ

وتَجْنَحُ للمُنافِقِ والمُرائي ... وتُمْعِنُ في الحَلالِ وفي الحَرامِ

وتكْرَهُ أنْ يقالَ لها : حَذارِ ... فهٰذا العَيْشُ من سَقَطِ الحُطامِ

وهٰذا الكِبْرُ من صُنْعِ التُّرابِ ... وهٰذا الحُسْنُ من تلكَ الرِّمامِ

سَنُمْسي قِصّةً تُرْوى وتُحْكى ... ونَغْدُو ذِكرياتٍ لِلأنامِ

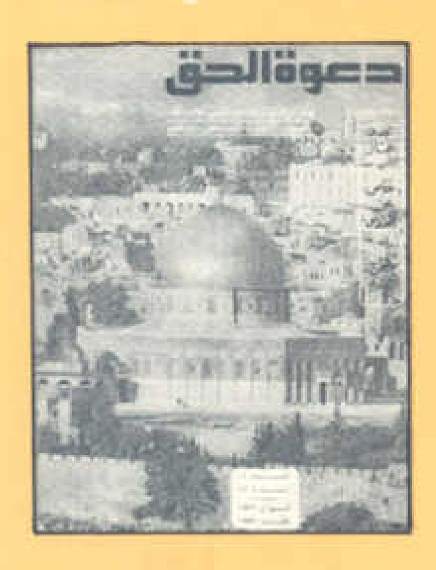
فلا نَجْوى سِوى نَجْوى القُبورِ ... ولا أَلَقٌ سِوى حَلَكِ الظّلامِ.

الرباط أحمد تسوكي




















صدر العدد الأول في يوليوز سنة 1957